جامعة الوصل - كلية الآداب
دبي - الإمارات العربية المتحدة

فِكر ومَعرفة

Fekr & Maarefa

مجلة علمية محكمة سنوية
متخصّصة في العلوم الإنسانيّة
والاجتماعيّة

A Peer-Reviewed Annual Journal
Specialized in Humanities and
Social Sciences

العدد الخامس (5)
(1447 هـ - 2025 م)

دولـة الإمارات العـربية المتحدة

جامعة الوصل - دبي
كلية الآداب

فِـكـر ومَـعـرفة

مجلة علمية محكمة سنوية
متخصّصة في العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة

العـدد الخامس
(1447 هـ - 2025 م)

المشرف العام

أ. د. إياد أحمد إبراهيم

نائب مدير جامعة الوصل لشؤون البحث العلمي

رئيس التحرير

أ. د. محمّد الصّالح البوعمراني

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. خليفة بوجادي

أ. د. علاء مغاوري

أ. د. علي الشبعان

أ. د. حافظ إسماعيلي علوي

أ. د. يوسف حمدان

سكرتير التحرير

د. حمدي عبد الحميد

المجلس الاستشاري

أ. د. ليتشو تشو – جامعة سوربون باريس سيتي – فرنسا

أ. د. فيرونيك ترافيرسو – المركز الوطني للبحث العلمي – ليون – فرنسا

أ. د. ماريانا ستيلوتا كوكوليسكو – جامعة النفط والغاز في بلويشت – رومانيا

أ. د. فواز محمد الزبون – الجامعة الهاشمية الأردنية

أ. د. محمّد الصّحبي البعزاوي – جامعة الوصل – دبي

أ. د. شكري المبخوت – جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية – أبو ظبي

أ. د. ماجد محمود الحمد – جامعة الملك سعود – الرياض

أ. د. سعيد يقطين – جامعة محمد الخامس – الرباط

كلية الآداب

الرؤية والرسالة والأهداف

الرؤية:

تعليم إنساني ابتكاري لمجتمع عالمي.

الرسالة:

تأهيل مخرجات نوعية في برامج البكالوريوس والدراسات العليا، تلبية لاحتياجات سوق العمل المستقبلية في المجتمع الإماراتي والإقليمي والعالمي.

الأهداف:

انطلاقًا من رؤية كلية الآداب ورسالتها فإنها تهدف إلى:

أولًا: إعداد جيل يتمسك بالقيم العربية الإسلامية والمبادئ الإنسانية السامية.

ثانيًا: تقديم مخرجات مؤهلة لخدمة اللغة العربية بحثًا وتدريسًا والسير بها نحو العالمية.

ثالثًا: ترسيخ مبدأ التعايش بين اللغات والثقافات والحضارات.

رابعًا: النهوض بالأدب العربي والانفتاح على الآداب العالمية.

خامسًا: تعزيز وحدة التعليم العام، وتوفير جميع الوسائط المتاحة لتنمية الأداء في اللغة الإنجليزية والحاسوب والبرمجة الآلية للغات.

سادسًا: تأهيل متخرجين أكفاء في كافة تخصصات الكلية.

سابعًا: تشجيع البحث العلمي المتميز في كافة تخصصات الكلية.

كلية الآداب

النشأة والتطور

أنشئت كلية الآداب بناءً على القرار الوزاري رقم: (107) الصادر من مكتب وكيل الوزارة للشؤون الأكاديمية للتعليم العالي، وزارة التربية والتعليم بتاريخ: 8 إبريل 2019 في شأن الترخيص لجامعة الوصل (Alwasl University) لتصبح جامعة من جامعات التعليم العالي مقرها(دبي) بدولة الإمارات العربية المتحدة.

كانت كلية الآداب قبل 2019 جزءا من كلية الدراسات الإسلامية والعربية التي أنشئت سنة 1986، وبدأت يومئذ بمرحلة البكالوريوس، ثم أنشئت بها مرحلة الماجستير بشعبتين: اللغة والنحو والأدب والنقد ابتداء من سنة 2002-2003، ثم اكتملت مراحلها الثلاث في سنة 2007-2008 بإنشاء مرحلة الدكتوراه بشعبتيها: اللغة والنحو والأدب والنقد.

يتكون مجلس كلية الآداب من عميد الكلية ورؤساء البرامج الأكاديمية، ويضطلع بمهمة متابعة العملية التعليمية والسير بها نحو الأفضل، والسهر على تحديث البرامج وتهيئة جميع الظروف المواتية لتحسين المخرجات.

أولًا: البرامج الأكاديمية:

البرامج المعتمدة حاليًّا:

- برنامج البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها.
- برنامج البكالوريوس في علوم المكتبات والمعلومات.
- برنامج ماجستير الدراسات اللغوية.
- برنامج ماجستير الدراسات الأدبية والنقدية.
- برنامج دكتوراه الفلسفة في الدراسات اللسانية.
- برنامج دكتوراه الفلسفة في الدراسات الأدبية والنقدية.

مجلة فكر ومعرفة

الرؤية والرسالة والأهداف

الرؤية المجلة:

الريادة في نشر بحث علميّ إنسانيّ ابتكاريّ إبداعيّ.

الرسالة المجلة:

تطوير بحث علمي إنساني مبدع متجذر في أرضية عبقرية الشعب الإماراتي الخاصة، يتميز بالرصانة والموضوعية، متناغم مع حركة الإبداع العلمي العربية والعالمية، يتأثر بها بوعي نقدي متبصر، ويؤثر فيها بعطاء نوعي ذي بصمة متميزة، يخدم حاجات الإنسان وسوق العمل المستقبلية في المجتمع الإماراتي والإقليمي والعالمي.

الأهداف المجلة:

أولاً: تطوير بحث علمي مبدع، يتمسك بالقيم الإسلامية والعربية والمبادئ الإنسانية السامية.

ثانيًا: تقديم بحوث علمية تخدم العلوم الاجتماعية والإنسانية: تطورها وتنشرها وتسير بها نحو العالمية.

ثالثًا: نشر البحوث العلمية المتميزة التي تتعلق بأهم القضايا والمتغيرات المجتمعية وتحليلها واقتراح أفضل الحلول والممارسات.

رابعًا: تأهيل الباحثين الوطنيين المبدعين الأكفاء في كافة تخصصات العلوم الاجتماعية والإنسانية.

خامسًا: تطوير أدوات البحث العلمي المتميز وتعزيز قدرات الباحثين على التنافس في سياق البحث العلمي الجاد.

سادسًا: متابعة الإنتاج العلميّ المتميز الجديد في ميادين العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة.

قواعد النشر

أولًا:

تنشر المجلّة البحوث العلمية باللغات العربية، والإنجليزية والفرنسية؛ تحريرًا أو ترجمةً، على أن تكون بحوثاً أصيلة مبتكرة تتصف بالموضوعية والشمول والعمق، ولا تتعارض مع القيم الإسلامية، وذلك بعد عرضها على محكمين من خارج هيئة التحرير بحسب الأصول العلمية المتبعة.

ثانيًا:

1. يراعى في البحث أن يتميز بالأصالة وأن يضيف إضافة جديدة للعلم والمعرفة، وأن يكون مستوفيًا للجوانب العلمية بما في ذلك عرض الأسس النظرية والأهداف الخاصة للبحث والإجراءات المستخدمة في التحليل وعرض النتائج والمناقشة.
2. تخضع جميع البحوث المقدمة للنشر في المجلة للشروط الآتية:
3. ألا يكون البحث قد نشر من قبل، أو قدم للنشر إلى جهة أخرى، وألا يكون مستلًّا من بحث أو من رسالة أكاديمية نال بها الباحث درجة علمية، وعلى الباحث أن يقدم تعهدًا خطيًّا بذلك عند إرساله إلى المجلة.
4. تقبل البحوث التي تكون جزءا من رسالة جامعية لم تناقش بعد.
5. لا يجوز للباحث أن ينشر بحثه بعد قبوله في المجلة في مكان آخر إلا بإذن خطي من رئيس التحرير، وإلا تكفل الباحث بسداد التكلفة المالية لتحكيم بحثه خلال الدورة التحكيمية.
6. يراعى ضبط الآيات القرآنية وكتابتها بالرسم العثماني، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة، إن استشهد بها في البحوث.
7. يُكتب البحث بمسافات (مفردة)، على ألا يقل عدد صفحاته عن (20) صفحة بواقع (5000) خمسة آلاف كلمة، ولا يزيد عن (30) صفحة في (7500) سبعة آلاف وخمسمائة كلمة، وحجم الخط (16) نوع (Simplified Arabic)، وإذا زاد البحث عن (30) صفحة، فعلى الباحث دفع تكاليف الطباعة للصفحات الزائدة؛ وهي (5) دولارات عن كل صفحة.

8. ترسل من البحث نسخة إلكترونية، وفق برنامج "Word 2010" وتكتب أسماء الباحثين باللغتين العربية والإنجليزية، كما تذكر عناوينهم ووظائفهم الحالية ورتبهم العلمية، بحسب كشف البيانات المرفق؛ وذلك (بغرض التوثيق الدولي).

9. يُرفق مع البحث ملخص باللغة العربية (في حدود 120 كلمة) وآخر باللغة الإنجليزية (في حدود 150 كلمة)، ويتضمن على الأقل أهداف البحث وإشكاليته، ومنهجهُ وأهم نتائجه، وإسهامات البحث، وخمسة كلمات مفتاحية.

10. يُرفق بالبحث الترجمة الكاملة لقائمة المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية؛ وذلك بغرض التوثيق الدولي.

11. ترقم الجداول والأشكال والصور التوضيحية وغيرها على التوالي بحسب ورودها في متن البحث، وتزود بعنوانات يشار إلى كل منها بالتسلسل نفسه، وتقدم بأوراق منفصلة.

12. يتبع المنهجية العلمية في توثيق البحوث على النحو الآتي:

- يشار إلى المصادر والمراجع في متن البحث بأرقام متسلسلة آليًّا توضع بين قوسين إلى الأعلى (هكذا:[1] [2]) وتبين بالتفصيل في أسفل الصفحة وفق تسلسلها في المتن.

- تذكر ببليوغرافيا (معلومات الكتاب) في أول ورود له في البحث على النحو الآتي: اسم المؤلف، عنوان الكتاب، اسم المحقق (إن وجد) أو المترجم، دار النشر، بلد دار النشر، رقم الطبعة يشار إليها بـ (ط) إن وجدت، التاريخ إن وجد وإلَّا يشار إليه بـ (د.ت). أما بحوث الدوريات فتكون المعلومات على النحو الآتي: (اسم المؤلف، عنوان البحث، اسم المجلة، جهة الإصدار، بلد الإصدار، رقم العدد، التاريخ، مكان البحث في المجلة ممثلاً بالصفحات (من...إلى...).

- إذا تكرر المصدر بعد أول إيراد له يُكْتفَى باسم المؤلف وعنوان المصدر، فإن تكرر مباشرة في الصفحة نفسها يكتب: (المرجع نفسه)، فإن تكرر مباشرة في الصفحة اللاحقة يكتب: (المرجع السابق).

- يشار إلى الشروح والملحوظات في متن البحث بنجمة (هكذا:*) أو أكثر.

- تثبت المصادر والمراجع في قائمة آخر البحث مرتبة ترتيبًا هجائيًّا بحسب اسم المؤلف يليه الكتاب والمعلومات الأخرى.

13. يلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يطلبها المحكمون على بحثه وفق التقارير المرسلة إليه، وموافاة المجلة بنسخة معدلة من البحث، وتقرير عن التعديلات التي قام بها.

14. يحرص الباحث على تدقيق بحثه لغويًّا، ولا تقبل المجلة بحوثًا غير مدققة لغويًّا.

ثالثًا: الشروط الإضافية على البحوث المترجمة:

1. أن ترفق مع الترجمة المادة المترجمة بلغتها الأصلية.

2. يرفق مع الترجمة ملخصان أحدهما بالعربية والآخر بالإنجليزية أو الفرنسية، على ألا يتجاوز كل ملخص (120) كلمة، مع الكلمات المفتاحية.

3. تكون المادة المترجمة محكمة، أو منشورة في إحدى المجلات المحكمة، أو تكون جزءًا من كتاب محكم.

4. لا يتجاوز عدد صفحاتها/20 صفحة/من الحجم العادي (6000) (A4 كلمة) ولا يقل عن/7 صفحات/.

5. المحافظة على النص الأصيل وتفادي الاختزال ما لم يُشَرْ إلى ذلك وبهدف تحسين الترجمة.

6. أن تكون الجمل مترابطة ومتماسكة وتخدم المعنى المقصود في المادة الأصلية.

7. يذكر في أول إحالة في الترجمة اسم المؤلف الأصلي مع نبذة عن إسهاماته.

8. تشتمل الترجمة على مقدمة في سطور تبين الأهمية العلمية للمادة المترجمة، وأهم النتائج المتوقعة.

رابعًا:

1. ما ينشر في المجلة من آراء يعبر عن فكر أصحابها، ولا يمثل رأي المجلة بالضرورة.

2. البحوث المرسلة إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

3. يخضع نشر البحوث وترتيبها لاعتبارات فنية، بحسب خطة النشر.

4. يحق للمجلة - عند الضرورة - إجراء بعض التعديلات الشكلية على البحوث المقبولة للنشر دون المساس بمضمونها.

5. يحق للمجلة نشر البحوث المقبولة إلكترونيًّا، والمشاركة بها في قواعد البيانات والمواقع الإلكترونية.

6. يزود الباحث بعد نشر بحثه بنسخة إلكترونية (PDF) من العدد الذي نشر فيه بحثه، ومستلة (PDF) لبحثه.

خامسًا: رسوم النشر:

إسهامًا من مجلة فكر ومعرفة في إثراء الحركة البحثية في دولة الإمارات العربية المتحدة بشكل خاص، وكل الأقطار العربية والإسلامية بشكل عام، فإنَّ المجلة لا تحمل الباحثين أية رسوم، إلا ما سبق الإشارة إليه في بند(7) ثانيًا، وإذا أراد الباحث سحب بحثه بعد حصوله على خطاب القبول فإن عليه دفع تكاليف تحكيم البحث.

ترسل البحوث وجميع المراسلات المتعلقة بالمجلة إلى:

رئيس تحرير مجلّة فكر ومعرفة

ص.ب. 50106 دبي - دولة الإمارات العربية المتحدة

هاتف: 0097143961777

فاكس: 0097143961314

E-mail: fom@alwasl.ac.ae

محتويات العدد

افتتاحية التحرير	11
بحوث ودراسات	15
العجيب والعُجَاب: الحدُّ والوظيفة السردية ■ أ. د. طاهر مناعي	17
في فهم الجسد، لامية الشّنفرى نموذجًا ■ د. رضى عبد الله عليبي	39
التعبيرات الاصطلاحية في العربية: أبعادها الثقافية والدلالية ■ جراح عبود سويد الطه	61
مِن عِلم العرُوض إلى الدِّقة التّداولية: كيف تُشكّل العناصرُ الفُوقطعيّة العربيّة المَعنى في التّرجمة الفوريّة إلى الإنجليزيّة ■ د. صالح بلحسن	101
ملف العدد: المصطلح وقضاياه	135
التأصيل الاصطلاحي في الرسائل العلمية: **دراسة في نماذج مختارة من الرسائل العلمية لطلبة في جامعة الوصل** ■ د. محمد الخريسات ■ مريم همام شمس الدين	137
التحولات المفهومية في مصطلحات الهوية والذات في ظل الذكاء الإصطناعي ■ د. مريم الهاشمي	161
من التوليد الآلي إلى التداول المصطلحي: قراءة تداولية في بناء المفهوم داخل النماذج اللغوية الذكية ■ د. وليد الشاوش	181
المُصطلحُ الحِجاجيُّ بين الحدّ والتّوليد ■ أ. د. عليّ الشّبعان	209
مراجعات	233
تقديم كتاب: أسلافنا العرب، ما تدين به الفرنسية للعربية **تأليف: جون بريفو مطابع جون - كلود لاتيس** ■ أ. د. محمّد الصّحبي البعزاوي	235

افتتاحية التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدر مجلة فكر ومعرفة في عددها الخامس في حلّة جديدة تهدف إلى تعميق منشوراتها العلميّة وتنويع موضوعاتها المعرفيّة، وقد قسّمناها ثلاثة أقسام، أوّلها خصّصناه لأبحاث تتعلّق باهتمامات المجلّة في العلوم الإنسانيّة عامّة، وثانيها "ملف العدد" حيث نخصّ كلّ عدد بملف يعمّق النّظر في قضيّة علميّة مخصوصة، يعالج إشكاليّاتها ويسبر آخر مستجدّاتها، وجعلنا القسم الثّالث للمراجعات، وفيه نقدّم بعض الإصدارات الحديثة في العلوم الإنسانيّة.

وقد احتوي القسم الأوّل من هذا العدد أربعة أبحاث، توزّعت موضوعاتها بين الأدب واللّسانيّات وقضايا التّرجمة. اهتمّ أوّلها المعنون بـ"العجيب والعجاب: الحد والوظيفة السردية" بتحديد مفهومي العَجيبِ والعُجابِ، سعيا إلى تدقيق المصطلحين والخروج بهما من اللّبس والفوضى التي أحيطت بهما، وتوضيح وظيفتيهما في السّرد القصصي، وما يستتبع ذلك من تحديد للأجناس القصصيّة وآليات اشتغال العجيب والعجاب فيها.

ونظر الثّاني الموسوم بـ "في فهم الجســد، لامية الشّنفرى نموذجًا" في الجسد في قصيدة الشّنفرى محاولا الخروج به من الفهم الضيّق الذي جعله مجرّد كتلة لها وظائفها الفسيولوجية، إلى فهم يرى فيه علامة محدّدة لهويّة صاحبها، ونسقًا مشكّلا لفهم الذّات لوجودها، ومفصحًا عن نظرتها للحياة فيما هو ذاتيّ أوّلا، وفيما هو قيميّ كونيّ ثانيًا. معتمدا المقاربة العرفانيّة المنفتحة على المنهج السيميائي إطارًا إجرائيًّا لمقاربتها.

وقارب البحث الثّالث، "التعبيرات الاصطلاحية في العربية: أبعادها الثقافية والدلالية"، الأبعاد الثقافية والدلالية للتعبيرات الاصطلاحية العربية بوصفها وحداتٍ لسانيةً تختزن ذاكرةً حضارية وتُنتج معناها داخل شبكة ثقافية - تداولية. محاولا معالجة إشكاليّة: كيف تحافظ الصيغة على ثباتها بينما تتبدّل الدلالة عند انتقال العبارة من مرجعيتها النصّية/ الأدبية إلى الاستعمال اليومي؟ وقد بيّن البحث أنّ التناصّ وإعادة التكييف السّياقي والانتشار التداولي تُسهم في توليد معانٍ متجدّدة. ويقدّم هذا البحث إطارًا يميّز بين المعادل الدّلالي والمعادل الوظيفي ويضبط الملاءمة المقامية.

واهتمّ البحث الرّابع المعنون بـ "من علم العروض إلى الدّقة التّداولية: كيف تُشكّل العناصر الفُوقطعيّة العربية المعنى في الترجمة الفورية إلى الإنجليزية" بالدّور الجوهري للخصائص النّغمية والصّوتية في التّرجمة الشّفهية بين العربيّة والإنجليزيّة، وتشملُ هذه الخصائص: التّنغيم والنّبر وتنوّع درجات الصّوت وإيقاع الكلام وسرعته. مبيّنا أنّ المهارة النّغمية ليست عنصراً ثانوياً بل هي ركيزة أساسيّة لتحقيق الدّقة التّداولية والأمانة الوظيفيّة في التّرجمة. مقترحا إطاراً تطبيقياً للتّدريب والتّقييم يُراعي البُعد النّغمي، سعياً لسدّ الفجوة القائمة بين الجانب النّظري والبيداغوجي للتّرجمة الشّفهية من جهة، ومتطلّبات الممارسة المهنية من جهة أخرى.

أمّا ملف العدد فقد خصّصناه لقضايا المصطلح في العلوم الإنسانيّة فضمّ أربعة أبحاث:

- التأصيل الاصطلاحي في الرسائل العلمية (دراسة في نماذج مختارة من الرسائل العلمية لطلبة في جامعة الوصل). اهتمّ بالتأصيل الاصطلاحي في الرسائل العلمية، فدرس عيّنة من رسائل منجزة في جامعة الوصل، وأثار قضايا مثل أهميّة التأصيل الاصطلاحي، وإشكاليّة العربي منه وغير العربي، والأولي والمتطور.

- التحولات المفهومية في مصطلحات الهوية والذات في ظل الذكاء الاصطناعي: بحث يهدف إلى تحليل المتغيرات الدلالية والوظيفية التي طرأت على مصطلحي "الهوية والذات" في الخطابين الإنساني والنقدي بفعل تفاعل الإنسان مع تقنيات الذكاء الاصطناعي، كما يناقش بمنهج تحليلي وصفي انتقائي واقع الهوية الرقمية ويدعو إلى التأمل النقدي والفلسفي في إنتاج الهوية الجديدة في العصر الفائق كشريك معرفي في تشكيل السرديات الذاتية، وفي تغيير الرؤية للذات والعالم.

- من التوليد الآلي إلى التداول المصطلحي: قراءة تداولية في بناء المفهوم داخل النماذج اللغوية الذكية: يناقش هذا البحث إشكالية إنتاج المصطلح في ظل تطور النماذج اللغوية الذكية، من خلال مساءلة قدرتها على بناء المفاهيم بما تستلزمه من دقة دلالية وشرعية تداولية. ينطلق البحث من فرضية مفادها أن الذكاء الاصطناعي، رغم كفاءته في التوليد اللغوي، يظل محدودًا في إنتاج المفهوم الاصطلاحي المتكامل لافتقاره إلى الذاكرة المعرفية والسياق التداولي. ويحلّل العلاقة بين البنية الدلالية للمصطلح وبُعده التداولي، واختبار حدود النماذج اللغوية مقارنة بالمقاربات البشرية.

- المُصطلحُ الحِجاجيُّ بين الحدّ والتّوليد: ينطلق هذا البحث من فرضيّة مُفادها أنّ المصطلحات تخضع لسيرورة مستمرّة من التّوليد والتوسّع الدلاليّ بفعل الاستعمال والسّياق. وقد اِتّخذ البحثُ من متصوّر "بنينة الواقع" أنموذجًا تطبيقيًّا، مبرزًا محدوديّة تعريفه في سياق الحِجاج التّحاوريّ، حيث يُختزل في تحويل الواقع الذّهنيّ للمتحاورين وتوجيه قناعاتهم. مقترحا توسيع هذا المتصوّر عبر آليّة التتميم المعرفيّ، بما يسمح بتوليد دلالات جديدة، تتجاوز البعد اللّغوي إلى مستويات رمزيّة وتأويليّة وأنطولوجيّة، تُسهم في إعادة تشكيل الواقع ونظمنة المعنى.

وضمّ القسم الأخير تقديما لكتاب "أسلافنا العرب، ما تدين به الفرنسية للعربية" لجون بريفو.

والله وليّ التوفيق

أ. د. محمّد الصّالح البوعمراني

رئيس التحرير

بحوث ودراسات

العجيب والعُجَاب: الحدُّ والوظيفة السردية

The Marvelous and Wondrous: Boundary and Narrative Function

أ. د. طاهر مناعي

كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة

Prof. Tahar Mannai

Faculty of Letters, Arts Humanities and Social Sciences of Manouba

https://doi.org/10.47798/fom.2025.i05.01

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

إنَّ هذا البحث هو محاولة لتحديد مفهومي العَجيبِ والعُجابِ وتوضيح وظيفتيهما في السّرد القصصي، بعد أن أصبح اهتمام الدارسين العرب - اليوم- كبيرًا بهذه الظاهرة الأدبية في تراثنا وفي إنتاجنا الروائي المعاصر ولا أدلّ على ذلك من انعقاد ندوة باريس سنة 1974م. وهذه الندوة التي تحتضنها مدارج كلّيتنا (1994)، وفي الحقيقة أن ما دعاني إلى الخوض في هذا الموضوع أمران: الأوّل: هو ما عليه بعض المفاهيم النّقدية العربية وحتى الأجنبية من كثرةٍ أدّت إلى اللبس، وفقدان الدّقة في تحديد خصائص بعض الأجناس وأشكالها. والثاني: ما لوحظ من صعوبة إن لم نقل من فوضى في تصنيف بعضٍ من إنتاجنا القصصي القديم والحديث ضمن أبواب معلومة تحسم فيه النّقاش على الأقل من النّاحية المنهجية. لذلك فنحن نهدف من وراء هذه الدراسة إلى بيان الحدِّ الفاصل بين العجيب والعجاب من حيث المفهوم ومن حيث الوظيفة داخل الفضاء القصصي والروائي، ومن ثمّة المساهمة في ضبط المفاهيم.

الكلمات المفاتحية: (العجيب، العُجاب، السرد القصصي، الخطاب السردي، القصة والرواية، التراث السردي العربي، السرد العربي المعاصر).

Abstract

This study seeks to define the concepts of the marvelous (al-ʿajīb) and the wondrous (al-ʿujāb), and to clarify their respective functions within narrative discourse. This endeavor comes in response to the growing interest shown by Arab scholars today in this literary phenomenon, both in our classical heritage and in contemporary Arabic narrative production. Evidence of this heightened interest includes the Paris conference held in 1974, as well as the symposium hosted by the lecture halls of our faculty in 1994.

In fact, two main factors motivated me to engage with this topic. The first concerns the excessive proliferation of certain critical concepts—both Arabic and foreign—which has led to confusion and a loss of precision in defining the characteristics of some literary genres and their forms. The second factor lies in the difficulty—if not the methodological disorder—observed in attempts to classify parts of our ancient and modern narrative production within clearly defined categories capable of settling the debate, at least from a methodological standpoint.

Accordingly, this study aims to delineate the boundary separating the marvelous and the wondrous, both at the conceptual level and in terms of their function within the short story and the novel, thereby contributing to a more rigorous clarification and stabilization of critical terminology.

Keywords: (The Marvelous, The Wondrous, Narrative Discourse, Arabic Fiction, Critical Concepts, Genre Classification.

1- بدايات منهجية

أ- يتنزّل العجيب والعُجاب ضمن ظاهرة أدبية عامّة وقديمة هي أدب «الفانتاستيك» (La littérature fantastique) وهو «كلّ كتابة تحتوي على كائنات أو أحداث غير طبيعية باستثناء ما جاءت به الكتب المقدّسة ومعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء» ولا يشمل هذا الأدب الحكايات المروية على لسان الحيوان ككليلة ودمنة (les fa-bles) ولا الأدب الرمزي، ويقوم أساسًا على القصص السّحري (les contes de fées) وقصص الأشباح، وانضاف إلى هذين اللّونين قصص الخيال العلمي.

ب- إنّ مجال الأدب الفانتاستيكي بفرعيه: العجيب والعُجاب ليس الأدب الشعبي كما يتوهّم البعض، فالأدب الشعبي ليس إلاّ رافدًا غذّى في فترة لاحقة الكتابات الروائية والمسرحية وحتى الشعريّة بعناصر فنتاستيكية، وفتح بذلك مجالات جديدة في التعبير تجاوزت - بتطوّر العلوم الاجتماعية والنّفسية- الجانب الخارجي، ونفذت إلى الشعور، والذّاكرة وماله اتّصال بالحلم والجنون والهذيان.

ج- عندما نتحدّث عن العجيب نتحدّث ضمنيًّا عن الغريب، ونعتبر موقف التعجّب ناتجًا عن غرابة ما، أو حادثة غير مالوفة. فالعلاقة بين الغريب والعجيب علاقة سبب بنتيجة؛ إذ الغريب مهما يكن شكله حسّيًّا أو معنويًّا هو الباعث على ردّ الفعل. وبقدر ما تتعاظم الغرابة يقوى التأثير ويتضاعف ردّ الفعل. وينتقل السامع أو القارئ (الخارج عن النّص) أو البطل (الفاعل في النّص) من موقف «المتعجّب» إلى موقف «المروّع (merveilleux) ويحدّد موقعه من الأحداث تبعًا لأثرها في نفسه. ويمكن لهذا الرسم البياني أن يضجّ العلاقة.

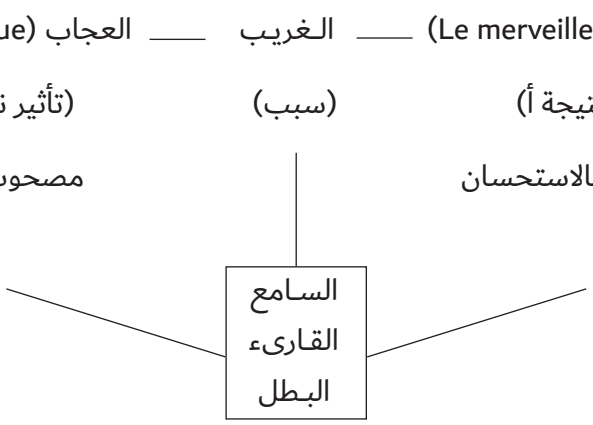

ولا نشاطر تودوروف (Toborov) تمييزه بين العجيب والغريب؛ لأنّ حججه غير مقنعة ومتردّدة، وفي بعض الأحيان مفتعلة[1].

ولو عدنا إلى التراث لتأكّد ما ذهبنا إليه: فالجاحظ (150هـ - 255هـ) مثلاً لم يكن يميّز بين العجيب والغريب في كتابه «البيان والتبيين»[2] وكذلك زكريا القزويني (605هـ - 682هـ) في كتابه «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» حين يقول:»الغريب كلّ أمر عجيب قليل الوقوع مخالف للعادات المعهودة والمشاهدات المألوفة»[3].

لذلك لا يمكن من الآن أن نتحدّث عن ظاهرة العجيب (le merveilleux) وتقابلها ظاهرة العُجاب (le fantastique) وهما أثران من آثار الغريب، ويتنزلان ضمن ظاهرة أعم وأشمل هي الأدب الفانتاستيكي (la littérature fantastique).

2- حدّ العجيب ووظيفته السرّدية

لغويًّا سبقنا إلى ذلك المرحوم حمادي الزنكري الذي تتبّع دلالات الكلمة وتطوّرها في بعض المعاجم[4] وانتهى إلى نتائج سنستثمرها في هذه الدراسة، على أنّ ما يلاحظ بشكل عام هو أنّ «اللغة العربية المبسوطة في المعاجم ثرية بكلمات أو أساليب جاهزة أو أمثال سائرة تحيل بشكل مباشر أو غير مباشر على هذه الظاهرة، وتتنوّع اللغة كلّما اختلفت زاوية النظر إلى المسألة.»[5].. فمنها لغة حدّدت العجيب بموقف الإنسان منه: الدّهشة والانبهار والهول والحيرة والخوف والعجب والفزع، ومنها ماربط العجيب بجنسه الحكائي: خرافة أسطورة، حكاية، أباطيل، أكاذيب، طرفة، نادرة[6] وعلى العموم، فإنّ التعريف الشائع

1- يرى أنّه على القارىء أو بطل القصة أن يتّخذ قرارًا في النهاية، فإذا وجد تفسيرًا لما يحدث (ظواهر غير مألوفة) فذلك يدخل في باب الغريب، وإذا لم يجد تفسيرًا، وأقرّ بوجود قوانين أخرى فوق طبيعية فذلك يدخل في باب العجيب، والحالة التي تنتاب الشخص قبل اتّخاذ القرار يسميها «التردّد» (Hesi-tation) وهي عين الفانتاستيك: انظر. Toborov (T): Introduction à la littérature fantastique, Ed du Seuil, Paris 1970, pp 47-52.

2- الجاحظ (عمرو بن بحر). البيان والتبيين، تح عبد السلام محمد هارون، الجزء الأوّل، دار الفكر، بيروت، د.ت- ص 50.

3- القزويني (زكريا بن محمد). عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، تح فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1973، ص 31.

4- الزنكري (حمادي). العجيب والغريب في التراث المعجمي: الدلالات والأبعاد، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب، العدد -33 1992.

5- المرجع نفسه.

6- المرجع السابق.

في المعاجم العربية هو أنّ العجيب ما يدعو إلى العجب، والعجب روعة تأخذ الإنسان عند استعظام شيء يقال هذا الأمر عَجَبٌ و»هذه قصّة عَجَبٌ وعَجَبٌ عَاجِبٌ شَدِيدٌ [للمبالغة]»[1].

واستعملت لفظة العجيب في بعض المعاجم، وكتب الأدب باعتبارها مرادفًا للغريب، ولذلك فالعجيب أو الغريب هو ما استعظمه الإنسان أو استحسنه أو جهل سببه[2]، بيد أنّ تلك المعاجم لم تميّز بين حالة الإعجاب المؤدّية إلى الاستحسان وحالة الإعجاب المؤدّية إلى الخوف، وهما حالتان متناقضتان عبّر عنهما لفظ واحد العجيب [وأحيانًا الغريب] وتتبادل الكلمتان (عجيب وغريب) المواقع في بعض المعاجم أو كتب الأدب.

الملاحظة الأخيرة هي أنّ أغلب الدّلالات في المعاجم وكتب الأدب لها أبعاد لغوية ودينية، ولم يقع الاهتمام بالعجيب باعتباره تقنية سردية إلاّ في القليل النادر كما هو الحال مع الجاحظ حين يقول محلّلا العلاقة بين العامة والقصاص «فإذا هجموا على ما لم يحتسبوه، وظهر منه خلاف ما قدّروه تضاعف حسن كلامه في صدورهم، وكبر في عيونهم؛ لأنّ الشيء من غير معدنه أغرب، وكلّما كان أظرف كان أعجب، وكلّما كان أعجب كان أبدع؛ وإنّما ذلك كنوادر كلام الصبيان وملح المجانين فإنّ ضحك السامعين من ذلك أشد، وتعجّبهم به أكثر، والنّاس موكلون بتعظيم الغريب، واستظراف البديع.»[3]

أمّا اصطلاحًا، فرغم ما يحمله الخطاب العجائبي من مضامين وخصائص، فإنّ التردّد مازال قائمًا في اعتباره جنسا مستقلا بذاته. ومهما يكن من أمر فإنّه يبقى جزءًا من الخطاب الروائي عامّة[4] أطلق عليه الغرب عدّة تسميات منها:

L’etrange, le merveilleux, le surnaturel, l’imaginaire, l’admirable, le fascinant, le miraculeux...

فهو من ناحية تقنية سردية تساهم في حبك الأحداث وفي مزيد تأزّمها، ومن ناحية أخرى مادّة بعناصرها وشخوصها «تضاف إلى عالم الواقع دون أن تسيء إليه أو أن تحطّم

1- المكتبة الإسلامية. المعجم الوسيط، الجزء الثاني، إسطنبول 1972، ص 584.
2- راجع: ابن منظور (محمد بن مكرم). لسان العرب، المجلد الأوّل، بيروت 1300هـ، ص 580.
3- الجاحظ (عمرو بن بحر). البيان والتبيين، ج 1، ص 50.
4- لقد حسم "جان بلمين نوبل" (J.Bellimin) في هذه المسألة، وأكّد أنّ الفانتاستيك هو طريقة في الحكي.
انظر مقاله: Notes sur le fantastique (texts de théophile Gautier) in littérature, N°8, Décembre 1972.

نسقه»[1] فعالم العجيب وعالم الواقع يتعارضان دون صدام أو صراع؛ لأنّهما يخضعان لقوانين مختلفة، وعالم العجيب يثير الدهشة والحيرة والانبهار، ولكنّه ليس مخيفًا ولا مروِّعًا[2] رغم وجود المردة والسحرة والجنّ والخوارق والتحوّلات العجيبة.. وعالم العجيب منظّم، وفيه أيضًا صراع بين قُوى الخير وقوى الشرّ، ونهايات أحداثه تكون في الغالب سعيدة.

وفي النهاية إنّ ما يحدث في هذا العالم لا يصدم القارئ (أو السامع)؛ لأنّه يعلم منذ البداية أنّ أحداث القصة من نسيج الخيال. وأنّها تخضع لمنطق غير منطقه، وحتى وإن وقع هذا «الصدام» فله مبررات نفسية أو ثقافية لا غير.[3]

والعجيب في الغالب»يخلق في المتعجّب أثرًا شبيها بالسّحر، والالتذاذ وليس من الصدفة إذاك أن يتوجّه النّص العجائبي إلى العامة قبل غيرهم أو أن يجد لديهم الرواج والإقبال منذ العهود الأولى لانتشار القصص الديني، وهذا على عكس الأجناس الأدبية المعهودة الأخرى القائمة على الالتزام بجماليات أدبية لا تدركها العامة لما تحتاجه من نظرٍ فاحص وحسّ أدبي ولغوي مخصوص.»[4]

إنّ ردود الفعل الإيجابية تجاه ظاهرة العجيب سواء كانت حسّية (لذّة - متعة) أو نفسية (راحة- تعويض- انبساط) هو ما يفسّر انتشار ظاهرة القص في المجتمع العربي منذ الجاهلية. وازدهاره بصفة خاصّة في العصور العباسية[5] مما أفرز أشكالاً قصصية متعدّدة منها: الأسطورة والخرافة والحكاية[6]، إلى جانب ما تزخر به كتب التاريخ والرحلات ومؤلفات الصوفية من أخبار ونوادر.

1- Caillois (Roger): Fantastique, in Encyclopaedia Universalis, Corpus.9, Paris 1990, p 284.

2- كلّ المعاجم العربية لم تربط العجيب بالإحساس بالخوف، وهو ما يؤكّد ما ذهبنا إليه.

3- يفسّر ذلك بسن القارىء أو السامع ومستوى ثقافته، لذلك يقبل على هذه القصص نوع خاصّ من الجمهور.

4- الزنكري (حمّادي)، المرجع نفسه.

5- "ليتمان" (Littman): ألف ليلة وليلة: لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية دار الكتاب اللبناني، 1992، ص77.

6- الأسطورة: ارتبطت على مستوى الاصطلاح بالخرافات والأباطيل... لها دلالة سلبية في النّص القرآني. والخرافة: هي الحديث المستملح من الكذب، كان لها رواج بين العرب. أمّا الخرافة فهي حديث مستملح وموضوع عن أمور تتجاوز المحسوسات (الجنّ)
راجع مقال الزنكري (حمّادي)، المرجع نفسه.

وأهمّ سجل في التراث العربي حوى تلك «الأجناس» القصصية حكايات ألف ليلة وليلة التي تعتبر خير ممثل لظاهرة العجيب بالمفهوم الذي حدّدناه سابقًا. وبقطع النظر عن مصادرها (الهندية والفارسية والعربية) وعن مضامينها الحضارية الشرقية (المعتقدات- الأديان- الأخلاق- القيم- التاريخ- الجغرافيا...) فهي تزخر بقصص الأسفار التي تحملها عن أجنحة سحرية إلى السند والهند والبنغال وتصف لنا مخلوقات عجيبة، وكائنات خرافية وأماكن أسطورية زارها السندباد... «وكثيرًا ما يتّسم هذا اللون من القصص بالخيال الجامح، والغرابة المحيّرة في تصوير البقاع والمخاطر والأهوال التي يتعرّض لها الأبطال... وتتكيّف (شخصيات الحكايات) مع روح العصر، ومع المعتقدات أو الخزعبلات (كذا) التي تسوده وتتحوّل إلى ملائكة طاهرة أو مردة وشياطين مهلكة تساعد هذا، وتخذل ذاك وتقطع آلاف الأميال في لحظات البرق، وتخرج الكنوز الدفينة من مكمنها في البرّ والبحر وتحيل العمران خرابا والخراب قصورًا، وتأتي بالخوارق والمعجزات التي تحيِّر الألباب.»[1]

وعالم العجيب شاسع جدًّا يتيح للراوي أن يحطّم جميع القيود والحواجز؛ لأنّه لا فرق في تصوّره وفي تصوّر الجمهور بين الخيال والواقع ما دامت الحكاية تحملهم إلى فردوس مفقود في الحياة اليومية، وما دام القاصّ «يريد أن يشبع رغبة الشعب في أن يلتذّ بما يستمتع به الخاصّة الممتازون من ألوان العلم والمعرفة» [2] لذلك تصبح الحكاية في ألف ليلة وليلة «حلمًا جماعيًّا»[3]، وعالم التوازن بين الموجود والمنشود[4].

ولم يقتصر توفّر العجيب على ألف ليلة وليلة وما شابهها من حكايات شعبية، وإنّما ظهر في أدب النخبة بشكل متّزن ومدروس، كما هو الشأن بالنسبة إلى «رسالة الغفران» لأبي العلاء المعري (363هـ / 446 م) ورسالة التوابع والزوابع لابن شهيد (382هـ / 426 م) وهما رسالتان وإن اختلفتا في المضمون، فإنّهما تشتركان في بعض الخصائص الفنّية، وتحتويان على نصيب وافر من العجيب.

فالرسالة الأولى، وبصرف النّظر عن أسباب تأليفها الذاتية والموضوعية، قامت كما يذهب طه حسين على حظّ وافرمن الخيال لا حدّ له يشبه ما نجده عند «دانتي» وعند

1- أبو الحسن(هيام): ألف ليلة وليلة في المسرح الفرنسي، مجلّة فصول، مجلّد 3، عدد 4، أفريل/ ماي 1983، ص 174.
2- القلماني (سهير): ألف ليلة وليلة، دار المعارف بمصر، 1959، ص 83.
3- طرشونة (محمود). مائة ليلة وليلة، تونس، الدار العربية للكتاب، 1979، ص 39.
4- انظر مثلا: «ليتمان»، ألف ليلة وليلة، ص 83 وجمال الدين بن الشيخ: الثقافة العربية وتغييب المتخيّل. مجلة الكرمل، ع 27، 1988، ص 69.

«أنتول فرانس» وهي آية الأدب العربي لا يستثني منه شعرًا ولا نثرًا، قديمًا ولا حديثًا، بل يعدّها من القصص الخيالي النادر وأنّها أولى قصص الخيال عند العرب.[1]

أمّا الخيال الذي نعنيه فلا تكمن قيمته في خلق صور وأحداث لا وجود لها وإنّما في عملية تركيب وتأليف لصور جديدة من مواد موجودة في الكتب الدينية، والرصيد الثقافي، وفي الذاكرة صاغها المعري بوجدان الشاعر المرهف، وعقل الفيلسوف الحائر.

إنّ جنّة المعري إطار مثالي ورائع للعجيب، فيه من المتع الحسّية والمعنويّة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت: فقد توفّرت لابن القارح أنهار من اللبن والعسل والماء والخمر والحور العين وأشجار تضخّ ماء الورد وثمار ووحوش تتكلّم، وإذا خرج عترة الرسول كان حمزة «عليه نور يتلألأ وحواليه رجال تتألّق منهم أنوار»[2]، وإذا خرجت خديجة كان معها شباب على أفراس من نور[3]. وعالم العجيب في هذه الرسالة له شخوصه وطبيعته وقوانينه وأدواته ووسائل نقله: فالأواني من الفضة والذهب والخيل تطير، والخمر لا تسكر، والسحابة تمطر، «بماء ورد الجنّة... وتنشر حصى الكافور كأنّه صغار البرد.»[4] والطبيعة من كثب العنبر وأنقاء المسك فيها ينقلب الإوز إلى جوار كواعب يغنّين ويرقصن ويطربن الجالسين، ويصبح السواد بياضًا والقبح جمالا: «فزهير شاب كالزّهرة الجنيّة»[5] والأعشى «شاب غرانق غبر في النعيم المفانق وقد صار عشاه حورًا معروفًا وانحناء ظهره قوامًا موصوفًا.»[6]

وفي هذا العالم الغريب الذي ابتدعه أبو العلاء تروي الحيات الشعر وكذلك الجن والعفاريت، ويتكلّم فيه إبليس «وهو يضطرب في الأغلال والسلاسل ومقاطع الحديد»[7] ويجول صخر وهو «كالجبل الشامخ والنار تضطرم في رأسه».[8]

ندرك من كلّ ما تقدّم أنّ هذا الخطاب العجائبي الذي هو من ابتداع المخيّلة لا يعبّر فقط عن غرابة مقلقة تمتطي المفارقة والتناقض وهتك الواقع العقلي بما هو خارج عن حدود الطبيعة (surnaturel) وإنّما هو يسعى بالأساس إلى التعبير عن رغبات الإنسان

1- حسين (طه): تجديد ذكرى أبي العلاء، دار المعارف، (ب.ت)، ص 224.
2- المعري (أحمد بن عبدالله).رسالة الغفران، تحقيق الدكتوره بنت الشاطىء، مصر، دار المعارف، ص 178.
3- المصدر السابق، ص 275.
4- المصدر السابق، ص 276.
5- المعري(أحمد بن عبدالله)، رسالة الغفران،...المصدر السابق، ص 182.
6- المصدر السابق، ص 177.
7- المصدر السابق، ص 309.
8- المصدر السابق، ص 310.

الساذجة، ويتوق إلى كشف أسرار الغيب والسيطرة على الكون والهروب من الموت والشيخوخة.[1]

وفي «رسالة التوابع والزوابع» لابن شهيد بناء فنّي صاغه الكاتب من خياله ومعماره يشبه إلى حدّ بعيد هندسة رسالة الغفران مع بعض الاختلاف في المقاصد طبعًا، فابن حزم وابن شهيد في عالم «التوابع والزوابع» هما الشخصان الحقيقيان، وما عداهما توابع وشياطين وحيوان، وهي كائنات خرافية نسج معالمها خيال الكاتب. هناك صعوبة في الانتقال من عالم يسكنه البشر إلى عالم «التوابع والزوابع»[2] (عالم الجن والشياطين). وهذه الصعوبة «تكون أشدّ بقدر ما تكون ذهنية، أولا لأنّها تقتصر على بناء العالم داخل ذهن القارئ وخياله، وغريبة ثانيًا ؛لأنّها تنوي تشييد عالم مفارق وعادي في نفس الوقت، بمعنى أنّها عالم غريب عن تصوّر القارئ، وفي نفس الوقت غير مطلق الغرابة إلى الحدّ الذي يستحيل معه تصوّره.»[3]

وعندما يصبح عالم الغرابة هذا هو عالم الرغبة الذاتية يعبّر عنها ابن شهيد ويحقّقها له تابعه (الجنّ والشيطان) كلمح البصر «فإنّه يجتاب الجوّ فالجوّ يقطع الدّو فالدّو حتى ألمح أرضًا لا كأرضنا وشارف جوًّا لا كجوّنا متفرع الشجر عطر الزّهر».[4]

إذن يستنتج من هذا أنّ عالم العجيب، عالم مريح عطر يجدُ فيه القارئ والكاتب (الرّاوي- البطل...) اللذّة الحسّية والراحة النّفسية، ويتخلّصان فيه من كلّ الهموم والهواجس والكوابيس: هو عالم الانفراج والانبساط رغم ما فيه أحيانًا من تشويش، هو وليد ظروف وقتية سرعان ما تعود الحياة فيه إلى نظامها العادي. بيد أنّ عجيب هذه الرسالة ليس فقط حلمًا أو تعبيرًا عن أشواق دفينة، لم تجد لها متنفّسا، بقدر ما هو عملية فنّية تتمثّل في بناء واقع ثان فوق الواقع، أو بناء عالم موازٍ له أطره وقوانينه وفضاءاته بشكل فنّي يتجاوز المطرد والمعهود.

وهكذا يصبح عالم العجيب في الرسالتين عنصر تحرّر وانعتاق مقابل واقع أرضي يتّسم بالرتابة والانغلاق.

1- Caillois (Roger): Fantastique, in Encyclopaedia Universalis, Corpus.9, Paris 1990, p 286.

2- التابعة: جنية تتبع الإنسان، والزابعة رئيس الجنّ

3- ابن شهيد (أحمد بن عبدالملك). رسالة التوابع والزوابع مع دراسة لعبد العزيز شبيل «البنية القصصية في الرسالة»، المنشورات، تونس ب-ت، ص 5.

4- المصدر السابق، ص 36.

العجيب في الرّواية العربية الحديثة: أحلام شهرزاد لطه حسين نموذجًا

ما من شكّ في أنّ «أحلام شهرزاد» [1] تمتلك مقوّمات الرواية: فهي نصّ سردي به شخوص وأحداث متصّل بعضها ببعض وتجري في أطر معيّنة ضمن نقطتي البداية والنهاية. وإذا كان الإجماع حاصلاً على أنّ الرواية هي بالأساس عمل تخييلي[2] (fictif). فإنّ هذا الرأي ينطبق تمامًا على رواية أحلام شهرزاد التي زاوج فيها طه حسين بين الشكل الفنّي القديم (الإطار والأشخاص) وبين المضمون الرمزي الحديث * واستعان في ذلك بالعجيب ليعطي الرواية بعدها الأسطوري غير المحدود، وفي وجود شهريار، وشهرزاد من ناحية وفاتنة وأبيها من ناحية أخرى تأكيد لهذا الاختيار.

توهمنا الرواية في بداية أحداثها بأنّها تجري في فضاء واقعي، لكن الراوي سرعان ما يحملنا إلى عالم القصّ الشرقي: فإذا بشهريار بين حلم ويقظة، وإذا بشهرزاد تروي وهي نائمة في الليلة التاسعة بعد الألف قصّة فاتنة، وتقول. «بلغني أيّها الملك السعيد أنّ طهمان ملك الجنّ في حضرموت كانت له فتاة رائعة الحسن بارعة الجمال لا تثبت القلوب للحظاتها إذا نظرت، ولا تثبت النّفوس لصوتها إذا تكلّمت وكانت على حسنها الرائع، وجمالها البارع ذكيّة القلب نافذة البصيرة، قد قرأت كتب الأولين، وعرفت حكمة المحدثين... وكان ملوك الجنّ في أطراف الأرض التي يسكنها الناس وفي أطراف الأرضين التي ليس للناس بها عهد قد تسامعوا بجمالها وذكائها... وتسارعوا إلى أبيها الملك طهمان يخطبونها إليه ويحكّمونه فيما يخضع لهم من الممالك والأقاليم...»[3].

ولشدّ ما يندهش القارئ وهو يرى عالمًا غريبًا يحيط بشهريا، ر وهو فيه حائر متردّد لا يميّز بين الحقيقة والخيال واليقظة والحلم: وتزداد دهشته كلّما تدخّلت كائنات غريبة في حياة الملك كالطائف وشهرزاد والموسيقى، ولوحات الرقص الباهرة، ويزداد عالم العجيب المتولّد عن الحلم والهذيان اتّساعًا وكثافة كلّما انتقل بنا الراوي من عالم شهريار الأرضي،

1- أمْلَي طه حسين، الجزء الأوّل من هذه الرواية في القدس في سبتمبر 1942. وأملي الجزء الثاني في الإسكندرية في جانفي 1943، راجع أحلام شهرزاد: الأعمال الكاملة، بيروت، دار لكتاب، 1983، ص 598.

2- انظر على سبيل المثال: Jean Cabries: «Roman- Essai de typologie», Ency, Ency, Univ.Cor-pus20, p127.

* سنتجنّب في هذا البحث الخوض في دلالات الكتاب الرمزية، ونركّز على القضايا الفنّية ومنزلة العجيب فيها.

3- حسين (طه): أحلام شهرزاد، دار المعارف بمصر، طبعة 6، ص 17.

إلى عالم فاتنة الضّارب في الغرابة حيث الأزمنة «لا تحسب بالساعات والأيام ولا بالشهور والأعوام، وإنّما تحتسب بالقرون المتتابعة والأحقاب المتلاحقة.»[1]

أمّا الأمكنة فهي فضاءات في البرّ والجوّ، تنمحي فيها العوائق والحدود، ويعيش فيها الجنّ وفق نظام سياسي واجتماعي لا مثيل له، ويمتلكون قوى عظيمة وقدرات رهيبة، على أنّ أكثر المشاهد طرافة وأقواها تأثيرًا ما صوّره الراوي في أثناء قيام الحرب بين مملكة فاتنة وأعدائها: «فقد زلزلت الأرض زلزالها، ولبست السماء أبشع ثوب رآه سكان الأرض والسماء.»[2]: فالظلام والسحاب والرعد والبرق والصواعق، وموج البحر والجبال والرياح والماء والنار كلّها تتحرّك، وتتصارع و»فاتنة قائمة باسمة لا تقول شيئًا... ويهم والدها أن يقول شيئًا ولكنّه يُردّ عن القول، فهذه المناظر الرائعة المروّعة الهائلة ثابتة لا تتحوّل مرسلة الرّوع والروعة جميعًا دون أن يصيب المدينة منها شرّ أو ينال المدينة مكروه»[3] بهذه المشاهد بلغ طه حسين بالعجيب أقصى مداه فتحوّل كما قال الراوي الإحساس بالعجيب من الروعة المستحبّة إلى الروع المروّع. وبهذا كادت الرواية تتحوّل من «جنس العجيب» إلى «جنس العُجاب» (Du merveilleux au fantastique) لو لم يكن القارئ يعلم منذ البداية أنّ القصّة تجري في أجواء خيالية.[4]

نستنتج ممّا تقدّم أنّ ظاهرة العجيب في الأجناس القصصية العربية قديمها وحديثها متوفّرة بكثافة وأنّ غرابة الأحداث، والأشخاص والأمكنة والأزمنة وحدوث الخوارق لم تؤثّر في أنظمة العالم الأرضي ولم تحدث فيه خللاً ولا تشويشًا، وإن حدث ذلك أحيانًا فهو ظرفي وسرعان ما يدرك القارئ أنّ ما يجري أمامه يخضع لمنطق غير منطقه ولقوانين غير القوانين الطبيعية المعروفة، وبالتالي فهو يعجب و ينبهر ويحاور لكن دون أن يستولي عليه رعب خانق يهز مداركه ووجدانه فيختلط عليه الواقعي بالخيالي. وهذا ما يستجيب لشروط العجيب كما حدّدناه سابقًا.

ولا يفوتنا في هذا المجال أن نذكّر بأنّ رصيد الشرق من القصص والأساطير انتقل إلى أوروبا في العصور الوسطى خاصّة عن طريق التجار والملاّحين والغزاة وحجّاج بيت

1- المصدر السابق، ص 18.
2- حسين (طه) أحلام شهرزاد...المصدر السابق، ص 90.
3- المصدر السابق، ص 95.
4- لمزيد التوسّع يمكن مراجعة الفصل الأوّل من الباب الثاني من بحث جامعي مرقون لنيل شهادة الكفاءة في البحث قدّمته نجوى القسنطيني: بعنوان، المضامين والأساليب الفنّية في أحلام شهرزاد، كليّة الآداب والعلوم الاجتماعية، تونس 1988.

المقدس و»اختلط أبطال ألف ليلة وليلة ومخلوقاتها الخرافية وما يأتونه من خوارق بما تحكيه الأساطير اليونانية والرومانية والأسرار الكهنوتية المسيحية، وانصهرت عناصر جاءت من هنا وهناك في بوتقة الحكايات الشعبية التي تتحدّث عن الجان والمعجزات وتروي مغامرات الأبطال في بلاد العجائب.»[1]

وبذلك بدأت طلائع التأليف في هذا اللون من الأدب تظهر في فرنسا وانجلترا وألمانيا [2] وعنه تفرّع ما يسمّى بالفانتاستيك أو لنقل حلّ محله خلال القرن الثامن عشر ردًّا على غلاة العقلانية.

3- حدّ العُجاب ووظيفته:

جاء في القرآن ما يلي: وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ، أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ.[3]

إنّ ورود مادة (عَجِبَ) بصيغتين مختلفتين (فَعِلَ) و(فُعَالٌ) في الآيتين يدلّ على وجود اختلاف بينهما في الدلالة، وإن لم يكن هناك اختلاف فعلى الأقلّ هناك درجتان من التعبير متفاوتتان: فمعنى «العجب» الأولى (عجبُوا) الاستغراب؛ لأنّ النّبي محمد من قريش ويدّعي ما لا يعتقدون، فهو في نظرهم ساحر كذّاب. ومعنى «العجاب» الثانية في الآية (... إنّ هذا لشيء عجاب) يفوق معنى التعجّب، ليصبح ضربًا من خطل الرأي أو الجنون أو الاستحالة. وهذا يعني أنّ العقل (عقل المشركين) لا يقبل أن تتوحّد الآلهة في صورة إله واحد؛ لأنّ هذا الرأي مخالف للأعراف والمعتقدات السائدة. وهو يزعزع سكونية المجتمع ويُحدث فيه ما يحدث من فوضى وتشويش.

هذا الأمر تفطّن إليه الخليل بن أحمد الفراهيدي (100هـ/ 175هـ) في كتابه «العين» وتحسّس المعاني الحافة بالعبارتين (العجيب والعجاب) لكنّه لم يتوسّع في الشرح، فجاء عمله مشوبًا بشيء من الغموض. يقول: « أمّا العَجيب فالعجبُ وأمّا العُجاب فالذي جاوز حدّ العجبِ مثل الطويل والطوال، ونقول: هذا العجب العاجِبُ أي العجيب.»[4]

1- أبوالحسن (هيام). ألف ليلة وليلة في المسرح الفرنسي، مجلّة فصول، مجلّد 4، ع 3، أفريل/يونيو 1983، ص 175.

2- Caillois (Roger): Fantastique, in Encyclopaedia Universalis, Corpus.9, Paris 1990, p 28.

3- سورة ص: الآيتان 4 و5.

4- الفراهيدي (الخليل بن أحمد).كتاب العين، ج1، تح. مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، بيروت - لبنان 1988، ص 235.

وهذا يعني أنّ العَجَبَ والعَجيبَ والعاجِبَ بمعنى واحد، وأنّ العُجاب له معنى آخر، وهو شعور أو موقف أو ردّ فعل على أمر جاوز حدّ العَجب.

وردّد ابن منظور (630ه / 711ه) في معجمه»لسان العرب» [1] ما ذكره الخليل دون إضافة تذكر، أمّا الزبيدي (1145ه/ 1205ه) فله في معجمه «تاج العروس» شروح مستفيضة وطريفة في مادة (عجب): منها أنّ « (عجيب) كأمير و(عُجاب) كغراب، و(عُجّاب) كرّمان. وقرأ عبد الرحمن السلمي فإنّ هذا لشيء عُجَّابٌ.» بالتشديد. قال الفرّاء هو مثل قولهم: « رجلٌ كريمٌ وكُرامٌ وكُرّامٌ وكبيرٌ وكَبّارٌ وكُبّارٌ / وعجّابٌ بالتشديد أكثر من عُجابٍ» ويضيف: عَجَبَ (عُجابٌ) على المبالغة. أمّا (العُجاب) فإنّه (ما جاوز). كذا في نسخة العين ويوجد في بعض نسخ الكتاب ما تجاوز (حدّ العجب) وهذا الفرق نصّ كتاب العين»[2]

نستخلص من وراء الزبيدي أنّ كلمة عُجاب (أو عُجّاب) تستعمل للمبالغة، أي: إنّها درجة ثانية من ردود الفعل أقوى وأشدّ من العجب والعاجِب. وأنّ العُجاب بهذه الصفة هو ما فاق الحدّ أي حدّ التصوّر والتخيّل. وينتج عن ذلك ردّ فعل من السامع أو القارئ مساو له في القوّة أو يفوق. والأمر إذا بلغ حدّه انقلب إلى ضدّه. فالعجيب إذا بلغ أقصاه من الروعة والحسن والغرابة أصبح مخيفًا ومحيّرًا بل ومروّعًا. ومن هناجاء اختيارنا لعبارة العُجاب لتقابل مفهوم (le fantastique) الذي هو بدوره امتداد طبيعي لظاهرة العجيب (le merveilleux) في الأدب.

إذن العُجاب اصطلاحا هو خطاب روائي يقدّم شخوصًا وظواهر فوق طبيعية داخل فضاء طبيعي. وهو لا يحدث انفعال النّفس فقط كما هو الشأن بالنسبة إلى العجيب، بل انفعال النّفس والعقل معا، ويبرز الانفعال في « تردّد كائن، لا يعرف سوى القوانين الطبيعية، أمام حادث له صبغة فوق طبيعية»[3] ويشكّل هذا التردّد (hésitation) العنصر الأساسي لظاهرة العُجاب في الرواية، فإنّ إقحام عناصر غامضة، غير مقبول وغير قابلة للتفسير في عالمنا الأرضي يدعو إلى التساؤل: هل إنّ ما يحدث وهم أم حقيقة؟ فالبطل كالقارئ يبقى مترددًا بين تفسيرين أحدهما عقلي والآخر غيبي. وإذا كان « تودوروف» (Toborov) قد ركّز على التردّد باعتباره السّمة البارزة في العُجاب، فإنّ «لوفيكرافت» (Lovecraft) يرى أنّ

1- ابن منظور (محمد بن مكرم). لسان العرب: المجلد الأوّل، دار صادر، بيروت 1300ه، ص 581.

2- الزبيدي(محمد مرتضى) , تاج العروس: الجزء 3، تح. عبد الكريم العزباوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1967، ص 321.

3- Toborov (T): Introduction à la littérature fantastique, Ed de Seuil, 1970, p29.

العُجاب هو تجربة الخوف التي يعيشها القارئ. وأنّ القصّة تكون مروّعة متى أحسّ هذا القارئ في قرارة نفسه بالخوف والرّعب وبحضور عوالم وقوى غريبة» [1]. ذلك أنّ ما هو «فوق طبيعي» يسعى إلى إحداث خلل في نسق الكون فيعتدي على ما هو إنسي ويهدّد استقراره، وهو الذي تحكمه قوانين صلبة لا مجال للمستحيل فيها. وعلى عكس حكايات الجنّ والسحر فإنّ قصص العُجاب (أو المرّوع) تدور في أجواء مرعبة، تنتهي في الغالب بالموت أو الضياع أو باللعنة تلحق البطل، ثمّ يعود النظام الكوني إلى حالته الطبيعية [2].

وينشأ الترويع بصفة خاصّة عندما يعتقد القارئ، كبطل للقصّة، باستحالة حدوث خوارق؛ لأنّ ما قد يحدث من أشياء غريبة هو بشع ويتعارض مع قوانين الطبيعة المألوفة. ولكن ما لا يجب أن يحدث يحدثُ فعلا، وبشكل مفاجىء وعجيب يهتزّ له كيان القارئ كلّه خوفًا ورعبًا. ورغم أنّ العلم أعطى للإنسان تفسيرات مريحة لظواهر كونية عديدة، إلاّ أنّ ما يخيفه حقًّا أن تقتحم عالمه الجميل والمنظّم الأرواح والأشباح ومصاصو الدماء والشياطين، وإن كانوا من نسيج الخيال، إلاّ أنّ المخيّلة لا تبعدهم عن عالمها، بل بالعكس تقحمهم، وتتصوّر أنّهم يقتحمون الجدران والمرايا ويحملون بأيديهم الخفية الكؤوس، ويحرّكون تمثال البرنز، ويزيلون بيتا بأكمله أقام به مسافر [3]. على أنّه ليس من الضروري أن ترتبط كلّ ظاهرة مروّعة في نصّ روائي أو غيره بالتردّد أو الخوف فثمّة إمكانية «للإحساس بالتيه والعجز عن تمييز مجموع الظواهر سواء كانت رؤية أم (كذا) تجارب متخيّلة واستلهامية أم (كذا) حلمًا وهذيانا «[4]. وهو ما يعبّر عنه «بالغرابة المقلقة داخل نفسية الفرد»[5]. وكذلك ثمّة إمكانية لظهور التناقض والمفارقة. و»هذا التناقض الجدلي الذي تجدّ له مسوّغًا في الواقع يصبح بدوره مقياسًا لتدمير التماسك وطرح الأشياء في وضوح ما دام العقل يدعي الانسجام واللاتناقض (كذا)»[6].

إنّ هذه الشروط (أو العناصر) ليس من الضروري أن تتوفّر جميعها في رواية العُجاب (المروّع) دفعة واحدة فيكفي أن يكون هناك انتهاك (transgression) للعالم الحقيقي، ويكون من نتائجه الشعور بالتردّد أو التوتّر والخوف أو التناقض والتصادم، ليكون النّص

1- Ibid, p39.
2- Caillois (Roger): Fantastique, in Encyclopaedia Universalis, Corpus 9, p 284.
3- المرجع السابق، ص 284.
4- شعيب حليفي: شعرية الرواية الفانتلستيكية، مجلة الكرمل، العدد 40/41، 1991، ص 122.
5- حلّل هذا المفهوم "جون بلمين نوال" (J.Bellimin) في مقاله:
Notes sur le fantastique (textes de théophile Goutier) in literature, N°8, Décembre 1972
6- شعيب حليفي. شعرية الرواية الفانتاستيكية، مجلة الكرمل، العدد 40/41، ص 123.

الحكائي مروِّعًا على مستوى الحالة النفسية أو الحالة الذهنية.

هذه التعاريف المتعدّدة لمفهوم العُجاب (le fantastique) داخل النّص الحكائي معدومة تقريبًا في التراث العربي، وحتى في التراث الغربي، لأنّ الكتابة فيه لم تبدأ إلاّ مع نهاية القرن الثامن عشر وكانت امتدادًا لظاهرة العجيب في القصص الشعبي، لذلك سنوجّه اهتمامنا نحو القصص والروايات العربية الحديثة التي وإن استفادت من رصيد العجيب والعجاب في التراث، فإنّها جاءت متأخّرة جدًّا عن التجارب الغربية، جاءت حين أصبح «الروائي العربي يؤمن بالذاكرة والماضي والأحلام وهي تتلاقى مع الوعي، هناك اختزانات قديمة في أعماق الأديب أو الكاتب عندما تصعد من اللاّوعي يمكن أن تتجلّى في شكل رؤيوي جميل وعذب، لكنّها غير خارجة كلّيا عن سيطرة الوعي»[1]. أضف إلى ذلك، ودون تشاؤم مفرط، أن هذا الروائي أصبح يعيش واقعًا متردّيًا مليئًا بالتناقضات، فَقَدَ فيه الفرد الشعور بالعجز إلى حدّ الشلل. وكان من الطبيعي أن يولّد التفاعل بين المخزون الثقافي والواقع العربي المريض الرواية العربية التجريبية ذات الحساسية الجديدة، والتي أصبحت قادرة على رصد التناقضات المختلفة واختراق المناطق المجهولة والمحرّمة في كيان الفرد والمجموعة[2].

وفي هذا الإطار الدرامي، كتب محمد رشاد الحمزاوي ثلاث قصص مزج فيها الواقع بالخيال وخلق عوالم غريبة أضفى فيها على أبطاله وجودًا متميّزًا وقوّة سحرية زالت أمامها الحواجز بين المعقول واللاّمعقول ويتجلّى ذلك في قصّة «حياة» و»شارب النهر» و»باب العرش»[3]. فحياة البطلة امرأة تُحيي الموتى بعينيها الخضراوين والخادم في «باب العرش» يحلم بالمساواة والعدل ويدركهما عندما ينفتح أمامه «باب العرش» و»شارب النهر» قهرته مطالب البنك والرتابة الإدارية وثنائية الخطاب السياسي واختلطت عليه السبل، فاعترضه في طريقه حيوان مريع المنظر نتن الرائحة داخل حفرة، وبدأ يخاطبه، وكلّما دخل الحفرة رأس خرج له منها رأس ثانٍ... «فزمجر عبد القادر بكلّ ما أوتي من قوّة وارتمى

1- حوار مع حيدر حيدر: مجلة المسيرة، ع 15، آذار 1981، ص 78. نقلت عن شعيب حليفي مجلة الكرمل، ع 40/41، ص 113.

2- يمكن مراجعة المقال السابق في ما يخصّ البنى الأساسية للرواية العربية الحديثة وهي:

- تجسير الفجوة بين ما هو عاطفي وما هو اجتماعي... الاهتمام بالشعور الباطني (اللاوعي) العمل على تطويع الخطاب الروائي (أدوات وأوصاف).. استغلال أشكال تعبيرية جديدة كالفانتاستيك لتفسير تجربة الكائن الحي وتكسير الرتابة التي هيمنت على ذائقة القارئ طويلا بخلق غرابة مقلقة والنفاذ إلى الشعور والذاكرة: مجلة الكرمل، ع 40/41، ص 110.

3- انظر: المجموعة القصصية «طرننو» الشركة التونسية للنشر، 1975.

على الحفرة وحيواناتها ورؤوسها ليأكلها بأسنانه، ويمزّقها بأظافره فلم يجد لها أثرًا «[1] وبصرف النّظر عن الأبعاد الرمزية لتلك الأحداث، فإنّ الحمزاوي أراد أن يتجاوز أشكال الكتابة العادية، فأتاح له شكل العُجاب أن يتجاوز الواقع ويذهب إلى عالم «فوق طبيعي»، ولم يكن ذلك التصادم عنيفًا ومروّعًا كما جاء في رواية سليم بركات «فقهاء الظلام» التي يعتبر فيها العُجاب عنصرًا متطوّرًا فتّيًّا، ويشكّل العمود الفقري للنّص السردي.

أحداث هذه الرواية تجري في شمال سوريا داخل عالم للإكراد سكانه أشخاص عاديون يعيشون داخل عائلات معروفة كعائلة الملاّ بيناف وعائلة عفدي ساري. وكانت العائلة الأولى تنتظر مولودًا وهو ما حدث بشكل عادي جدًّا، لو لم يتكلّم المولود بعد ثلاث ساعات من حلوله بينهم...»بيكاس» (اسمه) يتكلّم ويطلب الزواج من «سينم» ابنة عمّه. «إنّها المحنة»...! تمتم الأب «محنة كمن يهذي...»[2] لم يفقه الوالدان شيئاً ولم يصدّقا شيئًّا، ولكنّهما نفّذا الأوامر خوفًا ورهبة. ويختفي بيكاس «العجاب» بعد زواجه في أجواء مشحونة بالتوتّر والانفعال، ويظهر حيًّا يوم «دفنه» ويختفي الأب الملاّ بيناف. وتُعرضُ صور ومشاهد لحياة الأكراد ممزوجة بأحداث غريبة منها خروج جثّة الجدّ من الصندوق، ومنها حديث الحيوان المنوي وهو يخترق النفق، ومنها زرع الأصابع الآدمية في الأرض وحصادها: إنّها حقًّا مشاهد مروّعة بشعة تحدث في محيط طبيعي كلّ ما فيه يخضع للعقل والمنطق والقانون، إلاّ تلك الظواهر اللامعقولة والخارجة عن حدود الإدراك العقلاني. «فقارىء فقهاء الظلام ستتلبسه حيرة عميقة تضرب بجذورها بعيدًا في شتّى أنواع التردّد... وتردّد الشخوص هو تردّد يوازي تردّد القارىء وذلك بهدف الإيهام الدقيق بواقعية الحدث.»[3]

إنّه ما من شكّ في أنّ عالم العُجاب المروّع بمكوّناته الأساسية كالصّدام والرّعب والتردّد ليس في الحقيقة إلاّ دلالة على عنف الواقع نفسه «فعالم الأكراد يصفه سليم بركات هو فضاء ذو خصوصية فيها من الرعب والعنف الشيء الكثير، شكّل ما هو فانتاستيكي فيه علامة في فسيفساء رؤيته العامة للعالم.»[4]

وفي سياق هذه الرؤية المتوتّرة للعالم تندرج أعمال بهاء طاهر التي صدرت في السبعينات، ولكنّ طبيعة التّوتّر تختلف عمّا عهدناه عند سليم بركات. إنّه توتّر متأتٍ من

1- حليفي (شعيب): شعرية الرواية الفانتاستيكية،... المصدر السابق، ص 183.
2- بركات (سليم) . فقهاء الظلام، ص 17.
3- شعرية الرواية الفانتاستيكية. مجلة الكرمل، ع 40/41، 1991، ص 129.
4- المرجع السابق، ص 131.

الجمع بين عناصر الواقع والحلم والأسطورة في تشابك محيّر كما لاحظناه في رواية «قالت ضحى». فالحلم الذي روته ضحى لحبيبها (وهي في معابد الأقصر) خلخل التوازن الهشّ في شخصية الرّاوي ودفعه إلى القول «لا أومن بالتناسخ أو التّقمّص، أو أيًّا كان ذلك الشيء الذي يسمّى به حلمها، ولكنّي كنت أعرف، كنت متيقّنا أنّها لا تكذب، فحين كانت تجلس هناك في تلك الغرفة الضيّقة المغلقة كانت تشعر بالفعل أنّها «إيزيس» أو «إيسيت» وبأنّ «أوسير» تجلّى لها في القمر وباح لها بسرّ لا أعرفه ولماذا لا أعترف؟ في ذلك الليل أيضا سقطت مع كلماتها جدران تلك الغرفة في الفندق ورأيتني وسط أعمدة تيجانها من اللّوتس، ومسلاّت مكسوة بالذّهب، ونخيل وزهر، وكنت شعاعًا من الشمس وموجة من البحر. دخلت أيضًا قلب الأشياء وشهدت بدأها. لماذا لا أعترف».[1]

وعلى العموم فإنّ الرّواية تقوم على بنيتين أساسيتين «علاقة الحبّ على المستوى الشخصي (والأسطوري) وطلب العدل على المستوى السياسي والاجتماعي (والأسطوري) والخطّ الرابط بين البنيتين خطّ صاعد من الأمل.. ثمّ هابط نحو الإحباط والإجهاض والعطب والفساد والتردّي. ويأتي استرجاع أسطورة إيزيس وأوزيريس لكي يجمع بين هذين المسارين، لكي يحلّ المأزق حلاّ خارجيًا باستدعاء الأسطورة وهو حلّ يأتي فقط باستدعاء موضوع، ولا ينبع من مسار العمل نفسه.. ولذلك فهو حزين»[2].

1- طاهر (بهاء): "قالت ضحى"، روايات الهلال، مصر 1985، ص 71.
2- تقديم "قالت ضحى" بقلم إدوار خراط، ص 11.

خاتمة البحث

إذا كانت قصص العجيب لم تعد تحظى اليوم بالاهتمام من لدن جمهور القراء- ما عدا الأطفال - لاعتبارات عدّة، فإنّ الإقبال على روايات العُجاب المطعّمة بالخيال العلمي (science fiction) ازداد بشكل لافت للنظر. والثابت أنّ الرواية العربية استطاعت أن تساير تطوّر تقنيات السرد في الغرب، وتستفيد من العجاب المروّع لفضح الواقع، وتعريته ولاقتحام عوالم مجهولة في زوايا النّفس المظلمة عبر الذاكرة والخيال والحلم والوهم، ولا يمكن أن ينشأ الانفعال الذي هو إحدى غايات الكاتب إلاّ بخلق لحظات مروّعة. لذلك فالعجاب يفتح مجالات عديدة للتعبير عمّا في الواقع من تناقض وإحباط وعمّا في الإنسان من قدرة عجيبة على التخييل.

وأخيرًا يبقى الفانتاستيك بوجهيه: العجيب والعجاب معينًا من التقنيات والرؤى القادرة على تعميق تجربة الإنسان في صراعه اليومي مع محيطه، وفي صراعه الدائم مع قدره.

قائمة المصادر والمراجع

I المصادر:

القديمة:

- ابن شهيد (أحمد بن عبد الملك): «رسالة التوابع والزوابع»، المنشورات للإنتاج والتوزيع، تونس 1985.
- المعرّي (أبو العلاء): (رسالة الغفران)، تحقيق الدكتوره بنت الشاطىء، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- ألف ليلة وليلة: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة 1، 1985.

الحديثة:

- إبراهيم (نبيلة). «قصصنا الشعبي»، دار العودة، بيروت 1974.
- أبو الحسن (طرشونه). «ألف ليلة وليلة في المسرح الفرنسي»، مجلّة فصول، مجلّد 3، العدد4، أفريل/مايو/ يونيو 1983.
- ابن الشيخ (جمال الدين): «الثقافة العربية وتغييب المتخيّل»، مجلّة الكرمل، العدد 27 - 1988.
- الجاحظ (عمرو بن بحر): «البيان والتبيين»، تحقيق عبد السلام هارون، الجزء 1، دار الفكر، بيروت [د.ت].
- حسين (طه): «تجديد ذكرى أبي العلاء»، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- حليفي (شعيب): «شعرية الرواية الفانتاستيكية»، مجلة كرمل، العدد 40/41، 1991.
- الزنكري (حمّادي): «العجيب والغريب في التراث المعجمي: الدلالات والأبعاد»، مجلّة حوليات الجامعة التونسية، العدد 33، 1992.
- طرشونة (محمود): «مائة ليلة وليلة»، الدار العربية للكتاب، تونس، 1979.
- القرقوري (رشيد): «الحرب والسياسة في أحلام شهرزاد لطه حسين»، مجلّة الحياة الثقافية، العدد 61، 1991.

- القزويني (زكريا): «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات»، تحقيق فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1973.
- القسنطيني (نجوى): «المضامين والأساليب الفنّية في أحلام شهرزاد»، بحث مرقون لنيل شهادة الكفاءة في البحث، كلّية الآداب والعلوم الاجتماعية، تونس 1988.
- القلماوي (سهير): «ألف ليلة وليلة»، دار المعارف بمصر 1959.
- ليتمان (E.Littmann): «ألف ليلة وليلة»، دراسة وتحليل، ترجمة إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وحسن عثمان، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1982.

II المعاجم:

- ابن منظور (محمد بن مكرّم): «لسان العرب»، المجلّد الأوّل والمجلّد الثامن، دار صادر، بيروت 1300هـ.
- الزبيدي (محمد مرتضى): «تاج العروس»، الجزء الثالث، تحقيق عبد الكريم العزباوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1967.
- الفراهيدي (الخليل بن أحمد): «كتاب العين»، الجزء الأوّل، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، بيروت - لبنان 1988.
- المعجم الوسيط: تأليف لجنة من الأساتذة، المكتبة الإسلامية، استنبول - تركيا 1972.

III المراجع الإجنبية:

- Bellimin Noel (Jean): Notes sur le fantastique (Textes de théophile Goutier) in littérature N°8- Décember 1972.
- Cabriès (Jean): «Roman, Essai de typologie», in Ency-Universalis, corpus 20, Paris 1990.
- Caillois (Roger): «Fantastique» in Ency-Universalis, corpus 9, Paris 1990.
- Toborov (Tzvetan): «Introduction à la littérature fantastique» Ed Seuil, Paris 1970.

في فهم الجسد،
لامية الشّنفرى نموذجًا

In understanding the body,
Lamiya al-Shanfara as a model

د. رضى عبد الله عليبي
أستاذ مساعد، جامعة قفصة

Dr. Alibi Ridha Abdullah
Assistant Professor, University of Gafsa

https://doi.org/10.47798/fom.2025.i05.02

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

تسعى هذه الدّراسة إلى محاولة فهم الجسد في لامية الشّنفرى للخروج به من الفهم الضيّق الذي جعله مجرّد كتلة لها وظائفها الفسيولوجية، إلى الفهم العميق من جهة اعتباره علامة محدّدة لهويّة صاحبها، ونسقًا مشكّلا لفهم الذّات لوجودها، ومفصحًا عن نظرتها للحياة فيما هو ذاتيّ أوّلا، وفيما هو قيميّ كونيّ ثانيًا.

ووجدنا المقاربة العرفانيّة المنفتحة على المنهج السيميائي إطارًا إجرائيًّا مناسبًا لمقاربة بحثنا لطريف التّأويلات التي أخذتنا إليها.

ولقد أوقفتنا محاولة الفهم هذه عند جسد أعلن عن حضوره عبر آليات عديدة، بعضها هي منه من جهة النّشأة والتّكوين، وبعضها الآخر نابع من الآخر من جهة المقاصد. فكان جسدًا طرازيّا، عرّف بنفسه بما انتابه من انفعالات كانت وليدة شعوره بنظرة دونيّة أقصته من دائرة الاجتماعيّ، فأنشأ لنفسه ما يشبه العوالم الممكنة اعتبرناها من خواصّه.

الكلمات المفتاحيّة: الجسد مُدرِك ومُدرَك - الجسد الطّرازي - القِيَم والقِيمَة - انفعالات - العوالم الممكنة.

Abstract

This study seeks to understand the body in Al-Shanfara's Lamiyya, moving beyond the narrow understanding that reduces it to a mere mass with physiological functions, to a deeper understanding as a defining marker of its owner's identity, a system that shapes the self's understanding of its existence, and an expression of its view of life - firstly in its subjective aspects, and secondly in its universal, value-based aspects.

We found the mystical approach, open to the semiotic method, to be a suitable procedural framework for our research, given the diverse interpretations it led us to.

This attempt at understanding led us to a body that announced its presence through numerous mechanisms, some of which were inherent to it in terms of origin and formation, and others which stemmed from others in terms of intentions. It was a typical body, defining itself through the emotions that afflicted it, which were born from its feeling of being viewed as inferior and excluded from the social sphere, so it created for itself something resembling possible worlds that we considered to be among its characteristics.

Keywords: The body isbothperceiving and perceived - the topic body - values and value - emotions - possible worlds.

مقدّمة البحث

نسعى في هذه البحث إلى محاولة فهم جسد هذا الصّعلوك[1] بوصفه نصًّا لغويًّا يفصح عن رؤية صاحبه للوجود بأحداثه الاجتماعيّة، وعن تصوّراته الفكريّة، وأحواله النفسيّة في فضاء مكاني وزمانيّ مخصوص. وهذا المقصد الذي نروم بلوغه يقوم أساسًا على تجديد النّظر إلى الجسد ومقاربته بما يعيد إليه الاعتبار، بعدما كان ينظر إليه على أنّه مجرّد كتلة ماديّة لا قيمة لها أمام الرّوح. والجدير بالذّكر ههنا أنّ الاهتمام بالجسد لم يكن حكرًا على العلوم الإنسانية فقط، وإنّما اتّسعت دائرة الاهتمام به، فأضحت صورة الجسد مدار اهتمام الإعلام والفنّ وغيرها من العلوم. ولاشكّ في أنّ تعميق النّظر في الدّرس الأدبي من شأنه أن يفصح عن قيمة موضوع الجسد بوجه عام.

تحدونا رغبة إذن في الوقوف عند جسد واحد من الصّعاليك الذي امتدّت شهرته في الآفاق حتّى نُسبت إحدى قصائده - وهي اللاميّة - إلى العرب من باب التّعميم، إحالة على قيمتها الفنيّة والفكريّة. فلم يكن حديث الشّاعر عن جسده فيما بدا لنا في هذه القصيدة حديثًا عرضيًّا ثانويًّا، وإنّما يكاد يكون موضوعها الرئيسيّ وخالصًا لها من جهة الافتتان به وصفًا، وإطنابًا في الفخر، حتّى غدا هذا الجسد سمة مميّزة للنصّ وللشّاعر معا.

لقد دفعنا هذا الاحتفاء بالجسد إلى تجديد التّعامل مع اللاّمية[2] لمحاولة فهمه من جهة ما يحيل عليه من أبعاد تجاوزت صفته المادّية إلى ما هو لغويّ دالّ. فبدا هذا الجسد في القصيدة إلى الخطاب اللغويّ أقرب، فتارة هو مُخبِر عن ذاته في مناحي عديدة، دائرة على ما هو قيمة بأشكالها المتنوّعة، وتارة أخرى هو مُخبِر عن نظرة صاحبه المتميّزة للوجود، كما

1- عرّف الفيروز آبادي الصّعلوك بالفقير ويقال صعلكه أي أفقره. ينظر، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسّسة الرسالة، بيروت لبنان، ط5، 1996، ص 1221. وأضاف صاحب اللّسان تدقيقًا آخر في قوله: صعاليك العرب: ذؤبانها. وكان عروة بن الورد يسمّى: عروة الصّعاليك؛ لأنّه كان يجمع الصّعاليك الفقراء في حظيرة فيرزقهم». ينظر، ابن منظور (جمال الدّين محمّد بن مكرم). لسان العرب، دار صادر بيروت، ط6، 2008، مج 7، ص 244.ومن حيث الاصطلاح، فاللّفظ يحيل على «الطّريقة والهيئة والموقف». ينظر1998, Encyclopédie de l’islam, LeidenBrill, tom ا ، .,P897×

2- تعدّدت الأبحاث التي اهتمّت بدراسة لامية الشّنفرى، ومنها نشير على سبيل الذّكر لا الحصر إلى دراسة حفني (عبد الحليم). الشّنفرى الصّعلوك حياته ولاميته، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1989. ودراسة، عليبي (رضى عبد الله). شعريّة قصيدة الصّعلكة، دار الماهر للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ط1، 2018. ودراسة: حمدي (حميد عباس بشير). صور التمرّد في لامية الشّنفرى، دراسة سيميائيّة تحليليّة، المجلّة الليبيّة العالميّة، العدد 60، السّنة 2022. ودراسة، مرسلي (مسعودة). حجاجيّة الخطاب الشّعري، دراسة للامية الشّنفرى، فصل الخطاب، المجلد 3، العدد 4، 2014.

سنرى في القسم الثّاني من هذه الدّراسة الذي خصّصناه للنّظر في ما وسمناه بالجسد مُخبِرًا عن ذاته بغيرها. ورأينا أنّ الاعتماد في دراستنا هذه على المقاربة العرفانيّة والسيميائيّة هو تدبّر نهدف من خلاله إلى بلوغ نتائج طريفة من جهة ملائمة المنهجين لطبيعة البحث.

1- الجسد مُخبِر بذاته عن ذاته:

تكاد بعض المقاربات النقديّة الحديثة (العرفانيّة أو السيميائيّة على سبيل الذّكر) أن تجمع على أنّ الجسد هو نسق تواصليّ، وبناء لغويّ «حامل لرسالة»[1] في ذاته ولذاته. ويُخرج هذا القول الجسد من بُعده الماديّ بما هو كتلة إلى القول بأنّه «جهاز» يؤدّي وظائف عديدة له قوانينه ومنطلقاته.

والمتأمّل في لامية الشّنفرى[2] يقف عند جسد فريد، احتفى به صاحبه احتفاءً خاصًّا؛ إذ أخرجه من حيّز الجسد المؤدّي لمجرّد وظائف ماديّة إلى جسد محمّل بطاقات تعبيريّة تُفصح عن ضروب من الدّلالات نراها عميقة بما تحيل عليه من تصوّرات، ومواقف كرّست نظرة الذّات المتميّزة للوجود. وقولنا بأنّ جسد الشّنفرى مُخبِر بذاته عن ذاته نابع في تقديرنا من تحوّل في الأدوار التي خلعها الشّاعر على جسده. فتحوّل عمل الجسد تبعًا لذلك من عمل القول في القصيدة إلى عمل الفعل في الواقع. ونشأ ضرب من التّماهي بين جسد القصيدة بما هو جسد مُخبر عن قيم الفنّ، وجسد الشّاعر بما هو مُخبر عن نظرة الذّات تجاه نفسها وتجاه الآخر فيما طرحه من أسئلة ذات علاقة بوعي الأنا، وبقدراتها من خلال التحوّل الاجتماعيّ[3]. وظهر جسد الشّنفرى في اللاميّة مُخبِرا بذاته عن ذاته في جوانب عديدة منها:

1- ينظر، الزنّاد (الأزهر). اللّغة والجسد، مركز النّشر الجامعي، تونس 2017، ص 241.

2- شاعر جاهلي من بني الحرث. والشّنفرى اسمه وقيل لقبه وضرب المثل بالعدو به، وقيل أعدى من الشّنفرى. من أخباره أنّ بني سلامان بن مفرّج أسرت رجلا من فهم أحد بني شبابة ففدته بالشّنفرى. وكان الشّنفرى في بني سلامان لا تحسبه إلاّ أحدهم حتّى نازعته بنت الرّجل الذي كان في حجره... وجدّت واقعة بينهما، فغضب، ولمّا علم بقصّته، قال: أما إنّي لن أدعكم حتّى أقتل منكم مائة بما استعبدتموني...» للتوسّع في بقيّة القصّة، ينظر، الأصفهاني (أبو الفرج). الأغاني، طبعة دار الفكر، بيروت، لبنان، (د ت)، ج21، ص118.

3- ينظر، معلاّ (طلال). جسد، سندباد للنّشر، عمان، ط1، 1999، ص 90.

أ- الإخبار عن قيم الذّات:

لقد نثّ الشّنفرى في لاميته أبياتًا أدّت وظيفة الإخبار عن قيم الذّات. وكان الجسد مركزًا للحديث عنها من خلال ما باح به من قيم تشكّلت باللّغة في القصيدة. فجعل من جسده جسدًا متكلّمًا باللّغة، مفصحًا عن ضروب من القيم التي نعدّها من خواصّ الصّعاليك، وبدت قيمًا متعالية عن السّائد من القيم، مكرّسة لوجود متميّز للذّات في رؤيتها للعالم. ومن بين القيم المخبر عنها بالجسد في القصيدة نذكر:

القيم الأخلاقيّة:

إنّ حركة الجسد في الفضاء ليست إنتاجًا لمشروع ثقافيّ فقط بعبارة بنكراد، بل هي تشكّل مشروعا في ذاته[1]. فقول الشّنفرى: (من الطّويل)

وَإِنْ مُدَّتِ الأَيْدِي إِلَى الزّادِ لَمْ أَكُنْ بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ القَوْمِ أَعْجَلُ

وَمَا ذَاكَ إِلاَّ بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّلٍ عَلَيْهِمْ وَكَانَ الأَفْضَلَ المُتَفَضِّلُ[2]

يبطن تصوّرا قيميّا لثقافة الذّات المواجهة لثقافة الآخر، والقائمة على الاختلاف. وكان المَعبر إلى اكتشاف ذلك جسد الشّاعر نفسه. فالنّفي في البيتين يقابله إثبات لجملة من الصّفات السلبيّة للآخر، وهو معنى أُكتنه بالخُلف. ففهم الذّات لذاتها لا تظهر لدى الصّعلوك إلاّ عبر الآخر[3]. ونعتقد أنّ هذه الحركة السّائرة عكس السّائد من شأنها أن تُنشئ نصًّا تكون واجهته الرئيسيّة جسد الشّاعر. ولقد اعتبر بنكراد أنّ هذه الحركة تتكوّن من «الأجزاء البسيطة التي تقود إلى ما ينظر إليه كتركيب سلسلة من الإيماءات الدّالة على ممارسة معيّنة»[4]. ونحسب أنّ الشّنفرى قد سعى في قصيدته إلى تحقيق امتداد لجسده خارج نفسه عبر الوعي به في ذاته بوصفه واجهة إلى موضوعات العالم الذي يقيم فيه.

1- ينظر، بنكراد (سعيد). السيميائيّات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار للنّشر والتّوزيع، سورية ط3، 2012، ص 191.

2- ينظر، الشّنفرى، ديوان الشّنفرى، جمع وتحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط1، 1995، ب +8ب 9، ص 59 - 60.

3- اعتبر سارتر أنّ معرفة الإنسان لبدنه لا تتأتّى له إلاّ عن طريق الآخر. إذ يقول: «أليس وجود الآخر شرط وجودي». ينظر، Sartre, l existentialisme est un humanisme, Gallimard ;Folio ;Paris ;2010 p. 67-66.

4- ينظر، بنكراد (سعيد)، المرجع نفسه.

ولقد توسّع الشّاعر احتفاء بالقيم في لاميته. وهيّأ له جسده عمليّة فهم هويّته الأخلاقيّة. فقوله:

وَأَغْـدُو خَمِيصَ البَطْنِ لاَ يَسْتَفِزُّنِي إِلَى الـزَّادِ حِـرْصٌ أَوْ فُـؤَادٌ مُـوَكَّـلُ

وَلَسْتُ بِمِهْيَـافٍ يُعَشِّي سَوَامَـهُ مُجَدَّعَةً سُقْبَانُهَـــا وَهْـيَ بُهَّلُ

وَلَا جُبَّأٍ أَكْهَـــى مُرِبٍّ بِعِرْسِـــهِ يُطَالِعُهَا فِي شَأْنِهِ كَيْفَ يَفْعَلُ[1]

يبطن ضربا من الاحتفاء المتواصل بالجسد. فكأنّنا بالذّات «تدرك طبقًا لجسدها»[2] ذاتها بما تفرزه من أفعال أثبتت لنفسها الرّفيع من الخلال، ونفت عنها السيئ. والمتأمّل في بنية الأبيات، يلاحظ قيامها خاصّة على النّفي أسلوبًا، وهو ما أحدث ضربًا من الاسترسال الدّلالي بين هذه الأبيات وما سبقها من قول في مستوى التّركيز على مبدأ القيمة الذي تحدّث عنه الجسد.

إنّ جسد الشّنفرى ومن خلال ما أوردنا من أبيات يعيش ضربًا من «التّناوب المستمرّ بين الإدراك والعمل»[3]، وذلك من جهة إخضاع هذا الجسد للتّجربة العمليّة، وبلورة ذلك الإدراك في برامج تفصح عن نظرة صاحبها للعالم. فأصبح جسد الشّاعر ههنا «نقطة التّصافح مع العالم»[4]. واُعتبر الإدراك «حدثا داخل الجسد»[5] يَعْبُر بصاحبه من حيّز الإدراك إلى المعرفة، وهو ما بدا في مواقف الشّاعر إزاء بعض القيم المطلوبة المرغوبة لديه. وهو ما عبّرنا سابقًا بالقول: إنّ الجسد مُخبِر عن ذاته بذاته، وإنّ الجسد ممتدّ خارج نفسه بما ينتجه من تصوّرات في الأخلاق. فهو جسد قنوع (لايستفزّني إلى الزّاد حرص أو فؤاد موكّل). وهو جسد كريم مع الآخر وخاصّة الحيوان. وهو كذلك جسد جسور شجاع. وليس ممّن يخاف فيقلقل فؤاده، وليس ممن لا يرجى الخير منه.

1- ينظر، ديوان الشّنفرى، ب 16+15+14، ص 31.والمهياف الشّخص التّافه الذي لا يحسن تدبير الأمور. والسّوام: الماشية التي ترعى. ومجدّعة: سيّئة الغذاء. والسقبان: جمع سقب: وهو الذّكر الصّغير من ولد الناقة. وبهّل: جمع باهل، وهي: الناقة دون راع.

2- ينظر، Merleau-Ponty (M), la structure du comportement, Ed, P.U.F. 1949, p 204.

3- ينظر، الأزهر الزّناد، اللّغة والجسد، ص 10.

4- ينظر، المرجع نفسه، ص 11.

5- la structure du comportement, p 205.

لقد أخرج الشّاعر انطلاقًا ممّا ذكرنا جسده من الحيّز المادّي الثّابت المحدود إلى حيّز الفعل المنتج للمعنى، والكاشف عن وجهة نظر صاحبه. ونعتقد أنّ جسد الشّنفرى قد ساهم هنا في إنتاج خطاب منطلقه الذّات الغريبة عن واقعها المادي، وجعل وجهته الآخر الذي يخبره عن ثقافة مغايرة هي من خواصّه. وفي هذا السّياق، أشار بعض النقّاد إلى أنّه لا يمكن لأيّ خطاب أن يدرس خارج الأيدولوجيا وخارج بنية الفعل»[1]. لذلك، نعتقد أنّ الصّعلكة قد مارست ههنا سلطتها على الشّاعر، فكانت أشبه بالوعاء الذي سكب فيه الشّنفرى رؤيته في الأخلاق، إن جاز القول.

قيمة الصّبر:

إنّ اللامية هي حديث الجسد عن نفسه في الاحتفاء بقيمة الصّبر. فالجسد هنا مخبر عن ذاته الصّبورة في مواجهة العالم، وهو بذلك يعلن عن هويّته الثقافيّة في مواجهة الثّقافة السّائدة. فقوله:

أُدِيـمُ مِـطَالَ الـجُـوعِ حَتَّـى أُمِيتَـهُ وَأَضْـرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحًا فَأُذْهَـلُ

وَأَسْـتَـفُّ تُـرْبَ الأَرْضِ كَـيْلَا يُـرَى لَهُ عَـلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ اُمْـرُؤٌ مُتَطَـوِّلُ[2]

يجعل الجسد صاحبه في هيئة الكمال، ويفصح عن نفسه كعلامة ذات أشكال خاصّة به والتي اعتبرناها من خواصّ القيم القائمة على مبدأ الاسترسال مع ما هو أخلاقيّ ذكرناه سابقا. فإذا بالجسد بؤرة لتجلّي القيميّ انطلاقًا من تجميع أجزائه الأخرى المؤثّثة لكينونته. ولقد نهضت كثافة الأفعال الواردة في البيتين بوظيفة إظهار قيمة الصّبر على إماتة الجوع، ورفض الشّاعر فضل غيره عليه. ففهم الجسد إذن كان المعبر إليه دلالة الأفعال المحيلة على فلسفة الصّعلوك في الحياة، وهي فلسفة أثبتت رفيع الخلال لصاحبها (أديم مطال الجوع / أستفّ ترب الأرض)، ونفت عنه الوضيع منها (كيلا يرى له عليّ من الطّول..) وهي ههنا رفض المنّة من الغير رغم الحاجة. لقد بات الجسد في الأبيات المذكورة لغة منتجة لما يشبه نصوصًا في الأخلاق والقيمة.

1- ينظر، حنّون (مبارك). دروس في السيميائيّات، دار توبقال، المغرب، ط1، 1987، ص 42.
2- ينظر، ديوان الشنفرى، ب 22 + 23، ص 62.

ويظهر مبدأ الاسترسال في إقرار فضائل جسد الشّاعر في أبيات أخرى من اللامية في قوله:

وَأَطْـوِي عَلَى الخَمْصِ الحَوَايَا كَمَ انْطَوَتْ خُيُوطَةُ مَـارِيٍّ تُغَارُ وَتُفْتَلُ

وَأَغْـدُو عَلَى القُوتِ الزَّهِيدِ كَمَا غَدَا أَزَلُّ تَهَـادَاهُ التَّنَـائِفُ أَطْحَـلُ[1]

ونهض التّشبيه هنا بتقريب الصّورة عن الجسد وتقريرها.

لقد أحدث الشّنفرى بالتّشبيه انعطافا في مسالك المعنى، من القول المباشر إلى القول المؤسّس على الجماليّ الذي يرقى إلى المثال المخالف للبنية السّائدة. فإذا بجسد الشّاعر يتوحّد بجسد الآخر ليؤكّد مقولة: إنّ «الجسد كائن في الفضاء وفي الزّمان والعالم»([2]). فعقد الجسد علاقات حميمة أظهرها التّشبيه الأوّل عبر تشبيه حركة الجسد في الفضاء وهو يصارع الجوع بحركة الحبال المتقنة الفتل. وأدّى ما يوسم عرفانيًّا بنظريّة الإسقاط مهمّة إبانة المعنى وتوكيده، وذلك بإسقاط صورة الحبال المفتولة بإحكام على صورة الشّاعر المتحكّم في جوعه تأكيدًا لفعل السّيطرة على نداء الأمعاء الخاوية في صورة تفصح عن ضروب من الدّلالات ذات الصّلة بفلسفة الصّعلوك المرتكزة أساسًا على قيمة الصّبر في مواجهة الجوع. وينهض البيت الآخر بوظيفة توكيد المعنى نفسه عبر المشابهة في تقريب صورة جسد الصّعلوك الزّاهد في قوته بصورة هذا الذّئب الذي أُستدعي في مقام تمثيليّ. فهذه الصّورة المنتشرة في البيتين نعتقد أنّها كانت حاملة لرسالة خفيّة. وكان الهدف من التّشبيهين إصابة المعنى بعبارة النّقد العربي القديم. فالجامع بين الصّورتين القائمتين على التّشبيه هو تمثيل صورة الذّات المتحدّية للجوع باعتماد مصدرين مختلفين لها. وكان المقصد من التّشبيه ظاهرًا في البيت الثّاني خاصّة، إذ جعل المشابهة قائمة على إظهار مبدأ أساسي في حياة الشّنفرى وهو إثبات قيمة الصّبر لديه التي تعدل القيمة نفسها عند هذا الذّئب وقد أصابه الهزال واغبرّ، وذهب لونه وهو يضرب في الصّحراء، صابرًا في البحث عن القوت.

1- ينظر، ديوان الشنفرى، ب 26 + 27، ص 62. الخمص: الجوع. الحوايا: الأمعاء. الخيوطة: الخيوط. مارى: يقال اسم لرجل عرف بصناعة الحبال وفتلها. تغار: يحكم فتلها. وأزلّ: صفة للذّئب القليل اللّحم. تهاداه: تتناقله. التّنائف: جمع تنوفة وهي المفازة. أطحل: لونه بين الغبرة والبياض.

2- ينظر، الأزهر الزنّاد، اللّغة والجسد، ص 7. واعتبر الأزهر الزنّاد أنّ الجسد يمثّل مدخلا في تنظيم العالم والواقع ببعديهما الماديّ الفيزيائي والعرفنيّ الرمزيّ. ينظر، المرجع السّابق، ص 7.

لقد أنشأ هذا التّقارب في نمط الحياة بين الجسدين علاقة مردّها إلى «علاقة الفرد بالفضاء الذي يمنح لحركاته معنى خاصًّا»[1]. وهذا الحضور المتميّز لجسد الشّنفرى ينبع من امتداد جسده في الموجودات، ويبطن رغبة في الخروج من دائرة الذّات الضيّقة لخلق ما نصطلح عليه بالمعادلات الموضوعيّة في الوجود.

لقد باح جسد الشّنفرى عبر اللّغة عن ذاته خارج مضارب القبيلة. وأحدث باعتماد مبدأ المقايسة بين الصّورتين معنى طرازيًّا، أو ما ينعت في البلاغة بتشبيه التّمثيل. فإذا بهذا الجسد ينشئ عالمًا ممكنًا خاصًّا به. ولفهم محتوياته، اشترط على متقبّله فكّ دلالات ذلك الخطاب المبني على التّشبيه لتكتمل عنده معالم النصّ الجامع الذي خطّ فيه الشّاعر معالم تفكيره عبر جسده الذي نعدّه مجالا تكتمل أجزاؤه بالعمل عليه. ونزعم أنّه في اجتماع ما يمكن اعتباره خطاطات عن الجسد، تتأسّس خطاطة كبرى ننعتها بخطاطة القوّة المبنيّة على تأكيد مبدأ القيمة في القصيدة والعالم المحيط بالشّنفرى ككلّ.

ب- الجسد مُخبِر عن الذّات المهيمنة على الفضاء:

يعد الجسد عند الشّنفرى وسيلته بسط الهيمنة على الفضاء عبر الفعل الدّال على حركة التنقّل السّلسة في المكان. فالجسد يؤدّي هنا وظيفة فهم العالم من جهة اعتباره نقطة تصافح بين الشّاعر ومحيطه، ومن جهة إنتاجه لمعان عبر وسائط هي منه، ونعدّها من مكوّناته، من أعضاء مخبرة عن هيمنتها على الفضاء.

ويجد متأمّل القصيدة أنّ الشّاعر قد احتفى بأعضاء جسده احتفاءً ظاهرًا لا ينكر لكونها تمثّل نقطة ارتكاز لوجوده، وآلته النّشطة لتبديد بعض مشاعر غربته المادّية أو النفسيّة. فالجسد ههنا، ومن جهة ما يفصح عنه من آراء صاحبه هو علامة دالّة ضمن نصّ جامع حامل لرؤية صاحبه. فقوله:

وَأَعْـدِلُ مَنْحُوضًا كَـأَنَّ فُصُوصَهُ كعَابٌ دَحَاهَا لاَعِبٌ فَهْيَ مُثَّلُ[2]

1- ينظر، مبارك حنّون، السيميائيّات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 200.

2- ينظر، ديوان الشّنفرى، ب 44، ص 67. وأعدل: أتوسّد. والمنحوض: الذي ذهب لحمه. ويعني بالمنحوض ذراعه. ويعني بالتوسّد: أنّه يتّخذ من ذراعه وسادة. فصوصه: مفاصل عظامه أي عظام ذراعه. والكعاب: ما بين الأنبوبين من القصب. دحاها: بسطها وسوّاها وهي الكعوب. ومثّل جمع ماثل وماثلة، أي: منتصبة.

يحمل استرسالاً لمعنى الفخر بالقيمة الجسديّة، وهي قيمة ماديّة تظهر في علاقة المشابهة في البيت بين صورة الجسد النّحيف ودلالة المشبّه به على القوّة والصّلابة الكامنة في ذلك الجسد. ونعتقد أنّ المعنى ههنا يعضد فكرة المعنى الطّرازي السّابق الموصول بالقيمة الأخلاقيّة. وعلى أساس من ذلك، أصبح هذا الجسد بخلاله تلك علامة مُرسَلة إلى الآخر الرّافض له فردًا على هيئته تلك في المجتمع الإنسانيّ. ومضمون الرّسالة هو إظهار المقدرة على فرض الجسد لسلطته على الفضاء بتلك الخلال.

لقد انقدحت في لامية الشّنفرى شعريّة خاصّة بالجسد كانت على وشيجة قويّة لما ذكرنا في البيت السّابق. فإذا بالجسد فاعل في العالم وفي القصيدة كذلك. ويظهر ذلك من خلال كثرة الأفعال المصدّرة للأبيات. لذلك، تحوّل «الفعل الدّال على حركة التنقّل في المكان إلى أداة نحويّة معبّرة عن هذا الاستقبال الجاري على الحدث الرّئيسيّ في الجملة»[1]. فالفعل دالّ على الحركة. وكان الجسد مصدرها أفصح عنها باللّغة. فإذا به جسد متكلّم باللّغة، ومحدّث الآخر بلغته الخاصّة. وبدت حركة الجسد في القصيدة ظاهرة عبر ما يسميّها الأزهر الزّنّاد بإنحاء الجسد[2].

وفي العموم، كانت هذه الحركة سائرة في مسارين فضائيين اثنين: إمّا إلى الأعلى، أو إلى الأمام لمّا يتعلّق الأمر بالمكان المنبسط كقوله:

وَخَـرْقٍ كَـظَهْرِ التُّـرْسِ قَـفْرٍ قَطَعْتُهُ بِعَـامِلَتَيْـنِ ظَـهْـرُهُ لَـيْـسَ يُـعْـمَـلُ[3]

واستعمل الشّنفرى مُحدّثًا عن الاتّجاه جزءًا من جسده وهما العاملتان اللّتان تعدّان من الأجزاء المهمّة عنده لبسط الهيمنة على الفضاء من جهة ما تبطنانه من طاقة ذاتيّة ضروريّة، تظهران مقدرة عالية كنّا قد تحدّثنا عنها. ونحسب أنّ الجزء ههنا مُخبر عن الكلّ استباقًا. ففي اجتماع تلك الأجزاء يتشكّل الجزء في كليّته، وتكتمل دائرة الهيمنة. ونستدلّ على ذلك بقوله مواصلا احتفاءه بالعضو نفسه المحقّق للاتّجاه أمام:

إِذَا الأَمْـعَـزُ الـصَّـوَّانُ لَاقَى مَنَاسِمِي تَـطَـايَـرَ مِـنْـهُ قَـادِحٌ وَمُـفَـلَّـلُ[4]

1- ينظر، الزنّاد (الأزهر)، اللّغة والجسد، ص 112.
2- ينظر، المرجع نفسه، ص 112.
3- ينظر، ديوان الشّنفرى، ب 66، ص72.والخرق: الأرض الواسعة. كظهر التّرس يعني مستوية ليست بها حياة. ويعني بظهره الخرق.
4- ينظر ديوان الشّنفرى، ب 21، ص 62. والمقصود بالأمعز المكان الصّلب. والصّوان الحجارة الملساء. والمنسم خفّ البعير. والقادح الذي تخرج من قدحه النّار. والمفلّل المتكسّر.

إنّ فهم الجسد ومقاصده في هذا البيت يتمّ عبر تقنية التّبئير المعتمدة من قبل الشّاعر. والمقصود بالتّبئير: هو التّركيز على جزء من الجسد المحقّق لمعنى طرازيّ وهو إظهار القوّة في الرِّجْلين. ولرسم مسار حركة الجسد في الفضاء الذي يبدو من خلال البيت فضاءً صعبًا وعرًا، عدَل الشّاعر عن اللّغة الخطيّة إلى ما يسميّها توفيق قريرة «العدول بالتّصدير»[1]. فتوسّل بالتّشبيه أسلوبًا لإظهار فكرة التّناسب بين القوّة والصّفة عبر استحضار ميدان آخر مجاله الحيوان. إذ أنّ فَرْض الهيمنة على الفضاء يقتضي جسدًا طرازيّا يمكّن صاحبه من قيمة الهيمنة في كلّيتها، فتكتمل خطاطة القوّة التي سعى إليها الشّاعر عبر جسده.

لقد باح الجسد ههنا بلغته، وفرض على متقبّلها معرفة خاصّة لفكّ رموزها عبر التنقّل من الجزء إلى الجزء الآخر عند قراءة الأبيات، حتّى يدرك أنّ العضو من الجسد مرتبط بنسق معيّن، ورؤية مغايرة عن السّائد في حالة الحركة خاصّة[2] وهو ما قصدناه بأنّ الجسد مخبر عن ذاته بذاته عبر خطاب مكمنه القصيدة.

لقد توسّع الشّاعر في توظيف آلية التّبئير أو ما ينعت بالتصوّر المُؤمْثل بما هو تبئير «المتكلّم في كلّ مرّة لجانب من الجوانب المتعلّقة بالرّبط» بعبارة شارول[3]. فيعمد في البيت اللاّحق إلى رسم صورة لجزء من جسده وهو الوجه، والمحقّق هو الآخر لقيمة الهيمنة على الفضاء(أمام)، والمؤكّد في ذات الوقت مركزيّة هذا الجزء المحقّق لتصافح الصّعلوك مع محيطه الخارجي، وهو كذلك نقطة مراقبة مهمّة مساعدة على توجيه بقيّة أجزاء الجسم قصد امتلاك الفضاء، إضافة إلى كونه مركز تحقيق الرّغبة للجسد ككلّ من خلال إدراك الفضاء وتوجيه الجسد. فقوله:

وَيَـوْمٍ مِـنَ الشِّـعْـرَى يَـذُوبُ لُعَابُهُ أَفَـاعِـيـهِ فِي رَمْـضَـائِـهِ تَـتَـمَـلْـمَـلُ

1- ينظر، قريرة (توفيق). الشعريّة العرفانيّة، مفاهيم وتطبيقات على نصوص شعريّة قديمة وحديثة، كليّة الآداب القيروان، تونس، ط1، 2015، ص 285. واعتبر توفيق قريرة أنّ الغاية من هذا الإجراء ليس بالضرورة تفسير الصّورة الأولى بقدر ما يهدف إلى توسعة الصّورة بإضافة عناصر أخرى. واعتبر قريرة كذلك أنّ المقصد الآخر هو في تقريب الخصوصي باستخدام مشهد عمومي اعتبره ملكًا للذّاكرة العامّ. للتوسّع، ينظر، المرجع السّابق، ص 285 وما بعدها.

2- ينظر، Baudrillard (Jean), le systèmes des objets, Ed, Gallimard, Paris, 1968, p 89.

3- ينظر، صولة (عبد اللّه). الاسترسال في الظّاهرة اللغويّة، ضمن ندوة قسم العربيّة، جامعة سوسة، تونس، 2002، ص 64. وتسمح فرضيّة التّبئير بوصف أو شرح جزء من العنصر المستهدف من الجسم عبر تسليط الضّوء على جانب أو جوانب معيّة مقابل إخفاء أخرى. واعتبر توفيق قريرة أنّ هذا الإجراء عرفانيّا هو الذي يصنع الفرق بين الاستعارات البديلة للميدان الهدف نفسه. للتّوسّع، انظر، توفيق قريرة، الشعريّة العرفانيّة، مفاهيم وتطبيقات على نصوص شعريّة قديمة وحديثة، ص 189.

نَصَبْتُ لَـهُ وَجْهِي وَلاَ كِـنَّ دُونَــهُ وَلَا سِـتْـرَ إِلاَّ الأَتْحَمِّـيُ المُـرَعْبَـلُ[1]

يجعلنا ندرك أنّ الجسد هنا «كلٌّ وأجزاء في الوقت نفسه»[2] فلا انفصال بين الجزء والجزء ماداما يشتركان في وحدة الغرض. وعلى أساس من ذلك، لا يغدو جسد الصّعلوك مجرّد وجود للفضاء، وإنّما «هو الفضاء ذاته» بعبارة ميرلوبنتي[3]. أو ليست تلك رغبة هذا الجسد الغريب عن المجتمع الإنساني. فكانت السّيطرة على الفضاء الطبيعيّ الموحش بديلا ضروريًّا من القبيلة.

وتسمح آلية التّبئير كذلك في البيت الثّاني بإخراج الوجه من بعده المادي إلى اعتباره علامة مميّزة للصّعاليك من جهة ما أُسند إليه من أفعال وصفات، نعتقد أنّها من خواصّهم هي الأخرى. فالفعل (نصبت) مضاف إلى تركيب الحصر في عجز البيت يُجلي معنى طرازيّا هو معنى المقدرة على تحمّل صعوبة الفضاء الزّماني. فليس تعسّف ذاك الوقت الذي يوصف بالصّعب غاية يدركها الجميع، وإنّما ينفرد جسد الشّنفرى بصفة القدرة على ذلك مادام يمتلك قدرات حسّية وحركيّة مخصوصة. فالجسد إذن يكتسب «معنى جامعًا في إنشاء جماليّة النصّ»[4] من جهة ما يبوح به من أنشطة في الفضاء الذي خبره، فامتلكه.

وتظهر معرفة الجسد بالفضاء من خلال الوصف الدّقيق له (يوم الشّعرى) ومن خلال المجيء ذكرا على الحيوان ساكن ذلك الفضاء (أفاعيه) وما رافق ذلك التّدقيق من وصف لها (تتململ). ويعتبر هذا الوصف من حسن اختيار المقدّمات، عمد إليه الشّاعر لإخراج الجزء من ذلك الجسد مخرجًا طرازيًّا من جهة إظهاره - كما أشرنا - مقتدرًا على إنجاز الفعل على صعوبة الفضاء. ويكون الوجه بذلك علامة مميّزة أخبرت عن صاحبها. فإذا بعمل الجسد هنا ينعت بعمل القول لأنّ «جسد اللّغة من عمل الجسد»[5] بعبارة الأزهر الزنّاد.

1- ينظر، ديوان الشّنفرى، ب 62 + 63، ص71. والشّعرى كوكب يرمز به إلى أيّام الصيف الحارّة. ونصبت له وجهي بمعنى قاومته. ويقصد بالكنّ السّتر. والأتحميّ نوع من الملابس. والمرعبل الممزّق ويقصد به الثّوب الذي يلبسه.

2- ينظر، حنّون مبارك، السيميائيّات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 191.

3- Merleau-Ponty (Maurice), Phénoménologie de la perception, Ed, Gallimard, 1945, p 173.

4- ينظر، le dictionnaire du littérature, P.U.F, P 122.

5- ينظر، الأزهر الزنّاد، اللّغة والجسد، ص 241. والمقصود بجسد اللّغة من عمل الجسد هو أنّ اللّغة لا تتحقّق إلاّ بعمل النّطق تصويتا وتقطيعا وهو بذلك نشاط فيزيائي عضليّ عضويّ تأتيه الأعضاء أو المكوّنات التي تمثّل في اجتماعها جهاز النّطة والتّصويت. ينظر، المرجع السّابق، ص 241.

2- الجسد مُخْبِر عن ذاته بغيرها:

لقد وقفنا في الورقات الأولى عند جسد مخبر عن ذاته بذاته انطلاقًا ممّا ذكرنا من أمثلة في الأخلاق والقيم خاصّة، وانتهينا إلى أنّ جسد الغريب في لامية الشّنفرى كان نصّا حمّالا لرؤية صاحبه حول بعض المسائل الكونيّة، أبدى فيها الشّاعر تصوّرا انطلاقًا من تجربة الجسد في الكون. فبدا جسدًا حاملاً لمشروع في الأخلاق إن جاز القول، تهيّأ له ذلك عبر نقد خفيّ لمؤسّسة القبيلة القائمة آنذاك، والرّافضة له كيانًا له خصوصيّاته. ونزعم أنّ الجسد فيما يتلو من أبيات في اللاّمية لم يقف عند إبانة ذاته عبر ذاته، وإنّما جعل نفسه مُخبَرًا عنها بغيرها. والعلامات الدّالة على الذّات عديدة في القصيدة اقتصرنا فيها على مثالين اثنين فقط: وهما الحيوان والسّلاح. وانصرفنا عن بقيّة العلامات التي تناولناها في غير هذا الموضع[1].

عالم الحيوان:

للحيوان حضور لافت في لامية الشّنفرى. واستدعاؤه كان في مواضع عديدة سواء أكان في سياق مشابهة كما رأينا عند الحديث عن قيمة الصّبر على سبيل الذّكر، أم كان في مقام طرح الشّاعر لرؤيته الفكريّة البديلة من الصّحب من بني جنسه. ألم نقل سابقا إنّ الجسد في تنقّله في الفضاء يخلق ضربًا من الانزياح الذي اعتبرناه من خواصّ الصّعاليك. فلا غرو إذن أن يعقد جسد الشّنفرى ههنا علاقات قد توصف بالغرابة، بل بالشّذوذ من جهة المتحدّث عنهم في الشّعر وهم من غير الإنساني. فقوله:

وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ: سِيدٌ عَمَلَّسٌ وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ[2]

فيه إخبار للجسد عن ذاته وقد تشكّلت تشكّلا جديدًا عبر الآخر وهو هنا طائفة من حيوان الصّحراء ذي السّمات الفريدة عن غيرها من الحيوان. ونعتقد أنّ الشّاعر في هذا البيت قد عمد إلى ضرب من الاصطفاء للآخر المكمّل لصورة جسده. فهذا الثنائيّ الوارد ذكرا في البيت من الحيوان: سيد وعرفاء، يعدّان من الحيوانات الأكثر تبدّيًّا وتوحّشًا في المكان

1- ينظر، عليبي (رضى عبد الله). العوالم الممكنة في شعر الصّعلكة، مقاربة كوسمولوجيّة، مجلّة رؤى، مخبر تحليل الخطاب سوق أهراس، الجزائر، العدد التّاسع، فيفري 2019. وأشرنا في هذا المقال إلى العلامات الأخرى الواردة في شعر الصّعاليك والتي نعتبرها من خواصّهم بوجه عام، وخاصّة حديثهم عن مصاحبتهم للكائنات الأسطوريّة ممثّلة في الغول والسّعلاة.

2- ينظر، ديوان الشّنفرى، ب 5، ص 59. والسّيد الذّئب. والعملّس: القويّ السّريع. والأرقط: النّمر. والزّهلول: الأملس. والجيأل: الضّبع. وعرفاء: طويلة العنق.

مقارنة ببقيّة الحيوانات. فانتقى الشّاعر من السّيد القويّ السّريع عبر الصّفة عملّس، وما كان فيه سواد وبياض في صفة أرقط، والخفيف في زهلول. ومن الضّبع، تخيّر ما كان طويلا منه.

يتنزّل هذا الاختيار ضمن رسم صورة للذّات مختلفة عن عالم البشر في الصّحبة. ولقد علّل الشّاعر دواعي اختيار هذه الحيوانات تعليلا عقليّا قائمًا على التّجربة بالقول:

هُمُ الأَهْلُ لاَ مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ لَدَيْهِمْ وَلَا الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ[1]

تبدو الخلفيّة الاجتماعيّة محرّكا أساسيًّا لهذا الاختيار، أو ما ينعته فان ديك بالبنية الكبرى[2]، إذ تدخّلت في هذا العالم البديل أو ما نعتناه بالمعادل الموضوعيّ ما اصطلح عليه محمد الصّالح البوعمراني في ثنائيّة «الواقع والرّغبة»[3]. بمعنى ما هو كائن من أمر الشّنفرى غريبًا طريدًا، وما هو مرغوب ومأمول فيه من العيش كهيئة الإنسان في عالمه البديل، فهي «انعكاس بالضّرورة للمرجعيّات الفكريّة والمعرفيّة للصعلوك»[4]. وإذا ما كانت الأبيات المذكورة سابقًا قد شكّلت صورة جزئيّة للجسد السّاعي إلى رسم خطاطة قوّته عبر استدعاء الآخر وقد تُخُيّر ممّا يتيحه العالم من بدائل، فإذا كان ذلك كذلك، فإنّ الجسد ومن خلال قول صاحبه:

تَـرُودُ الأَرَاوِي الصُّحْمُ حَـوْلِي كَأَنَّهَا عَـذَارَى عَلَيْهِنَّ المُـلاَءُ المُذَيَّـلُ

وَيَـرْكُـدْنَ بِالآصَـالِ حَـوْلِي كَأَنَّنِـي مِنَ العُصْمِ أَدْفَى يَنْتَحِي الكِيحَ أَعْقَلُ[5]

يحدث انعطافة في رسم ذاته، من خطاطة القوّة عبر الفخر بالصّحب الجدد من عالم الحيوان المتوحّش، إلى إظهار الجسد في وضع يوحي بالأمن في مشهد مكمّل لمشهد الصّحب البديل من عالم الإنسان مع الظباء. فالآخر بما يحمله من صفات الأنوثة، يخرج

1- ينظر، المصدر نفسه، ب 6، ص 59.
2- ينظر، البوعمراني (محمد الصالح). البنية، المعنى، الإيدولوجيا، البنى الصّغرى والكبرى والعليا في أدب جبران (مقاربة عرفانيّة)، مجلّة خطاب، الجزائر، العدد20، 2015، ص 50 وما بعدها.
3- ينظر، المرجع السّابق، ص 50.
4- ينظر، الحلواني (عامر). المنوال العرفاني والرّهان العرفاني، الاستعارة التصوريّة في أشعار الهذليين نموذجا، طبعة التّسفير الفنّي، صفاقس، تونس، ط1، 2009، ص 107.
5- ينظر، ديوان الشّنفرى، ب 68 + 69، ص 72. أراوي: جمع أروية وهي أنثى الوعل. ويركدن: يثبتن. ويقصد بالعصم الوعل الذي في ذراعيه بياض. والأدفى: الوعل الذي طال قرنه. ينتحي: يقصد. الكيح: جانب الجبل.الأعقل: الممتنع الذي يصعب بلوغه.

بالشّاعر من مجال الحديث عن القوّة إلى الحديث عن السّلم المرغوب فيه. ولقد أشرنا سابقًا إلى أنّ الجسد وهو يعلن عن رغباته، يعلن في الآن نفسه عن أشكاله. فتارة يتخيّر شكل القوّة، وتارة أخرى شكل اللّين والهدوء كما هو الأمر في ما ذكرنا من أبيات لها علاقة بالجانب النفسيّ لصاحبها. ولقد أشار روجيه دادون إلى أنّ الرّغبة مكمنها الحالة النفسيّة الديناميّة، وهي هذه الحركة أو الحادثة الداخليّة، هذه الكثافة الشعوريّة المشحونة بالصّورة والأشكال والمشاريع»[1].

لقد كان التّشبيه المعبَر لفهم الجسد في البيتين، وكان التّشبيه مؤدّيا لوظيفة تقريب الصّورة وبيانها للمتقبّل. ونعتقد أنّ الشّنفرى في التّشبيهين رسم صورة لجسد في علاقة حميمة بالطّبيعة التي أصبح جزءًا منها، متماهيًا مع مكوّناتها من الحيوان في مشهد هو إلى الاحتفاليّة أقرب. ولقد تخيّر لأجل ذلك مكانًا قصيًّا وعصيًّا على غيره لبلوغه في لفظ(الكيح). وجعل من الحيوان عناصر تؤثّث المشهد المكرّس لمبدأ القيمة في الهيمنة على الفضاء. أمّا المظهر الثّاني المخبر عن جسد الصّعلوك فيتجلّى في:

السّلاح:

للحديث عن السّلاح منزلة رفيعة في شعر الصّعاليك، فوصفه له هو وصف المفتون به. ولا تندّ لامية الشّنفرى عن هذا المسار في الإشارة إليه. ولقد جرى الحديث ههنا على ضربين من الأسلحة عرف بهما الشّاعر، وهما القوس والسّيف. وقد نجد في الافتتان بهذين السّلاحين تعليلا. فالقوس والسّيف مطلوبان لكونهما من الأسلحة خفيفة الحمل في الغارات، أو عند مواجهة العدوّ. فالخفّة هنا مطلوبة حتّى لا تعيق حركة الصّعلوك في الفضاء[2]. وقول الشّاعر متحدّثًا عن السّلاحين:

1- ينظر، دادون (روجيه). الرّغبة والجسد، ترجمة محمد اسليم، مجلّة علامات، العدد 4، 1995، ص 71.

2- للتوسّع، ينظر، عليبي (رضى عبد الله). الغربة والحنين في الشّعر العربي إلى نهاية القرن الأوّل الهجري، دار ميّارة للنّشر والتّوزيع، تونس، ط1، 2019، ص 209. لم يكن الشّعراء الصّعاليك مفتونين بهذه الآلات الحربيّة التي رتقت إلى مرتبة الرّمز، وإنّما عرف شعراء هذيل أيضا بالإطناب في الحديث عن أسلحتهم. ولقد أرجع بعض الباحثين هذه الظّاهرة الفنيّة إلى «ظواهر اجتماعيّة خاصّة في حياتهم. فقد كان الشّنفرى كما يصوّره الرّواة مفتونا بسهامه حريصًا على أن تكون معلمة يعرفها النّاس. فكان يميّزها بعلامة خاصّة حتّى تعرف». للتوسّع، انظر، عطوان (حسن).الشّعراء الصّعاليك في العصر الأموي، دار المعارف، مصر، 1987، ص 161. بينما عرف الهذليين بدقّة رميهم من بين خصال ثلاثة حدّدها الأصمعيّ في قوله «إذا فاتك الهذليّ أن يكون شاعرا أو ساعيا أو راميا فلا خير فيه». انظر، أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج21، ص 138.

ثَلاثَـةُ أَصْحَـــــابٍ: فُـؤَادٌ مُشَيَّعٌ وَأَبْيَـضُ إِصْلِيـتٌ وَصَـفْـرَاءُ عَيْـطَلُ

هَتُـوفٌ مِنَ المُلْسِ المُتُونِ تَزِينُهَـا رَصَائِعُ قَدْ نِيطَتْ إِلَيْهَا وَمِحْمَـلُ[1]

يؤكّد ما كنّا أشرنا إليه من احتفائه بسلاحه، إذ ذهب صاحب الأغاني إلى القول بأنّ الشّنفرى «كان مفتونًا بسهامه، حريصًا على أن تكون معلمة يعرفها النّاس، فكان يميّزها بعلامة خاصّة حتّى تعرف»[2]. وتوسّع الشّاعر في أبياته في وصف القوس، فحدّد شجرة صنعها(الصّفراء) وذكر طولها(العيطل)، فإذا بها قوس طويلة العنق دقيقة، تحقّق لصاحبها دقّة إصابة الهدف.

لم تكن إشارات الشّاعر إلى السّلاح عرضًا في القصيدة، وإنّما هي داخلة ضمن «مشروعه» العام الذي لهج به منذ الأبيات الأولى. فالاحتفاء بالجسد من جهة رسم خطاطة القوّة له يستدعي تخيّر العناصر الملائمة لذلك. ويعدّ السّلاح هنا من الأسلحة الطرازيّة المحقّقة لمبدأ التّناسب بين الذّات والموضوع، أو بين الحامل والمحمول. فالقوس أو السّيف علامتان حدّدتا إدراك الشّاعر الواعي للأشياء. وتهيّأ له ذلك عبر الرّبط بين عناصر أربعة هي «السّمات الوصفيّة، والسّمات الإشاريّة، والجهة والصّورة»[3]، لذلك نفهم أنّ تخيّر الشّاعر للموصوف الأوّل والثّاني تخيّرا طرازيّا قد حقّق له ضربًا من الامتلاء النّفسيّ. وقد نعلّل هذا الاختيار بكونه مكمّلا لصورة الذّات المقتدرة، والمخبرة عن ذاتها بغيرها عبر السّلاح.

1- ينظر، ديوان الشّنفرى، ب 12+11، ص 60.
2- ينظر، الأصفهاني (أبو الفرج)، الأغاني، ج21، ص 142.
3- ينظر، Jackendoff (R), Foundation of language, Brain Meaning, grammar, Evolution, Oxford University, press 2002, p309.

خاتمة البحث

لقد كانت لامية الشّنفرى في ما نرى مناسبة لفهم الجسد فهمًا أظهره نصّا له لغته ونسقه في التّفكير عبر برامج ومشاريع عديدة. وأوقفتنا الدّراسة على جسد أشبه بخزّان للدّلالات، تهيّأت له من جهة احتكاكه بالفضاء الذي يسكنه بمختلف مكوّناته، ليست الإنسانيّة والحيوانيّة فقط، بل والأسطوريّة والغيبّة[1] كذلك إذا ما أرادنا التوسّع في دراسة كلّ الموجودات في القصيدة.

ولقد اعتمد الجسد في الحديث عن نفسه طريقتين: كان في الأولى مخبرا عن ذاته بذاته من خلال جملة من القيم المعبّرة عن مبدأ القيمة بصفة عامّة، بينما كان في الثّانية مخبرًا عن ذاته بغيرها. وكان الهدف من تنويعات الاحتفاء بالجسد في فضاء القصيدة الإخبار عن ذاته خارج النصّ من جهة تأكيد تلك الخلال في العالم المرجعيّ.

ونشير ختامًا إلى أنّ فهم الجسد في اللاّمية كان مُهمًّا في تقديرنا من جهة إدراكنا أنّ الجسد ما عاد مجرّد تضاريس أو كتلة ماديّة جامدة، وإنّما بات في المقاربات الحديثة واجهة مولّدة لدلالات متكثّفة يتداخل فيها الثّقافي والنّفسي في ما يشكّل كونيّة ذلك الجسد، ويصنع هويّته ونسقه الخاصّ به. ونزعم أنّ إدراك الشّاعر لجسده وإخراجه على صوره تلك إلى العالم الخارجي كان وليد الوعي به جسدًا فريدًا عن الأجساد الأخرى، والإحساس النّابع من انفعال دائم رافق الشّنفرى الغريب عن ذلك العالم نفسه ما جعله ينطوي على جسده، ويتعهّده في ما يشبه الباحث عن جسد كامل في واقع يشكو خللا بالنّسبة إليه.

1- ينظر، بحثا «العوالم المُمكنة في شعر الصّعلكة، مقاربة كوسمولوجيّة» حيث أشرنا إلى العوالم الممكنة التي أسّسها الصّعاليك بديلا من العالم المرجعي المعيش. ومن العوالم الممكنة ذكرنا: العالم الغيبيّ، والعالم الشّبقي، إضافة إلى عالم الحيوان، والعالم الذّاتي. للتّوسّع، ينظر، دراستنا المذكورة سابقا، مجلّة رؤى، مخبر تحليل الخطاب سوق أهراس من الصّفحات 50 إلى 53.

المصادر

- الأصفهاني (أبو الفرج). كتاب الأغاني، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، (د ت).
- ديوان الشّنفرى، جمع وتحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط1، 1991.

المراجع العربيّة:

- بنكراد (سعيد). السيميائيّات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار للنّشر والتّوزيع، سوريّة، ط3، 2012.
- البوعمراني (محمد الصّالح). البنية، المعنى، الايديولوجيا، البنى الصّغرى والكبرى والعليا في أدب جبران (مقاربة عرفانيّة)، مجلّة خطاب، العدد20، 2015.
- الحلواني (عامر). المنوال العرفاني والرّهان العرفاني، الاستعارة التصوريّة في أشعار الهذليين نموذج، طبعة التّسفير الفنّي، صفاقس، تونس، ط1، 2009.
- حنّون (مبارك). دروس في السيميائيّات، دار توبقال، المغرب، ط1، 1987.
- دادون (روجيه). الرّغبة والجسد، ترجمة محمد اسليم، مجلّة علامات، العدد4، 1995.
- الزّناد (الأزهر). اللّغة والجسد، مركز النّشر الجامعي، تونس، ط1، 2017.
- صولة (عبد الله). الاسترسال في الظّاهرة اللغويّة، ضمن ندوة قسم العربيّة، جامعة سوسة، تونس، 2002.
- عطوان(حسن). الشّعراء الصّعاليك في العصر الأموي، دار المعارف، مصر، 1987.
- عليبي (رضى عبد الله). العوالم الممكنة في شعر الصّعلكة، مقاربة كوسمولوجيّة، مجلّة رؤى، مخبر تحليل الخطاب سوق أهراس بالجزائر، الجزائر، العدد التّاسع، 2019.
- عليبي (رضى عبد الله). الغربة والحنين في الشّعر العربي إلى نهاية القرن الأوّل الهجري، دار ميّارة للنّشر والتّوزيع، تونس، ط1، 2019.
- قريرة (توفيق). الشعريّة العرفانيّة، مفاهيم وتطبيقات على نصوص شعريّة قديمة وحديثة، كليّة الآداب القيروان، تونس، ط1، 2015.

- معلاّ (طلال). جسد، سندباد للنّشر، عمان، ط1، 1999.

المعاجم:

- الفيروز أبادي، قاموس المحيط، ط5، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، 1996.

المراجع الأجنبيّة:

- Baudrillard (Jean), le systèmes des objets, Ed Gallimard, Paris, 1968.
- le dictionnaire du littérature, P.U.F .
- Merleau-Ponty (Maurice), Phénoménologie de la perception, Ed, Gallimard, 1945.
- Merleau-Ponty (M), la structure du comportement, Ed, P.U.F. 1949
- Jackendoff (R), Foundation of language, Brain Meaning grammar, Evolution, oxford University, Press, 2002.
- Sartre (J.P), l'existentialisme est un humanisme, Gallimard, Folio, Paris, 2010.

المصادر:

- Diwan of Al-Shanfara: compiled and edited by Emile Badi' Ya'qub, Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1st edition, 1991.
- Abu al-Faraj al-Isfahani: Kitab al-Aghani, Research Office of Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Ihya al-Turath al-Arabi Edition, Beirut, Lebanon, 1st Edition.

المراجع العربيّة:

- Benkrrad (Said). Semiotics: Concepts and Applications, Dar Al-Hiwar for Publishing and Distribution, Syria, 3rd edition, 2012.
- Bouomrani (Mohammed Al-Saleh). Structure, Meaning, Ideology, Micro, Macro, and Superstructures in Gibran's Literature (A cognitive Approach), Khattab Magazine, Issue 20, 2015.
- Al-Halawani (Ameur). The cognitive Pattern and the cognitive Bet: Imaginative Metaphor in the Poetry of the Hudhayl Tribe as a Model, Al-Tasfir Al-Fanni Edition, Sfax, Tunisia, 1st edition, 2009.
- Hannoun (Moubarek). Lessons in Semiotics, Dar Toubkal, Morocco, 1st edition, 1987.
- Dadon (Roger). Desire and the Body, translated by Mohammed Islim, Alamat Magazine, Issue 4, 1995.

- Al-Zannad (Al-Azhar). Language and the Body, University Publishing Center, Tunis, 1st edition, 2017.
- Sola (Abdullah). Elaboration on the Linguistic Phenomenon, in the Symposium of the Department of Arabic, University of Sousse, Tunis, 2002.
- Atwan (Hassan). The Vagabond Poets in the Umayyad Era, Dar al-Maaref, Egypt, 1987.
- Alibi (Ridha Abdullah). Possible worlds in vagabond poetry: a cosmological approach, Ru'a Journal, Discourse Analysis Laboratory, Souk Ahras, Algeria, Algeria, Issue 9, 2019.
- Alibi (Ridha Abdullah). Alienation and Nostalgia in Arabic Poetry up to the End of the First Century AH, Dar Mayyara for Publishing and Distribution, Tunis, 1st edition, 2019.
- Grira (Tawfiq). The cognitive Poetics: Concepts and Applications to Ancient and Modern Poetic Texts, Faculty of Arts, Kairouan, Tunis, 1st edition, 2015.
- Moualla (Talal). body, Sindbad Publishing, Amman, 1st edition, 1999.

المعاجم:

- Al-Fayruzabadi: Al-Qamus Al-Muhit, Al-Risalah Foundation, Beirut, Lebanon, 5th edition, 1996.

الدوريّات:

- Encyclopédie de l'islam, Leiden Brill, tomı×, 1998.

المراجع الأجنبيّة:

- Baudrillard (Jean): The System of Objects, Gallimard, Paris, 1968.
- The Dictionary of Literature, Presses Universitaires de France.
- Merleau-Ponty (M): Phenomenology of Perception, Gallimard, 1945.
- Merleau-Ponty (M): The Structure of Behavior, Ed., P.U.F. 1949.
- Jackendoff (R): Foundation of language, Brain Meaning, grammar, Evolution, Oxford University, Press 2002.
- Sartre (J.P): Existentialism is a Humanism, Gallimard, Folio, Paris, 2010.

التعبيرات الاصطلاحية في العربية:
أبعادها الثقافية والدلالية

Idiomatic Expressions in Arabic:
Their Cultural and Semantic Dimensions

جراح عبود سويد الطه
طالب ماجستير - جامعة الوصل

Grah Abbod Swaid Al-Taha
Master's Student - Al Wasl University

https://doi.org/10.47798/fom.2025.i05.03

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

تهدف هذه البحث إلى تحليل الأبعاد الثقافية والدلالية للتعبيرات الاصطلاحية العربية بوصفها وحداتٍ لسانية تختزن ذاكرةً حضارية وتُنتج معناها داخل شبكة ثقافية-تداولية. وتنطلق من إشكالية مفادها: كيف تحافظ الصيغة على ثباتها بينما تتبدّل الدلالة عند انتقال العبارة من مرجعيتها النصّية/الأدبية إلى الاستعمال اليومي؟ اعتمدت الدراسة مقاربةً تحليلية تطبيقية على عيّنةٍ قصديّة من ثمانية تعبيرات اصطلاحية، فتتبّعت أصولها ومسارات التحوّل الدلالي، ووظائفها الخطابية وحساسيتها للسجلّ، مع رصد انعكاسات ذلك في الترجمة وتعليم العربية للناطقين بغيرها. وتبيّن النتائج أنّ التناصّ وإعادة التكييف السياقي والانتشار التداولي تُسهم في توليد معانٍ متجدّدة. وتقدّم الدراسة إطارًا يميّز بين المعادل الدلالي والمعادل الوظيفي ويضبط الملاءمة المقامية.

الكلمات المفتاحية: التعبيرات الاصطلاحية؛ الدلالة الثقافية؛ التداولية؛ الحركية الدلالية؛ الترجمة وتعليم العربية.

Abstract

This study examines the cultural and semantic dimensions of Arabic idiomatic expressions as linguistic units that preserve collective memory and generate meaning within a cultural-pragmatic network. It addresses a central question: how do idioms maintain formal stability while their meanings remain context-sensitive when moving from textual/literary origins to contemporary usage? Adopting an analytical, applied approach, the study investigates a purposive sample of seven Arabic idioms by tracing (1) origins and source references, (2) mechanisms of semantic change, (3) discourse functions and register sensitivity, and (4) implications for translation and teaching Arabic to non-native speakers. The findings show that intertextuality, contextual reconfiguration, and pragmatic diffusion drive ongoing meaning renewal, reflecting speakers' evolving values and social relations. The study proposes a diagnostic framework that distinguishes semantic from functional equivalence and guides contextual and register-appropriate choices in translation and pedagogy.

Keywords: idioms; cultural semantics; pragmatics; semantic shift; translation and Arabic teaching.

المقدمة

تُعَدّ التعبيرات الاصطلاحية في العربية مدخلًا كاشفًا لعلاقة اللغة بالثقافة وبأنماط التفكير، إذ تختزن خبرةً تاريخيةً ورمزيةً متراكمة، وتعمل بوصفها وحداتٍ لسانية تُجسِّد قيَمًا وتمثّلاتٍ أسهمت في تشكيل الوعي الجمعي للناطقين بالعربية. ومع أنّ اللسانيات الحديثة أولتها اهتمامًا متزايدًا، فإنّ جانبًا معتبرًا من الدراسات العربية ظلّ أسير المقاربة الوصفية أو البلاغية التقليدية، بما قلّل من إبراز أبعادها الثقافية والدلالية ومن تحليل دورها في تمثيل «رؤية العالم» داخل الاستعمال.

ينطلق هذا البحث من فرضيةٍ مؤدّاها أنّ التعبير الاصطلاحي ليس تركيبًا جامدًا، بل بنية دلالية-ثقافية متحركة تتشكل تاريخيًا وتُعاد موضعتها تداوليًا بحسب المقام. ولغرض ضبط المفهوم إجرائيًا في ضوء تداخل التسميات العربية المقابلة لهذه الظاهرة، يعتمد البحث تعريفًا تشغيليًا للتعبير الاصطلاحي بوصفه وحدةً قوليةً تتسم بثباتٍ نسبيّ وعرفِ استعمالٍ يتجاوز مجموع دلالة مفرداتها، وتكتسب حمولةً ثقافية قابلة لإعادة التكييف الدلالي-التداولي؛ وعليه يُستعمل المصطلح هنا بوصفه مظلّةً تشمل درجاتٍ من التعبيرات الاصطلاحية، على أن يكون معيار الإدراج هو ثبات الصيغة وشيوعها ووظيفتها الثقافية في الاستعمال.

إشكالية البحث وأسئلته:

تتحدد إشكالية البحث في تتبّع التوتر المنتج بين ثبات الصيغة وحركية المعنى في التعبيرات الاصطلاحية العربية، ولا سيما حين تنتقل من سياقاتها النصّية/الأدبية إلى الاستعمال المعاصر. ويتفرّع عن ذلك الأسئلة الآتية:

1. ما أبرز مسارات التحول الدلالي التي تمر بها التعبيرات الاصطلاحية ذات المرجعيات النصّية في العربية؟
2. ما الآليات الثقافية-التداولية التي تضبط إعادة تكييفها (التناصّ، القرائن، السجلّ، المقام)؟
3. كيف تُسهم هذه التعبيرات في تمثيل مفاهيم الزمن والعاطفة والعلاقات والقيم داخل الخطاب؟

4. ما الذي يترتب على ذلك في الترجمة وتعليم العربية للناطقين بغيرها (وخاصة التمييز بين المعادل الدلالي والوظيفي)؟

أهداف البحث وأهميتها:

تهدف البحث إلى: (أ) تقديم توصيفٍ ثقافي-دلالي للتعبير الاصطلاحي يراعي وظيفة العبارة داخل المقام، (ب) تحليل عيّنة تمثيلية للكشف عن آليات التحول الدلالي وإعادة التكييف، (ج) اقتراح أدواتٍ إجرائية تساعد في الضبط الوصفي والتعليمي، وفي الحدّ من أخطاء النقل الحرفي وسوء الملاءمة السجلّية. وتنبع أهمية الدراسة من أنها تُزاوج بين التحليل الدلالي والتداولي من جهة، والبعد التطبيقي (الترجمة/التعليم) من جهة أخرى؛ بما يجعل نتائجها قابلة للاستثمار البحثي المثلث الديداكتيكي: يتكون من ثلاثة أقطاب تتفاعل فيما بينها: المعلم، المتعلم، والمعرفة (المادة العلمية).

المنهج وحدود المتن:

تعتمد البحث منهجًا تحليليًا نوعيًا يزاوج بين المقاربة الدلالية والمقاربة الثقافية/التداولية عبر خطواتٍ إجرائية: تحديد المرجعية النصّية للتعبير، وتوصيف بنيته التصويرية، وتتبّع انتقاله إلى الاستعمال، ورصد الوظيفة الخطابية وحساسية السجلّ. ويقتصر المتن التطبيقي على عيّنة قصديّة تضم ثمانية تعبيرات شائعة ذات حمولة نصّية/تراثية متباينة، بوصفها نماذج لا تدّعي الإحاطة بكل أنماط الاصطلاح في العربية، بل تستهدف إظهار آليات التحول واشتغال الثقافة في إنتاج الدلالة.

بنية البحث:

ينتظم البحث في أربعة محاور: (1) تمهيد مفهومي يضبط المصطلح ويرسم خلفيته النظرية. (2) تحليل تطبيقي للعيّنة المختارة. (3) استخلاص الأبعاد الثقافية والتداولية وآليات الحركية الدلالية. (4) تنزيل النتائج في رؤيةٍ تعليمية تُعالج قصور نموذج «تعريف + ترجمة + حفظ»، وتؤسس لبيداغوجيا مقامية-وظيفية للتعبير الاصطلاحي.

1 - التعبير الاصطلاحي بين التعريف والتوصيف:

ننطلق من مسلّمتين مترابطتين. أولاهما أنّ معنى التعبير الاصطلاحي لا يُستمدّ من مجموع دلالة مفرداته، بل من عرف الاستعمال وما تراكم حوله من تقاليد الخطاب؛ وهو ما تقرّره المعاجم الاصطلاحية واللسانية عند تعريف Idiom بوصفه تركيبًا ثابتًا يمنح معنى

مجازيًا لا يُستنبط مباشرةً من مكوّناته[1]. وثانيتهما أنّ ضبط المصطلح يستدعي ردَّه إلى أصله التداولي؛ إذ يعود لفظ idiom في اللغات الأوروبية إلى اليونانية idiōma («أسلوب خاص») المشتقة من idios («ذاتي/خاص») وفق ما يورده «القاموس الموجز لعلم اللغة» الصادر عن أكسفورد[2]. وما أنّ تشكّل الدلالة الاصطلاحية شديد الارتباط بالخبرة الثقافية: فـ«حاطبُ ليل» يستدعي صورة الالتقاط في الظلام وما يكتنفه من مخاطرة[3]، و«ليلةُ المحمَّقات» تُحيل إلى الليالي القمرية البيضاء بوصفها إطارًا ثقافيًا للتوصيف ذي النبرة التهكمية أو النقدية[4]. كما تؤكد دراسات المعجميين أنّ اللجوء إلى الاصطلاح قد ينهض بوظائف تداولية، منها التلطّف في الخطاب وتجنّب التصريح بما يُستقبح ذكره؛ طلبًا للإيجاز والوجاهة الأسلوبية[5]. وإلى ذلك، تشير بعض الكتابات التأريخية إلى أنّ بلورة دراسة الظاهرة في جهاز وصفي حديث تعزّزت في القرن التاسع عشر ضمن تقاليد الدرس المقارن، حيث وُضعت العلاقة بين الثبات الشكلي والتحوّل الدلالي في التعبيرات الاصطلاحية تحت مجهر التحليل[6].

وفي ضوء هذا الإطار، تُقرأ التعبيرات الاصطلاحية العربية بوصفها وحدات عالية الكثافة الدلالية تتغذّى من موارد نصّية متعدّدة (دينية، وأدبية، وتراثية، ومعجمية)، ثم تُعاد صياغتها في الاستعمال الاجتماعي حتى تستقرّ لها دلالة عرفية تُجاور أصلها التصويري. فـ«حاطبُ ليل»-مثلًا-يحفظ أثر نسق ثقافي قديم يربط الاحتطاب في الظلام بخطر الالتقاط بغير تمييز[7]، و«ليلةُ المحمَّقات» تُعيد توظيف المعجم الفلكي في صورة شعبية ذات نزعة نقدية[8]؛ ومثلُهما عشرات الصيغ التي انتقلت من المجاز البلاغي إلى الاصطلاح

1- باكلا (محمد حسن)، وآخرون. معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، مكتبة لبنان، 1983م، ص37.

2- قويدر (حسان). العبارات الاصطلاحية في اللغة العربية، دار كنان، 2000م، ص7؛

- Matthews, (P. H.) «Idiom», in: The Concise Oxford Dictionary of Linguistics, 3rd ed., Oxford University Press, 2014, entry: «Idiom».

3- ابن منظور (محمد). لسان العرب، دار صادر، 1994م، ج1، ص322، مادة: «ح ط ب».

4- فيّاض (سعيد). معجم المأثورات اللغوية والتعبيرات الأدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م، ص73، مادة: «ح م ق».

5- القاسمي (علي). «معالجة التعابير الاصطلاحية والسياقية»، في: المعجميات العربية بين النظرية والتطبيق، مكتبة لبنان، 2003م، ص107.

6- حسام الدين (كريم زكي). التعبير الاصطلاحي: دراسة في تأصيل المصطلح ومفهومه ومجالاته الدلالية وأنماطه التركيبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1985م، ص15.

7- ابن منظور (محمد). لسان العرب، دار صادر، 1994م، ج1، ص322، مادة: «ح ط ب».

8- فيّاض (سعيد). معجم المأثورات اللغوية والتعبيرات الأدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م، ص73، مادة: «ح م ق».

العرفي. ويدخل في المسار نفسه ما ارتقى من الكناية إلى الاستعمال الاصطلاحي الجاري، كما في قولهم «انبسط وجهه» و«نفض يده من الأمر»[1]، حيث تتحول الصورة-بسلطان التكرار الاجتماعي-إلى دلالة شبه معجمية مستقرة[2].

وعليه، تتيح التعبيرات الاصطلاحية في العربية إطارًا نظريًا ووَصفيًا لقراءة الظاهرة بوصفها نظامًا لسانياً-ثقافيًا متداخل المستويات، تتشابك فيه البنية بالدلالة، واللغة بالسياق. فالتعبير الاصطلاحي ليس وحدة معجمية جامدة، بل بنيةٌ حركية تتجدد دلالاتها بتجدد الاستعمال والمقام، وتختزن في طياتها ذاكرة ثقافية تعبّر عن رؤية المجتمع للعالم وتجربته التاريخية. ومن هنا تتبدّى أهمية المقاربة الثقافية-التداولية التي تعتمدها هذا البحث؛ إذ تتتبّع كيف تتحول التراكيب المقيّدة-القرآنية والشعرية والقولية-إلى رموز حيّة ترسم مسارات انتقال المعنى بين النص والسياق، وبين الإسناد التراثي ووظائف القول المعاصرة؛ وهو ما سيُفصَّل في المتن التطبيقي.

2. العينة التطبيقية:

اختيرت العيّنة التطبيقية من التعبيرات الاصطلاحية وفق معايير منهجية محدّدة، شملت قابليتها للتداول، وثبات صيغتها، مع إمكان رصد تحوّل دلالي أو وظيفي في الاستعمال، إلى جانب تنوّع الوظيفة الخطابية وتفاوت درجة الوضوح الدلالي. كما روعي في الاختيار البعد الثقافي والمرجعي للتعبير وإمكان تتبّع إعادة توظيفه في سياقات حديثة، بما يخدم أهداف التحليل التطبيقي دون ادّعاء الشمول الإحصائي.

1- يُلاحظ أن هناك التباسًا بين صيغتين مختلفتين صرفيًا، هما «نفض» و«انفضّ»؛ فالفعل «انفضّ» لازمٌ يدلّ على التفرّق أو الانحلال، ولا يتعدّى إلى مفعول، ولا يُستعمل في العربية الموثقة بمعنى التخلّي أو البراءة؛ انظر: عمر (أحمد مختار). معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، 2008م، ج3، ص1423، مادة: «ف ض ض». أمّا الدلالة المقصودة هنا فتؤدَّى بالفعل المتعدّي «نفض»، كما في قولهم: نفض يده من الأمر، أو بصيغة الأمر: انفض يديك من...، وهو الاستعمال الذي يشهد له قول الشاعر: «انفض يديك من الدنيا وزينتها»؛ انظر: المقري التلمساني (أحمد). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، 1997م، ج4، ص257. وبناءً على ذلك، فإن تركيب «انفضّ يده من الأمر» غير دقيق، والصواب: «نفض يده من الأمر».

2- القاسمي (علي). «معالجة التعابير الاصطلاحية والسياقية»، في: المعجميات العربية بين النظرية والتطبيق، مكتبة لبنان، 2003م، ص107.

1.2 «ٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا»:

يمثّل التعبير القرآني ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ (مريم: 4) مثالًا كاشفًا عن تضافر البنية النحوية مع توليد الدلالة المجازية في العربية الكلاسيكية. فالفعل اشتعل يدلّ في أصله على «انبعاث النار وانتشارها في الشيء حتى تعمّ أجزاؤه»[1]، وهو معنى يؤسّس مجالًا تصوّريًا فيزيائيًا مرتبطًا بالاحتراق والامتداد. غير أنّ النظم القرآني يُعيد توجيه هذا الحقل الدلالي ليحيل إلى ظاهرة زمنية/وجودية لا مادية؛ إذ يُنقل مفهوم الانتشار من مجال النار إلى مجال الشيب، فيغدو الزمن-ضمنيًا-عاملًا «يُشعل» الجسد بياضًا. وتمثّل هذه الآلية ما تصفه الدلالة المعرفية بإعادة التخطيط الاستعارية (metaphorical re-mapping)؛ أي الإبقاء على هيكل الإسناد مع نقل مجال الإحالة من الفيزيائي إلى الوجودي، بحيث يبقى البناء النحوي ثابتًا بينما يُعاد تشكيل المجال الدلالي.

فإنّ إسناد الفعل إلى «الرأس» لا إلى «الشيب» يوسّع مجال الوصف: فالرأس يتحوّل إلى «حيّز الاشتعال» برمّته، ويجيء التمييز «شيبًا» ليفسّر النسبة ويحدد نوع الاشتعال، بما يضمن اتساق الصورة وتكاملها. وقد عدّه النحاة تمييزًا منصوبًا مفسّرًا للنسبة[2]، وهو توصيف يبرز كيف تُسهم الصناعة النحوية في إحكام المقصد البلاغي. ويذهب عبد القاهر الجرجاني إلى أنّ سرّ البلاغة هنا يتحقق في معنى «الشمول والانتشار في الاشتعال، بحيث يُفهم أنّ الشيب قد استولى على الرأس كله»[3]. وعليه، يتكثّف المعنى في صيغة تجمع بين دقّة بنائية وصورة استعارية تقوم على الاستغراق والتصعيد.

وقد تجاوز هذا التركيب وظيفته الخبرية داخل السياق القرآني ليغدو-في التداول الثقافي-وحدةً إحالية/تناصّية تُستدعى للدلالة على اكتمال الشيخوخة وتمام التحوّل الوجودي. ومن ثمّ يُستعمل في الأدب واللغة العامة بوصفه علامة مكثفة على بلوغ مرحلة عمرية متقدمة، وقد يُعاد توظيفه في نصوص لاحقة استعارةً لتبدّل الأحوال وتقلب الحياة، بما يبيّن استمرار المجاز داخل الذاكرة الثقافية بوظائف تداولية متجددة.

ويبرز مستوى هذا التعبير بوصفه حالة دالّة على صعوبة تحقيق التكافؤ الوظيفي الكامل بين اللغات. فالصياغة الحرفية التي تُبقي صورة الاشتعال قد تبدو أقلّ مقبولية

1- الجوهري (إسماعيل). الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، 1987م، ج1، ص160.
2- صافي (محمود). الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، دار الرشيد، ومؤسسة الإيمان، 1995م، ج8، ص272.
3- الجرجاني (عبد القاهر). دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، 1992م، ص101.

تداوليًا في الإنجليزية، بينما تنجح الصيغ التفسيرية المباشرة في نقل المعنى الزمني، لكنها تُضعف البعد التصويري. وفي الفرنسية تظهر المفاضلة نفسها بين صياغات بلاغية نادرة الاستعمال وصيغ تداولية شائعة تنقل المعنى دون الصورة. وتدلّ هذه المفارقة على أنّ العلاقة الترجمية هنا تحقق تكافؤًا دلاليًا جزئيًا تقابله خسارة تداولية: يُنقل المضمون المعرفي العام، بينما يتراجع الإيحاء الثقافي وحيوية الصورة في لغة الهدف.

ويمكن تفسير ذلك في ضوء نموذج نايدا في التكافؤ الوظيفي[1]، الذي ينظر إلى الترجمة بوصفها فعلًا تواصليًا يستهدف أثرًا قريبًا من أثر النصّ في لغته الأصلية. ويقتضي ذلك من المترجم موازنةً دقيقة بين حفظ البناء البلاغي وضمان المقبولية التداولية في اللغة المستقبِلة. وفي هذا الموضع تُرجّح-في الغالب-ترجمةٌ تفسيرية تُظهر المقصد الاستعاري دون فرض صياغة غير مألوفة على الذائقة الأسلوبية للغة الهدف؛ مثل:

«His hair has grown entirely white - a metaphor for the spreading of age.»

2.2. «أرقٌ على أرقٍ»:

يُعَدّ التعبير الشعري «أرقٌ على أرقٍ» من الصيغ التي اكتسبت في العربية مكانةً تداوليةً لافتة بفضل طاقتها الإيحائية وكثافتها الانفعالية؛ إذ تطوّر استعمالها عبر الزمن لتغدو وحدةً تُستدعى للدلالة على تراكم الهمّ وامتداد السهر، حتى يصبح الأرق-مجازًا-موضوعًا للأرق ذاته. ويرجع أصل العبارة إلى مطلع قصيدة أبي الطيب المتنبي:

«أرقٌ على أرقٍ ومــثلي يــأرقُ وجــوىً يزيــدُ وعــبــرةٌ تــتــرقــرقُ»[2]

ويمثّل هذا المطلع نموذجًا للتوليد المعنوي في اللغة الشعرية؛ إذ ينقل المتنبي لفظ الأرق من دلالته الفيزيولوجية المباشرة إلى مجالٍ نفسيٍّ متكثّف تتداخل فيه الدلالة الشعورية مع البعد الزمني. وقد ميّز الزبيدي في تاج العروس بين الأرق والسهر، فذكر أنّ

1- Nida, (E.A.) Toward a Science of Translating: With Special Reference to Principles and Procedures Involved in Bible Translating, E. J. Brill, 1964؛ Nida, E. A., and Taber, C. R. The Theory and Practice of Translation, E. J. Brill, 1969؛ Munday, J. Introducing Translation Studies: Theories and Applications, 5th ed., Routledge, 2022؛ Venuti, L. (ed.). The Translation Studies Reader, 4th ed., Routledge, 2021؛ Hatim, B., and Munday, J. Translation: An Advanced Resource Book, Routledge, 2004.

2- المتنبي. ديوان أبي الطيب المتنبي، تح: عبد الواحد وافي، دار المعارف، 1964م، ج2، ص63.

الأرق أخصّ منه «إذ يدلّ على ذهاب النوم مع قلقٍ واضطرابٍ في النفس»[1]. وبناءً على هذا التحديد، يغدو التكرار في «أرقٌ على أرقٍ» تكرارًا دلاليًا تصعيديًا لا مجرد توكيدٍ صوتي أو إيقاعي؛ فهو يرفع شدة الحالة ويُراكمها، ويحوّل المعنى من وصف حالة إلى تمثيل تجربةٍ انفعالية مستغرقة.

ويمكن توصيف هذا النسق بوصفه مثالًا على التكثيف الدلالي بالتكرار: آلية يُعاد فيها العنصر اللغوي نفسه ليؤدي وظيفةً تتجاوز التكرار الشكلي إلى تعزيز الحمولة الانفعالية وإبراز المقصد التداولي. فالتكرار هنا ليس حشوًا، بل بنية منتجة تُنشئ معنىً طبقيًا متدرّجًا. ومن الناحية التركيبية، يقوم البناء على تكرار الاسم مقرونًا بحرف الجر «على»، بما يشي بوظيفة مجازية تفيد التراكب/الاستعلاء المعنوي: فـ«الأرق» الأول يعبّر عن الحالة الأصلية، ويُبنى عليه «أرق» ثانٍ يفيد تضاعفها وتراكمها، فتتكوّن صورة دلالية تقوم على مبدأ التركيب الطبقي للمعنى؛ أي بناء الدلالة عبر طبقات من التكرار الداخلي، بحيث يصبح المعنى الثاني نتيجةً للأول ومولّدًا لتجربةٍ شعورية جديدة.

وقد عبّر البلاغيون القدماء عن أنماط قريبة من هذا المسلك بمفاهيم تُبرز وظيفة إعادة العنصر في تعميق الأثر، ويمكن من ثمّ النظر إلى «أرقٌ على أرقٍ» بوصفه تكرارًا يولّد معنى إضافيًا عبر إعادة تشغيل العنصر داخل البنية ذاتها، لا بوصفه استنساخًا لفظيًا محضًا.

وتجاوز هذا المطلع سياقه الشعري الأصلي ليغدو وحدةً تداوليةً ثقافية في الذاكرة العربية. فقد أشار المقري في نفح الطيب إلى أنّ أدباء الأندلس كانوا يقترحون النظم على وزن هذا المطلع لاختبار براعة الشعراء في الارتجال[2]، وذكر ابن فضل الله العمري أنّ العبارة استُعملت في مجالس الأدب علامةً على «صفاء الطبع وجودة التوليد الشعري»[3]. ويبيّن ذلك انتقال التركيب من وظيفة شعرية جمالية إلى وظيفة تداولية ثقافية تُستعمل علامةً تقييمية داخل سياقات التواصل الأدبي.

وعلى مستوى البنية، يقوم البيت على تكرار الجذر (أ-ر-ق) في موضعين متقابلين، بما

1- الزبيدي (محمد مرتضى). تاج العروس من جواهر القاموس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2001-1965م، مادة: «أرق».
2- المقري التلمساني (أحمد). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، 1997م، ج2، ص184.
3- ابن فضل الله العمري (أحمد). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، 2002م، ج9، ص112.

يفعّل ما سمّاه ياكوبسن محور التماثل[1]؛ أي انتظام التوازي الذي يولّد جزءًا من المعنى من داخل البنية الصوتية ذاتها. كما أنّ اقتران الاسم «أرق» بالفعل المضارع «يأرق» في الشطر الثاني يخلق إحالةً متماسكة تستكمل تمثيل الحالة وتوحي باستمراريتها، لا باعتبارها لحظة زمنية منفصلة؛ وهو ما يعيد بناء العلاقة بين الاسمية والفعلية داخل دائرة تعبيرية تُبرز استغراق الذات في تجربتها الانفعالية.

وفي العربية المعاصرة، يُستعمل التعبير «أرقٌ على أرقٍ» بمعناه المجازي الموسّع للدلالة على تراكم المشكلات أو الأحزان، ويظهر في الخطاب الأدبي والإعلامي والسياسي بوصفه استعارةً جاهزة تختزل المعاناة في تركيب قصير مكثّف الرمزية؛ وبذلك يقدّم مثالًا بيّنًا على انتقال الوحدة الشعرية من المجال الفردي إلى المجال الجماعي. أمّا في المقابلة الثقافية عبر اللغات، فتواجه هذه العبارة صعوباتٍ في التمثيل الترجمي المباشر: فالصيغ الإنجليزية من قبيل «Restlessness upon restlessness» أو «Sleeplessness upon sleeplessness» تحافظ على مبدأ التكرار لكنها تبدو مصطنعة وأقلّ مقبولية تداوليًا، بينما تُفضَّل تراكيب تفسيرية مثل: «endless sleepless nights» التي تنقل الامتداد الزمني وتفقد البنية التكرارية. وفي الفرنسية، تُقترح أحيانًا صيغة: «Insomnie sur insomnie»؛ وهي سليمة نحويًا لكنها ثقيلة أسلوبيًا وأقلّ شيوعًا. ويكشف هذا التباين عن تكافؤ دلالي جزئي (partial semantic equivalence) يتحقق فيه الاتساق في المعنى العام دون الحفاظ على الأثر الإيقاعي والتداولي الذي تُنتجه البنية العربية المكثّفة.

3.2. «بالرّفاء والبنين»:

تُعَدّ عبارة «بالرّفاء والبنين» من الصيغ ذات الامتداد التاريخي في الثقافة العربية؛ إذ تجمع بين أصلٍ معجمي وبين ممارسةٍ طقسية تُنجز وظيفة التهنئة ضمن سياق اجتماعي مخصوص. ويرجع أصلها إلى الجذر (ر ف و)، الذي يدلّ-كما يورده الميداني في مجمع الأمثال-على الالتحام والإصلاح؛ ومنه قولهم: «رفوتُ الثوبَ» أي أصلحتُ ما تخرّق منه، وجمعتُ بعضه إلى بعض[2]. ومن هذا الأصل المادي انتقل المعنى إلى المجال الاجتماعي،

1- Jakobson, (R). «Linguistics and Poetics», in: Sebeok, T. A. (ed.), Style in Language, MIT Press, 1960, pp. 350-377؛ Jakobson, R. Language in Literature, Harvard University Press, 1987؛ Lotman, Y. M. The Structure of the Artistic Text, University of Michigan Press, 1977.

2- الميداني (أبو الفضل أحمد). مجمع الأمثال، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، 1978م، ج1، ص212.

فصار «الرّفاء» استعارةً عن الانسجام بين الزوجين، وعن الاتحاد الذي يُنتج استقرار الرابطة الزوجية.

ويبيّن أبو زيد الأنصاري في النوادر في اللغة أنّ العرب كانوا إذا زوّجوا قالوا: «بالرّفاء والبنين»؛ أي: جمع الله شملكما ورزقكما الذرية[1]. وتجمع الصيغة بين الدعاء بالوفاق والدعاء بالنسل في بنية دلالية مزدوجة: الأولى تعبّر عن التماسك الأسري، والثانية عن الامتداد العائلي. غير أنّ المكوّن الثاني-أي الدعاء بالبنين-يكشف عن نسقٍ قيميٍّ أبويٍّ في بعض تمثلات الثقافة الجاهلية، حيث جرى تمثيل الامتداد في الذكور بوصفهم علامة استمرار النسب والعمران. وفي هذا السياق يلاحظ القزويني في الإيضاح في علوم البلاغة أنّ العبارة تُجسّد نزعةً اجتماعية إلى تفضيل الذكور في مواضع البركة والدعاء، إذ عُدّ «البنون» رمزًا لاستمرار النسب[2].

ومن منظور التداولية، تُصنَّف هذه العبارة ضمن الصيغ الاحتفالية التي تعمل بوصفها فعلًا كلاميًا إنجازيًا بالمعنى الذي تقرره نظرية أفعال الكلام: فهي لا تُستعمل للإخبار أو الوصف، بل يتحقق بها فعل التهنئة بمجرد التلفّظ، داخل سياق اجتماعي محدد هو عقد الزواج أو الإعلان عنه. وتُظهر هذه الصيغة أنّ اللغة في المجتمعات التقليدية لا تؤدي وظيفة التوصيل فحسب، بل تُسهم في تأسيس العلاقات الاجتماعية وبناء الواقع الرمزي عبر القول ذاته؛ ومن ثمّ لا يُدرَك معناها التداولي إلا ضمن مقامها الاحتفالي الذي يُحوّل الحدث من واقعة اجتماعية إلى فعل رمزي يُنجز المعنى ويُحدث الأثر في آنٍ واحد.

غير أنّ التحول الثقافي الذي أحدثه الإسلام أعاد توجيه الوظيفة التداولية لهذه العبارة. فقد أورد البغوي في معجم الصحابة أنّ النبي ﷺ وجّه المسلمين إلى العدول عنها، قائلًا: «لا تقولوا بالرّفاء والبنين، ولكن قولوا: بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير»[3]. ويُفصح هذا الانتقال من الصيغة الجاهلية إلى الصيغة النبوية عن تحوّلٍ في طبيعة الفعل الكلامي ووظيفته: إذ انتقل الدعاء من أفقٍ قبليٍّ يربط البركة بامتدادٍ محدد إلى أفقٍ قيميٍّ أوسع يُعمّم معنى البركة ويجعله مرتبطًا بخير الزواج ورحمته وسكينته؛ وبذلك لا يُلغى الموروث القديم بقدر ما يُعاد تأويله ضمن منظومةٍ معيارية جديدة: ثباتٌ نسبي للصيغة

1- الأنصاري (أبو زيد). النوادر في اللغة، دار الشروق، 1981م، ص89.
2- القزويني (جلال الدين). الإيضاح في علوم البلاغة، دار الجيل، 1993م، ص56.
3- البغوي (أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز). معجم الصحابة، تح: محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان، الكويت، ط1، 1421هـ/2000م، ج2، ص233؛ أبو داود (سليمان بن الأشعث). سنن أبي داود، حديث 2130.

في الذاكرة يقابله تحوّلٌ في المقصد والقيمة.

وتدلّ القراءة الثقافية على أنّ الصلة بين اللغة والنظام الاجتماعي كانت وثيقة: فلفظ «الرّفاء» يشير إلى تماسك الأسرة في داخلها، ولفظ «البنين» إلى امتداد الجماعة في خارجها. ومع الرؤية الإسلامية أُعيد بناء مفهوم الزواج ليغدو رابطة إنسانية تقوم على السكينة والرحمة، لا مجرد وسيلة لحفظ النسب واستمرار العشيرة. وهكذا تغدو العبارة شاهدًا على مسارٍ دلالي-تداولي مركّب: استمرار اللفظ في الاستعمال، مع إعادة ترتيب المقاصد والقيم في سياق حضاري أعمق.

وفي المقابلة الثقافية بين اللغات، تواجه هذه الصيغة صعوبةً في النقل الكامل بسبب طبيعتها الاحتفالية وقيمتها الثقافية المختزلة. فالمقابل الحرفي في الإنجليزية من قبيل «With harmony and sons» يبدو غير مألوف تداوليًا، بينما تحقق الترجمة التفسيرية مثل: «May you live in harmony and be blessed with children» قدرًا من التكافؤ الوظيفي؛ لأنها تنقل فعل التهنئة ومقصد الدعاء، وإن كانت تفقد إيجاز الصيغة العربية وإيقاعها الاحتفالي. وفي الفرنسية، تقارب تراكيب مثل «Avec bonheur et descen-dance» أو «Tous mes vœux de bonheur et une belle descendance» الوظيفة التداولية العامة، لكنها لا تستعيد الإيحاء التاريخي الذي يربط العبارة بسياقها الاجتماعي والديني. ومن ثمّ يظل التكافؤ هنا تداوليًا جزئيًا: يمكن نقل وظيفة التهنئة، بينما يتعذر-في الغالب-استحضار الطبقات الثقافية المتراكبة التي تجمع بين الموروث الجاهلي وإعادة التوجيه الإسلامية داخل صيغة واحدة موجزة.

4.2. «بان الخليط»:

يُعَدّ التركيب «بان الخليط» من أكثر الصيغ رسوخًا في الذاكرة الشعرية العربية، إذ يجمع بين إحكام البناء اللغوي وعمق الوجدان الجمعي. ويتأسس معناه على تفاعلٍ دلالي بين الفعل بان الدالّ على المفارقة والانفصال، والاسم الخليط المشتق من الجذر (خ ل ط) الدال على الامتزاج والمخالطة[1]. ومن ثمّ يقوم التركيب على ثنائيةٍ متقابلة (امتزاج/ انفصال) تُحوِّل الفعل الفيزيائي إلى مجازٍ مركّب عن الفقد والانشطار الوجداني.

1- الفراهيدي (الخليل بن أحمد). كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1997م، مادة: «خ ل ط».

ففي الاستعمال الشعري القديم، غدت العبارة مفتتحًا رمزيًا للحزن والحنين، واستُهلّت بها قصائد تستدعي وجع الفراق وذكرى الأحبة. ومن أشهر الشواهد قول بشر بن أبي خازم الأسدي:

«ألا بـان الـخـلـيـطُ فـلـم يُـــزاروا وقلبُك، في الظعائنِ، مستطارُ»[1]

وفي هذا السياق لا يُقصد بـ«الخليط» فردٌ بعينه، بل جماعة الأنس التي كانت موضع المخالطة ثم ابتعدت؛ وهو ما يفعّل ما يمكن تسميته الإشارة الجمعية (collective deixis)[2]، أي إحالةَ العبارة إلى جماعة رمزية تمثل ذاكرةً مشتركة لا شخصًا مفردًا. وبذلك تعمل الصيغة فعلًا تداوليًا يُعبّر عن تجربة جمعية أكثر مما يصف عاطفة فردية معزولة.

ويُضيء الخليل بن أحمد ثراء الجذر (خ ل ط) في كتاب العين بقوله: «الخِلاط مخالطة الفحل للناقة عند الضراب... وخالط القوم مخالطةً إذا عاشرهم، وخُولِطَ في عقله إذا اختلط»[3]. ويكشف هذا الامتداد الدلالي انتقال المفهوم من الحسي إلى الاجتماعي ثم إلى النفسي. وعليه، حين يقول الشاعر «بان الخليط» تُستدعى-ضمنًا-دلالة الانفصال بعد الالتحام، لا مجرد الرحيل؛ وهو ما يصحّ وصفه-بتعبير تداولي حديث-بـ الانفصال الوجداني؛ أي تفكك التماسك النفسي إثر انقطاع رابطة المخالطة.

وفي الشعر الأموي اكتسبت العبارة بعدًا تداوليًا جديدًا، إذ غدت رمزًا شعبيًا للفقد. ويُروى أنّ جريرًا استهلّ إحدى قصائده بقوله:

«بـان الخليطُ ولـو طـوّعـتُ مـا بـاذ وقطعوا من حبال الوصل أقرانا»[4]

وقد ذكر بديع الزمان الهمذاني في المقامات أن هذا المطلع «ولج البيوت والخيام حتى صار على ألسنة النساء والصبيان»[5]؛ وهو وصفٌ دقيق لمسار ما يمكن نعته بالانتشار التداولي الشعبي: انتقال الصيغة الأدبية من فضائها الفني إلى الاستعمال العام حتى تصير جزءًا من الموروث التعبيري المشترك. وبهذا تحوّل «بان الخليط» من مفتتح شعري

1- بشر بن أبي خازم. ديوانه، تح: محمد عبد القادر أحمد، دار صادر، 1972م، ص54.

2- Levinson, (S.C.) Pragmatics, Cambridge University Press, 1983؛ Fillmore, C. J. Santa Cruz Lectures on Deixis, Indiana University Linguistics Club, 1975.

3- الفراهيدي (الخليل بن أحمد). كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1997م، مادة: «خ ل ط».

4- جرير. ديوان جرير، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، 1970م، ص211.

5- بديع الزمان الهمذاني. المقامات، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، 1983م، ص127.

مخصوص إلى وحدة متداولة تُستعمل في مقام الحزن والفقد، وقد تُستثمر أحيانًا في سياق المفارقة أو السخرية الاجتماعية.

وتتسم هذه الصيغة بقدرتها على استحضار التجربة لا مجرد الإخبار عنها؛ فهي تعمل إشارةً رمزية إلى حالة نفسية متخيّلة أكثر مما هي تقرير لواقعٍ قائم. وفي التداول الحديث قد تُستخدم-تعليقًا أو مفارقةً-في سياقات سياسية أو اجتماعية من قبيل: «بان الخليط وتفرّق الجمع»، للدلالة على انفصام تحالف أو انقطاع صلة. ويكشف هذا التطور عن ظاهرة إعادة التكييف السياقي/الدلالي؛ أي انتقال العبارة من مجالها العاطفي إلى مجال اجتماعي أوسع مع احتفاظها بنواتها الرمزية التي تمنحها قوتها التعبيرية.

وتنتمي «بان الخليط» إلى حقل الافتتاحيات الطللية في الشعر الجاهلي، وهو نسق يجمع بين الحنين إلى الديار وتأمل أثر الغياب. غير أنّ تطورها اللاحق-وخاصة في الاستعمال الأموي-يُظهر انتقالًا من الطلل بوصفه مشهدًا مكانيًا خارجيًا إلى الطلل بوصفه تجربةً نفسية داخلية؛ وهو ما يمكن تسميته التحويل النفسي للموضوع الطللي: نقل المشهد المكاني إلى فضاء الشعور. وقد أسهم هذا المسار في بقاء العبارة حيّة في الذاكرة الثقافية، إذ تجاوزت حدودها الأدبية لتستقرّ ضمن الخطاب الاجتماعي العام.

وفي المقابلة الثقافية بين اللغات، يصعب نقل هذا التعبير نقلًا مباشرًا دون شرحٍ تفسيري مكمّل؛ فالصيغ الإنجليزية مثل «the company departed» أو «the beloveds are gone» تنقل المعنى العام، لكنها تُضعف الإيجاز البنائي والحمولة الرمزية التي يحملها التركيب العربي؛ لذلك تميل الترجمة الأنسب إلى صياغة تفسيرية تُعرّف بوظيفة العبارة ومجالها الثقافي، مثل:

«The companions have gone their ways - a classical Arabic expression for separation and loss.»

وتكشف هذه الصعوبة عمّا يُعرف في دراسات الترجمة بالتعذّر التداولي للنقل (pragmatic untranslatability): إذ يتعذر استعادة الأثر الثقافي للنص الأصلي إلا بإسنادٍ شارح؛ لأن «الخليط» في المخيال العربي لا يدل على الصحبة فحسب، بل على المخالطة - بما تتضمنه من اندماج وجداني واجتماعي - وهي دلالة لا تقابلها وحدة مكثفة بالدرجة نفسها في كثير من اللغات الأوروبية الحديثة.

5.2. «جوامع الكلم»:

يُعدّ تركيب «جوامع الكَلِم» من التعبيرات الاصطلاحية التي تتقاطع فيها الدلالة البلاغية مع الوظيفة التداولية، إذ يُصوّر الكلام - استعاريًا - في هيئة وعاءٍ صغير الحجم عظيم المضمون: قليل المبنى واسع المعنى. ويمكن توصيف هذه الصيغة - في لغة البلاغة الحديثة - بوصفها مثالًا على الانضغاط الاستعاري؛ أي تكثيفُ معنى كلّي في عبارة مقتضبة تُوازن بين اقتصاد اللفظ وغنى الدلالة؛ وبذلك تتحول العبارة من توصيف أسلوبي إلى مفهومٍ يُستخدم لتقويم نمط خاص من القول، حيث تُقاس القيمة بقدرة التعبير على جمع المعاني في أقلّ الألفاظ.

وقد ورد المصطلح في الحديث الصحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «فُضِّلتُ على الأنبياء بستٍّ: أُعطيتُ جوامعَ الكلم، ونُصرتُ بالرعب، وأُحلّت لي الغنائم، وجُعلت لي الأرضُ طَهورًا ومسجدًا، وأُرسلتُ إلى الخلق كافة، وخُتم بي النبيّون»[1]. ويبيّن هذا النص أن «جوامع الكلم» ليست وصفًا بلاغيًا صرفًا، بل سِمة خطابية مرتبطة بمقام النبوّة، تُفهم في إطار العلاقة بين الإيجاز والبيان والوظيفة التعليمية/التشريعية.

وقد فسّر العلماء هذا المفهوم بطرائق متعددة، فيرى البخاري-كما نقل ابن هبيرة- أن الله تعالى جمع للنبي ﷺ «المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة» حتى يغني القول الواحد عن أبواب من الأحكام والمعارف[2]. ومن أمثلته قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»[3]، و«المستشار مؤتمن»[4]. ويضيف السخاوي في المقاصد الحسنة أن النبي ﷺ قال:

1- مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري). صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1374هـ/1955م، ج1، ص371.

2- ابن هبيرة (يحيى). الإفصاح عن معاني الصحاح، دار الوطن، 1997-1996م، ج1، ص33.

3- البخاري (محمد بن إسماعيل). صحيح البخاري، تح: جماعة من العلماء، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، ط السلطانية، 1311هـ، ج1، ص6.

4- ومعنى قوله ﷺ: «المستشار مؤتمن» أن من طُلِبت مشورته لزمه صدقُ النصح، وكتمانُ السر، والإشارةُ بما يراه أصلحَ للمستشير؛ لأن الاستشارة أمانة في القول والقصد.
انظر: الترمذي (محمد بن عيسى). سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ/1975م، ج5، ص126-125، كتاب الأدب، باب أن المستشار مؤتمن، حديث 2823؛ وأبو يعلى (أحمد بن علي بن المثنى). مسند أبي يعلى، ج12، ص333، حديث 6906، وص371، حديث 6942؛ والهيثمي (علي بن أبي بكر). مجمع الزوائد، ج8، ص96.

«أوتيتُ جوامعَ الكلم وفواتحه وخواتمه»[1]، بما يشير إلى اتساع هذه الخاصية في الخطاب النبوي. ومن ثمّ عدّ البلاغيون «جوامع الكلم» ذروةَ ما يُسمّى الإيجاز المرسَل: إيجازٌ لا يُخلّ بالمعنى ولا يستدعي إطنابًا، وهو ما يجاور في اللسانيات الحديثة فكرة اقتصاد العبارة مع سعة الدلالة.

ومن زاوية تداولية، يمكن النظر إلى «جوامع الكلم» بوصفها مدخلًا لفهم ما يُسمّى المعيارية القولية: أي أن بعض الأقوال لا تكتفي بنقل مضمون، بل تؤسس معيارًا سلوكيًا/قيميًا داخل الجماعة. فقول النبي ﷺ: «المستشار مؤتمن» ليس تقريرًا وصفيًا لحالٍ واقع، بل إنشاءً لقاعدة تُؤطر سلوكًا وتُلزم به داخل بنية اجتماعية أخلاقية. وهنا تتضح الصلة بين الإيجاز والفعل الكلامي: إذ يتحول القول المقتضب إلى قاعدة قابلة للتعميم والتداول، ويكتسب-بحكم تقنينه-قوةً إنجازية تتجاوز مقام التلفظ الأول.

ثم اتسع توظيف المصطلح في التراث، فصار يُستعمل معيارًا تقويميًا في وصف البيان البليغ، بل رأى بعض العلماء-كالبخاري والزهري-أن مفهوم «جوامع الكلم» قد يمتد ليشمل القرآن الكريم أيضًا لما فيه من قصر اللفظ وسعة المعنى. ومن هنا تشكّل في النقد العربي تصورٌ عن الإيجاز المعجز، حيث تُعامل العبارة المقتضبة بوصفها منظومة دلالية يمكن أن تفتح أبوابًا من الفهم والتأويل. وبهذا انتقل «جوامع الكلم» من كونه وصفًا حديثيًا إلى إطارٍ تحليلي لغوي-بلاغي يُستثمر في الدراسات القرآنية والحديثية.

وفي المقابلة الثقافية بين اللغات، تمثل ترجمة «جوامع الكلم» تحديًا تداوليًا؛ فالمقابل الإنجليزي من قبيل «comprehensive speech» أو «concise yet all-encompassing words» ينقل المعنى العام، لكنه لا يستحضر بسهولة خلفيته المقامية؛ لذا تُفضَّل ترجمة تفسيرية تُضمّن الإحالة إلى السياق النبوي بوصفها جزءًا من المعنى الوظيفي، مثل:

«I was granted words that are few yet vast in meaning - a prophetic mode of concise wisdom.»

فهذه الصياغة تحقق قدرًا مقبولًا من التكافؤ الوظيفي دون الإخلال بالبنية المفهومية، مع التنبيه إلى المصدر الثقافي/الديني الذي لا يُستعاد بالكامل بالنقل الحرفي.

1- السخاوي (محمد). المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، مكتبة الخانجي، 1956م، ص122.

6.2. «خاتم سليمان»:

يُعدّ التعبير «خاتم سليمان» من الرموز الدينية-الثقافية التي تجاوزت حدود الإحالة النصّية لتتحول إلى علامة تداولية حيّة في الوعي العربي. فهو يُحيل في بنائه الثقافي إلى نبيّ الله سليمان - عليه السلام - الذي خُصّ بملكٍ استثنائي، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ ﴾ [ص: 35]. وقد ارتبط هذا الملك في الذاكرة التفسيرية بما عُرف بـ«خاتم سليمان»، حتى صار التعبير رمزًا للسلطة الفائقة والمعرفة المؤيَّدة. ويذكر ابن حجر في فتح الباري خبرًا من بعض روايات بني إسرائيل مفاده أن الشياطين دفنت كتب السحر تحت كرسي سليمان وختمتها بخاتمه، فلما مات أخرجوها وزعموا أن سر ملكه في السحر، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ ﴾ [البقرة: 102] لتفنيد هذا الزعم[1]. ومن ثمّ يتضح أن «الخاتم» في هذا المسار التأويلي لا يُفهم بوصفه أداة سحر، بل بوصفه رمزًا تُسقِط عليه المخيلة الشعبية تصوراتها عن المُلك والتمكين.

وعلى مستوى البنية، يقوم التركيب على علاقة الإضافة التي تفيد في أصلها الملكية أو الاختصاص، غير أنها-في التداول الثقافي-تتحول إلى علاقة رمزية تتجاوز الدلالة النحوية إلى وظيفة إحالية؛ وهو ما يمكن تسميته الإضافة الرمزية. فالمضاف إليه «سليمان» لا يعمل بوصفه عَلَمًا شخصيًا فقط، بل بوصفه حاملًا لمعنى النبوة والتمكين، بينما يغدو «الخاتم» تمثيلًا ماديًا مكثفًا لفكرة السلطة المؤيَّدة. وهكذا تتكون دلالة مركبة تجمع بين التعيين اللغوي والتمثيل الثقافي، فتنتقل العبارة من إطارها النحوي إلى فضاء تداولي تنتج فيه الثقافة رموزها بوصفها «حزمًا دلالية» قابلة للاستدعاء في القول.

وتتجلى حركية الدلالة في كون «خاتم سليمان» علامة متعددة المقامات: ففي الاستعمال الجاد يُراد بها النفوذ الفائق أو القدرة غير العادية، أمّا في الاستعمال الساخر، فيقال: «يظن نفسه صاحب خاتم سليمان» أو «ليس بين يديه خاتم سليمان» للدلالة على نفي القدرة المطلقة أو للتهكّم من ادعائها. ويعبّر هذا الانتقال من الجد إلى المفارقة عمّا يمكن وصفه بإعادة التكييف الساخر للرمز؛ أي تحويل الرمز الديني إلى أداة نقدية معاصرة تُمارس من خلالها اللغة وعيها بحدود السلطة البشرية، وتُعيد الجماعة اللغوية تأويل رمزها الموروث في ضوء تجاربها المتجددة.

1- ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي). فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج وتصحيح: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، مصر، ط1، 1390-1380هـ، ج6، ص528.

وقد وظّف الشعراء هذا الرمز في سياقات المديح والمفارقة السياسية حتى صار قرينًا لتعبيرات معجزية أخرى. يقول ابن سناء الملك:

«ملكٌ إذا رامـوا المحالَ تيسّروا وكأنّ في يمناه خاتمَ سُليمانِ»[1]

ويكشف هذا التوظيف عن اتساع الحقل الرمزي للعبارة حتى تجاوز معناها الديني إلى معنى ثقافي عام عن السيطرة والقدرة والتفويض. ويمكن توصيف مسار التحول الدلالي في ثلاث طبقات: (1) طبقة الإحالة الدينية المرتبطة بالنبوة والتمكين. (2) طبقة التأويل القصصي/الشعبي الذي يضخم الرمز، ويعيد تشكيله. (3) طبقة التداول الاجتماعي الحديث، حيث يغدو التعبير أداة للتقويم أو السخرية داخل الخطاب العام.

وفي المقابلة الثقافية بين اللغات، يصعب نقل هذا التعبير نقلًا تامًا دون فقدٍ في الإحالة القيمية؛ فالمقابل الإنجليزي الشائع «The Seal of Solomon» (وأحيانًا: «Solomon's Ring») أو الفرنسية «Sceau de Salomon / Anneau de Salomon» قد يستدعي تقاليد غربية تربط الرمز بالسحر والعوالم الخفية أكثر من ربطه بالحكمة النبوية والتفويض الإلهي. ومن ثمّ يكون التكافؤ هنا ثقافيًا جزئيًا: قد تحتفظ الترجمة بالبعد الميتافيزيقي، لكنها لا تضمن استدعاء البعد الأخلاقي-النبوي الذي تحمله الصيغة العربية. لذا تُفضَّل ترجمة تفسيرية مُقيَّدة تضبط الإحالة وتمنع الانزلاق التأويلي، مثل:

«'The Seal of Solomon' - a Qurʾānic and folkloric symbol denoting divinely sanctioned wisdom and authority.»

فهذه الصياغة تُبقي الرمز قابلًا للفهم، وتؤطره ضمن مرجعيته القرآنية/الثقافية المقصودة.

7.2. «سدرة المنتهى»:

يُعَدّ التعبير القرآني «سدرة المنتهى» من أكثر الرموز كثافةً في النص القرآني؛ إذ يجمع بين مرجعٍ حسّي («السِّدر»: شجر النبق) ودلالةٍ حدّية ميتافيزيقية («المنتهى»: الغاية والحدّ الأقصى)، في تركيبٍ يفتح إمكاناتٍ تأويلية تتصل بثنائية العلم/الغيب وحدود الإدراك الإنساني. وردت العبارة في سياق الإسراء والمعراج: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النجم: 13 - 15]. ومن الناحية المعجمية يدل «السِّدر»

1- ابن سناء الملك. ديوان ابن سناء الملك، تح: محمد رضوان الداية، دار صادر، 1983م، ص117.

على شجرة النبق، بينما «المنتهى» يدل على الغاية القصوى؛ غير أنّ اجتماعهما ينقل التركيب من التسمية الحسية إلى رمزٍ حدّي يَصلُ بين المكان والمعنى.

وفي التفسير، يقرر الطبري أن «سدرة المنتهى» هي «المنتهى الذي ينتهي إليه ما يعرج من الأرض من أعمال العباد وما ينزل من عند الله من أوامر»[1]، فتغدو بهذا علامةً فاصلة بين مجال الإدراك وما وراءه. ويروي الطبري عن كعب الأحبار قوله: «إنها سدرة في أصل العرش، إليها ينتهي علم كل عالم... وما خلفها غيبٌ لا يعلمه إلا الله»[2]. وبصرف النظر عن مقام هذا الأثر ومرتبته في الاحتجاج، فإنه يشي بكيفية اشتغال العبارة في الوعي العربي-الإسلامي بوصفها صورةً حدّية: موضعٌ يتوقف عنده العلم الممكن، وينفتح من ورائه أفق الغيب.

ويمكن قراءة «سدرة المنتهى» بوصفها علامةً حدّية تُنتج معنى «القصوى» عبر تمثيلٍ مكانيّ-ميتافيزيقي. فميرسيا إلياد يبيّن أنّ الرموز الدينية تُنشئ «مركزًا» للعالم عبر ما يسميه محور العالم (axis mundi)؛ أي العلامة التي تُؤسِّس اتصال السماء بالأرض، وتمنح الفضاء صفة القداسة[3]. ووفق هذا التصور، تمثّل «سدرة المنتهى» نقطةً يتراكب فيها معنى الاتصال بمعنى الانتهاء: اتصالٌ بوصفه بلوغًا لمقامٍ أعلى، وانتهاءٌ بوصفه حدًّا يتوقّف عنده الإدراك البشري. وعلى نحوٍ موازٍ، يعرّف يوري لوتمان «الحدّ» في السيمياء الثقافية بوصفه آليةً ترجميّةً فاصلة بين الفضاء السيميائي وما يقع خارجه، بما يجعل الحدّ موقعًا منتجًا للمعنى لا مجرد خطٍّ فاصل. وبذلك تُقرأ «سدرة المنتهى» بوصفها تسميةً قرآنيةً لحدٍّ رمزيٍّ تنظم الثقافة العربية-الإسلامية عبره تصورها للعلاقة بين الممكن والغيب، وتستثمره في الخطاب الحديث بوظيفةٍ دقيقة هي وسم النهاية عند الإخبار ببلوغ الغاية.

وتكشف العبارة بهذا عن قدرة العربية على ترميز التجربة الدينية في بنية لغوية تجمع بين الحسّي والمتعالي، وبين المكان والدلالة، فتغدو «سدرة المنتهى» نقطة التقاء بين البيان والوحي: علامةٌ على بلوغ الحدّ وعلى تعذر تجاوزه في آنٍ واحد. وفي هذا الإطار يلفت أحمد مختار عمر إلى أن ورود «السِّدرة» في القرآن أكسبها بعدًا رمزيًا بوصفها موضعًا

1- الطبري (محمد). جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر، 2001م، ج27، ص49.

2- المرجع نفسه، ج 27، ص 51.

3- Eliade, (M). The Sacred and the Profane: The Nature of Religion, trans. W. R. Trask, Harcourt, Brace & World, 1959؛ Lotman, Y. M. «On the Semiosphere», trans. W. Clark, Sign Systems Studies, 33 (1), 2005, pp. 205-229.

حدّيًا[1]. ومن هنا انتقلت العبارة في العربية المحدثة إلى استعمال مجازي من قبيل: «بلغ سدرة المنتهى»، بمعنى بلوغ الغاية القصوى أو النهاية التي لا مزيد بعدها؛ أي تحوّل الرمز النصّي إلى أداة توصيف تداولية في الخطاب الأدبي والسياسي.

وتؤدي «سدرة المنتهى» في الاستعمال المعاصر وظيفة يمكن وصفها بوسم الحدّ الدلالي: فقول القائل مثلًا: «بلغت المفاوضات سدرة المنتهى» لا يقدّم خبرًا محايدًا فحسب، بل يُنجز فعلًا خطابيًا يُعلن استنفاد الإمكان داخل الحدث، ويغلق أفق الاستمرار؛ أي أن العبارة تعمل هنا عمل علامة إنجازية تُعيد تشكيل فهم المتلقي لمجال الحدث وحدوده. وبذلك تُظهر هذه الوحدة التناصّية كيفية تحول الصيغة القرآنية إلى علامة تداولية تضبط «منطق النهاية» في تمثّل الجماعة للوقائع.

أمّا في الخطاب الأدبي والصوفي، فقد استُثمرت «سدرة المنتهى» رمزًا لذروة المعرفة والوصال الروحي؛ واتخذها الشعراء والمتصوفة استعارةً لبلوغ مقام الكشف. ويُنقل عن ابن عربي في الفتوحات المكية قوله: «وما وراء سدرة المنتهى إلا الحيرة»، وهي صياغة تختزل انتقال التجربة من حدود العبارة إلى أفق المعنى الباطني، حيث تنحلّ الحدود في حضرة المطلق.

وتمثل «سدرة المنتهى»-أخيرًا-نموذجًا لما يمكن تسميته التناصّ المقدّس (sacred intertextuality)؛ إذ يُستدعى النص القرآني في سياقات ثقافية جديدة تُعيد تأويله دون أن تفصله عن مرجعيته الأصلية. ولذلك تُوظَّف العبارة في الخطابات الحديثة للدلالة على الغاية القصوى في مجالات متعددة (الأدب/السياسة/الفكر)، مع احتفاظها بنواتها الرمزية.

وفي المقابلة الثقافية بين اللغات، لا تقابلها في الإنجليزية أو الفرنسية صيغة تحمل في آنٍ واحد هذا التراكب بين المكان والميتافيزيقا. فالصيغة الحرفية الشائعة في ترجمات القرآن: «The Lote Tree of the Utmost Boundary» تحقق الدقة الإحالية، لكنها لا تنقل بسهولة الإيحاء الرمزي حين تُستعمل العبارة مجازًا خارج السياق الديني. لذا تُفضَّل ترجمة تفسيرية تُضمّن الوظيفة التداولية والمرجعية القرآنية معًا، مثل:

«The Lote Tree at the limit of knowledge - a Qurʾānic symbol for the ultimate boundary between creation and the Divine.»

1- عمر (أحمد مختار). معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، 2008م، مادة: «سدرة».

إذ تحقق هذه الصياغة قدرًا مقبولًا من التكافؤ الوظيفي، وتؤطر الرمز بما يمنع القارئ غير العربي من اختزاله إلى معنى مادي أو محض تسمية مكانية.

8.2. «الرجوع القهقرى»[1]

يُستعمل في العربية تعبير «رجع القهقرى» (ومن ثمّ: «الرجوع القهقرى») للدلالة على العودة إلى الوراء، وهو تعبير ذو أساس لغوي قديم، يتضح من توصيف القدماء لـ«القهقرى» بوصفها مشيةً مخصوصة. فقد عرّف أبو علي القالي «القهقرى» بأنها «مشية فيها تفكك»[2]، وهو تحديد يضع اللفظة في حقل الهيئة/الطريقة لا في حقل الأسماء الجامدة المحايدة. ويؤكد ابن هشام هذا البعد حين يقرر أن «القهقرى» في مثل قولك «رجعت القهقرى» هي «اسم للرجوع إلى الخلف»[3]؛ أي أنها تُفهم دلاليًا باعتبارها رجوعًا على هيئة مخصوصة.

ومن الناحية النحوية، تكتسب العبارة أهميتها؛ لأنها مثال مدرسيّ على ظاهرة نيابة الصفة عن المصدر في المفعول المطلق النوعي/البياني؛ إذ يقرر السيرافي-شارح سيبويه- أن «رجع القهقرى» معناه «رجع الرجوع القهقرى»، وأن «القهقرى» هنا «ضرب من الرجوع» لا يقع على كل رجوع[4].

وهذا يطابق ما يورده سعيد الأفغاني في باب المفعول المطلق، إذ ينصّ على أن أصل التركيب: «رجعوا رجوعَ القهقرى»[5]، وهو تصريحٌ بنيويّ يثبت أن اللفظة ليست «حالًا» بالمعنى الاصطلاحي الشائع، بل هي صفة للمصدر المحذوف قامت مقامه. ويعزّز ابن الحاجب هذا الاتجاه حين يقرر صراحةً أن تقدير «القهقري/القهقرى» هو «رجع الرجوع القهقري»[6]. وبذلك يكون التركيب قد استقرّ تاريخيًا بوصفه صيغةً اختزالية: حذف فيها المصدر، وأقيمت صفته مقامه، حتى صار اللفظ المركب يُتلقى كأنه وحدة جاهزة.

1- الزيات (أحمد حسن). «من طرائف الشعر»، مجلة الرسالة، العدد الثاني، القاهرة، 1933م، ص39-37.
2- القالي (إسماعيل بن القاسم، أبو علي). المقصور والممدود، تح: أحمد عبد المجيد هريدي، مكتبة الخانجي، 1999م، ص26.
3- ابن هشام (عبد الله بن يوسف). أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تح: بركات يوسف هبود، دار الفكر، 2000م، ص250.
4- السيرافي (الحسن بن عبد الله، أبو سعيد). شرح كتاب سيبويه، دار الكتب العلمية، 2008م، ص266.
5- الأفغاني (سعيد بن محمد). الموجز في قواعد اللغة العربية، دار الفكر، 2003م، ص258.
6- ابن الحاجب (عثمان بن عمر). أمالي ابن الحاجب، دار عمار، ودار الجيل، 1989م، ص430.

وتظهر قيمة «رجع القهقرى» في باب الحال من جهة أخرى: إذ يُستدعى ما ناقشه النحاة كونها مما «يدل على هيئة» دون أن يدخل دخولًا مستقيمًا في حدّ الحال، وهو ما يقرره أيضًا من يوسع دائرة «الدلالة على الهيئة» إلى أسماء المعاني مثل «القهقرى» في «رجعت القهقرى»، ثم يخرجها من حدّ الحال بقرائن الحدّ الأخرى[1].

ومن هنا يمكن تبرير الانتقال الدلالي الحديث للتعبير من الرجوع الحسي إلى الوراء إلى معنى التراجع المجازي (في المواقف والقرارات والمسارات الفكرية والحضارية): فحين تستقر بنية مثل «رجع القهقرى» بصفتها «وصفًا لطريقة الرجوع» (لا مجرد رجوع)، يصبح توظيفها مجازيًا في الحكم على المسارات أقرب إلى التلقّي الطبيعي؛ لأن العبارة تحمل في أصلها معنى النكوص على هيئة غير مألوفة؛ أي الرجوع المعاكس لاتجاه التقدم. وعلى هذا الأساس تُقرأ صيغة «الرجوع القهقرى» بوصفها تسميةً تقويمية تُستعمل غالبًا في مقام الذم والتحذير من الارتداد بعد تقدّم، مع ما يلازمها من شحنة تقييمية سلبية في الخطاب العام.

وبناءً على ما تقدّم من تثبيت البنية اللغوية للتعبير بوصفه تركيبًا مُستقرًّا أصله «رجع الرجوعَ القهقرى» حيث نابت صفةُ المصدر عن المصدر المحذوف[2]، فإن اكتمال وصف «الرجوع القهقرى» لا يتمّ عند الحدّ البنيوي وحده، بل يبرز بوضوحٍ أكبر حين نلاحظ وظيفته الثقافية-التداولية في الاستعمال. ففي الشاهد الخطابي الذي يورده نص «نداء للشباب» تُقابَل جهةُ التقدّم بجهة النكوص في تركيبٍ تقويمي صريح: «طريق العُلا أبداً للأمام... فويحك هل ترجع القهقرى؟»، فتغدو «القهقرى» هنا أكثر من بيان هيئة الرجوع؛ إذ تُستثمر داخل خطابٍ تحريضي موجّه لتأطير السلوك بمنطق الاتجاه (أمام/وراء)، وتُحمَّل دلالةً تقويميةً سالبة تُنجز فعلًا خطابيًا هو الزجر والتحذير من التراجع، وهو ما تقوّيه أداة التنبيه/الزجر «فويحك» قبل الاستفهام الإنكاري[3]. وبذلك يعمل التعبير في هذا السياق بوصفه «وسما تقويميا» لا خبرًا وصفيًا؛ فهو لا يكتفي بالإخبار عن رجوعٍ ما، بل يُصدر حكمًا ضمنيًا على الرجوع بوصفه نقضًا لمسار «العُلا» الذي صُرّح بأنه «للأمام»؛ أي أن الدلالة التداولية تتولّد من تلازم العبارة مع قرائن سياقية حارسة (الاستفهام الإنكاري، والزجر، وثنائية الأمام/القهقرى) تجعلها أداةً لإغلاق أفق النكوص وتثبيت معيار التقدّم. وعلى هذا الأساس يمكن القول إن التعبير يكتسب في الخطاب الوعظي/التحفيزي وظيفةً

1- الأشموني (علي بن محمد). شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، 1998م، ص4.
2- السيرافي (الحسن بن عبد الله، أبو سعيد). شرح كتاب سيبويه، دار الكتب العلمية، 2008م، ص266.
3- الزيات (أحمد حسن). «من طرائف الشعر»، مجلة الرسالة، العدد الثاني، القاهرة، 1933م، ص38.

إنجازية تتمثل في تقويم المسار لا مجرد وصف الحركة، مع بقاء جذره الدلالي الأول (الرجوع إلى الخلف) حاضرًا في الخلفية بما يضمن شفافية التلقي.

وفي المقابلة الثقافية، لا توجد في الإنجليزية أو الفرنسية صيغة واحدة تطابق هذا التركيب من حيث خلفيته النحوية (نيابة الصفة عن المصدر) مع المعنى التقويمي، لكن يمكن تقريب وظيفته ببدائل سياقية. ففي الإنجليزية تُستعمل صيغ مثل: to backtrack أو to regress أو to go backwards بحسب المقام، وفي الفرنسية: faire marche arrière أو reculer أو régresser؛ وهي بدائل تنقل معنى الارتداد/التراجع، وإن كانت لا تحمل بالضرورة الأثر الإيحائي نفسه الذي يخلقه حضور «القهقرى» بوصفها «هيئة رجوع مخصوصة» في العربية.

3. الأبعاد الثقافية والتداولية للتعبيرات الاصطلاحية في العربية:

1.3. مدخل مفاهيمي: الاصطلاح بوصفه تمثيلًا ثقافيًا ووظيفة خطابية:

يُعدّ البعدُ الثقافي-التداولي للتعبيرات الاصطلاحية محورًا حاسمًا في تفسير طريقة توليد معناها وكيفية استقبالها؛ فالاصطلاح ليس تركيبًا مجازيًا «مخزونًا» فحسب، بل هو وحدة لسانية-ثقافية تتأسس على خبرة جمعية واتفاقات اجتماعية وتراتبات قِيَمية وسيرورات تاريخية. ومن ثمّ فإن معناه لا يُستنبط من مجموع معاني مفرداته، بقدر ما يُفهم عبر شبكة ثقافية تمنحه شرعيته التداولية وتحدد شروط ظهوره في مقام دون آخر. ويُفسّر ذلك مقاومةَ الاصطلاح للنقل الحرفي بين اللغات والثقافات، كما يُفَسّر داخل اللغة الواحدة بين سجلاتها (الفصيح/الوسيط/العامي؛ الرسمي/الحميمي).

وبناء على ذلك، فإن إهمال هذا البعد يحوّل «الترجمة الحرفية» إلى فخ دلالي، ويدفع المتعلم أو المترجم إلى استعمالات غير ملائمة للسجل أو للمقام؛ لأن التعبير الاصطلاحي لا يحمل معنى فحسب، بل يؤدي فعلًا خطابيًا: يلمّح أو يصرّح، يلطّف أو يغلّظ، يمدح أو يذم، ويؤطر موقف المتكلم من الحدث والمتلقي.

2.3. مؤشر الملاءمة الثقافية: نحو أداة تشخيصية:

إنّ ضبط الاستعمال الاصطلاحي في البحث الوصفي أو في التعليم يقتضي اعتماد أداةٍ تكشف موضع التعبير ضمن نظامين متداخلين:

1. **النظام الثقافي** (ما تختزنه الجماعة من رموز وخبرات وقيم)،

2. **النظام التداولي** (درجة الرسمية، علاقة المتخاطبين، وسيط الخطاب).

ومن هنا تُقترح إضافة «مؤشر الملاءمة الثقافية والسجلّية» ضمن أدوات التشخيص، بحيث يُقاس: موقع الاصطلاح على سلّم الرسميّة/الحميمية، وطاقته الإيحائية (إيجابية/سخرية/تهكّم/تلطف)، وحساسيته المقامية (متى يُستعمل ومتى يُتجنّب). ويتكئ هذا المؤشر على ما تقرره اللسانيات الثقافية من أنّ اللغة تُشفّر تصورات جمعية، وعلى ما توضحه السيمياء الاجتماعية في مفهوم السجل وعلاقته بالمجال والمخاطب والوسيط[1]. وبذلك ينتقل وصف الاصطلاح من مستوى «تعريف المعنى» إلى مستوى «تحديد شروط صلاحيته الاستعمالية».

3.3 مشكلات الوصف: الترادف الظاهري والاشتراك والتقييد التوزيعي:

تتداخل في التعبيرات الاصطلاحية مشكلاتٌ تجعلها من أكثر وحدات اللغة مقاومةً للاختزال التعريفي، ومن أبرزها:

أولًا: الترادف الظاهري: قد يبدو تعبيران متقاربين في الدلالة العامة، لكنهما يختلفان في البنية التصويرية وفي الأثر التداولي. فقولنا: «أمسكَ بخيوط اللعبة» لا يساوي تمامًا «أمسكَ بزمام الأمور»؛ فالأولى ترسم فاعلًا يدير المشهد من وراء ستار ويتحكم بالتفاصيل الدقيقة، بينما الثانية تحيل إلى قيادة مباشرة وولاية معلنة. هنا لا تكفي مساواةٌ دلالية عامة؛ لأن الفارق قائم في الصورة الذهنية وفي القيمة التداولية التي يبنيها التعبير داخل السياق.

ثانيًا: الاشتراك بحسب المقام: قد تتولد من اللفظة أو الجذر شبكةُ استعمالات تتباعد تبعًا للسياق القيمي والموضوعي، فتتغير حمولة الدلالة بحسب القرائن المصاحبة. ويقتضي ذلك اعتماد ما يمكن تسميته «التقييد التوزيعي»: أي ضبط ما يلائم التعبير من سياقات موضوعية وأفعال وملابسات، وما لا يلائمه؛ حتى تُحرس حدوده الاستعمالية ويُمنع تحميله دلالاتٍ خارج نطاقه التداولي.

1- يمكن النظر إلى «مؤشر الملاءمة الثقافية والسجلّية» بوصفه أداة كاشفة عن مدى انسجام التعبير الاصطلاحي مع بيئته الثقافية ومقامه الاجتماعي في آن واحد. فمن جهة، تعبّر اللغة عن تصورات جمعية متجذرة في الوعي الثقافي؛ انظر: Sharifian, F. Cultural Linguistics: Cultural Conceptualisations and Language, John Benjamins, 2017. ومن جهة أخرى، لا يستقيم استعمال التعبير إلا إذا جاء منسجمًا مع مقامه التداولي وسياقه الاجتماعي، بما يوافق طبيعة الخطاب ووجهته؛ انظر: Halliday, (M.A.K.) Language as Social Semiotic: The Social Interpretation of Language and Meaning, Edward Arnold, 1978.

4.3. المعادل الدلالي والمعادل الوظيفي: مركزية الفعل الخطابي:

من أهم منابع الخطأ في الترجمة والتعليم والوصف الخلطُ بين المعادِل الدلالي والمعادِل الوظيفي. فالمعادِل الدلالي يلاحق معنى عامًا تقريبيًا. أما المعادل الوظيفي، فيسأل: ماذا يفعل هذا الاصطلاح داخل الخطاب؟ هل يلمّح أم يصرّح؟ هل يرفع درجة الاتهام أم يلطّفها؟ هل يضع المتكلم في موقع سلطة أم يكتفي بالإشارة؟

لذلك لا يكفي عند توصيف التعبير الاصطلاحي أن نورد تعريفًا معجميًا، بل يفيد إعداد «بطاقة توصيف اصطلاحية» تتضمن: (الصنف الاستعمالي: وصف/تقييم/سخرية/تهديد/تلطيف)، و (الشحنة التداولية: إيجابية/سلبية/ملتبسة)، و (المجالات الموضوعية الشائعة)، و (القيود المصاحبة والقرائن الحارسة)، مع أمثلة موثقة من مدونة أو شواهد معتمدة.

5.3. درجات التجمّد التركيبي: من الحكم الثنائي إلى القياس المتدرّج:

مع شيوع وصف التعبير الاصطلاحي بـ«الثبات»، فإن هذا الثبات ليس درجة واحدة. فبعض التعبيرات شديد التجمّد لا يحتمل تغييرًا يُذكر، وبعضها يسمح بتعديلاتٍ طرفية محدودة (تعريف، جمع، ضمير رابط...) بشرط بقاء نواة التعبير محفوظة، وأن يكون التعديل مؤسسًا في الاستعمال؛ لذا يغدو من الأدقّ التعامل مع التجمّد بوصفه محورًا متصلًا (درجات)، لا حكمًا ثنائيًا (ثابت/المتغير). كما أنّ ضبط هذا المحور يقتضي شواهد استعمالية كافية؛ لأن السماع الفردي لا يكفي لإقرار إمكان التعديل ما لم يعضده تواتر تداولي.

6.3. مقتضيات تعليم العربية للناطقين بغيرها: وصل المعجم بالمقام:

تتضاعف أهمية البعد الثقافي-التداولي في تعليم العربية للناطقين بغيرها؛ لأن المتعلم يميل إلى التأويل الحرفي، أو إلى تفسير التعبير الاصطلاحي بقواعد تركيب عامة لا تعمل في هذا المستوى. كما يختلط عليه الفرق بين المتلازمات اللفظية (الأقرب إلى الشفافية والأوسع قبولًا للتبديل) وبين التعبيرات الاصطلاحية (الأقل شفافية والأعلى تقييدًا)، وهو فرقٌ منهجي يؤثر مباشرةً في تصميم المادة التعليمية ومسارات التدريب على الفهم والإنتاج، كما نبّه حلمي خليل إلى ضرورة هذا التفريق[1].

1- الفراهيدي (الخليل بن أحمد). كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1997م، ص 228.

وبناءً على ذلك، فإنّ التدخل البيداغوجي الرشيد ينبغي أن ينطلق من أنّ التعبيرات الاصطلاحية ليست «رصيدًا معجميًا إضافيًا» يُحفظ، بل وحدات خطابية لها صورة ذهنية ووظيفة تداولية وحدود استعمال؛ لذا يُستحسن تدريسها ضمن سياقات أصيلة متدرجة الصعوبة تمكّن المتعلم من ملاحظة أثرها في مقامات متباينة، بدل عرضها في قوائم معزولة. وتغدو الأنشطة الموقفية (لعب أدوار، مهام كتابة قصيرة، محاكاة حوارات) ذات جدوى عالية؛ لأنها تنقل المتعلم من سؤال: «ماذا تعني؟» إلى سؤال: «متى وكيف ولماذا أختارها؟».

7.3. أدوات التقويم والتشخيص: من الانطباع إلى المؤشرات القابلة للقياس:

لا يكفي الانطباع العام لتقدير اكتساب المتعلم للتعبيرات الاصطلاحية؛ لأن الخلل قد يقع في فهم السياق، أو في الملاءمة التداولية، أو في درجة التقيّد التركيبي. ومن ثمّ يلزم اعتماد أدوات متكاملة تُحوّل التصور النظري إلى مؤشرات قابلة للقياس، مثل: تحليل أخطاء المتعلمين لرصد أنماط الانزياح في الفهم والإنتاج، واختبارات فهم سياقية تُدرج التعبيرات الاصطلاحية داخل نصوص متفاوتة السجلات، والاستفادة من المدونات لتتبع التوزع عبر الأنواع والخطابات، إلى جانب مهام حكم القبول/التفضيل لتقدير درجة التقيد والملاءمة. ويمكن تلخيص هذه المقاربة في «بطاقة توصيف التعبيرات الاصطلاحية» تجمع بين: الشفافية الدلالية، ودرجة التقيد التركيبي، والصنف الاستعمالي، والملاءمة الثقافية والسجلّية، وصعوبة الاكتساب، وشواهد موثقة، ومقابلات وظيفية محتملة عبر اللغات.

4. نحو رؤيةٍ مغايرةٍ لتعليم التعبيرات الاصطلاحية في العربية:

إذا كان القسم الثالث قد بيَّن أن التعبيرات الاصطلاحية تُنتج معناها داخل شبكةٍ ثقافية-تداولية، وأن دلالتها لا تستقيم بمجرد ردِّها إلى المعنى المعجمي لمكوّناتها، فإنّ مقتضى ذلك تربويًّا هو إعادةُ بناء تصورٍ تعليميٍّ يترجم هذا المعطى إلى إجراءاتٍ صفّية قابلة للتنفيذ والقياس. فالتعبير الاصطلاحي ليس «مفردةً مركّبة» تُعرَّف ثم تُحفَظ، بل هو-في التحليل اللساني التطبيقي-جزءٌ من اللغة الصيغية (Formulaic Language) التي تُعالَج في الذهن بوصفها وحداتٍ شبه جاهزة تُسهم في الطلاقة، وتخفض الكلفة المعرفية في الفهم والإنتاج[1]. ومن ثمّ فإنّ تعليم التعبيرات الاصطلاحية ينبغي أن يُوجَّه إلى بناء

1- Wray, A. Formulaic Language and the Lexicon, Cambridge University Press, 2002؛ Conklin, K., and Schmitt, N. «The Processing of Formulaic Language», Annual Review of Applied Linguistics, 32, 2012, pp. 45-61.

كفاية اصطلاحية تتجاوز «معرفة المعنى» إلى امتلاك شروط الاستعمال: المقام، والسجلّ، والحمولة التقييمية، وقيود التوزيع والتركيب.

1.4. مسوّغات التحوّل: نقد نموذج (تعريف + ترجمة + حفظ)

يَشيع في تعليم العربية-ولا سيما للناطقين بغيرها-أسلوبٌ يقدّم التعبير الاصطلاحي في قوائم معزولة، ثم يضيف مقابله في لغة المتعلم، وينتهي إلى حفظٍ أو تدريبٍ شكلي. غير أن هذا النموذج يفضي غالبًا إلى ثلاثة أوجه قصور:

1. **قصور الفهم السياقي:** إذ يتعلم الطالب «المعنى» خارج المشهد، فيتعثّر عند تغيّر القرائن أو اختلاف نوع الخطاب.
2. **قصور الملاءمة التداولية:** لأن الصحة التعبيرات الاصطلاحية ليست معنىً فحسب، بل هي مواءمةٌ للمقام والسجلّ والعلاقة بين المتخاطبين؛ فالتعبير الاصطلاحي قد يكون صحيح الدلالة لكنه غير لائقٍ من حيث الرسمية أو النبرة أو الإيحاء. وهنا تُظهر مقاربة السجلّ - بوصفه علاقةً بين المجال والمخاطَب والوسيط - أهميةَ إدراج هذا البُعد في التعليم والتقويم[1].
3. **قصور الإنتاج:** لأن استدعاء التعبير الاصطلاحي في الكتابة أو الكلام يتطلب رسوخًا صيغياً يتقوّى بالتعرّض المتكرر الموزّع والتدريب على الاسترجاع، لا بالاكتفاء بالعرض الواحد[2].

وتزداد الحاجة إلى هذا التحول في العربية للناطقين بغيرها بسبب تداخل عاملين: (أ) نزوع المتعلم إلى التأويل الحرفي عند ضعف الحس المجازي. و (ب) حساسية التعبيرات الاصطلاحية للسجلّ والحمولة، وهي حساسيةٌ ترفع كلفة الخطأ التداولي حتى لو صَحَّ المعنى العام.

1- Halliday, (M.A.K.) Language as Social Semiotic: The Social Interpretation of Language and Meaning, Edward Arnold, 1978.

2- Cepeda, (N.J.), Pashler, H., Vul, E., Wixted, J. T., and Rohrer, D. «Distributed Practice in Verbal Recall Tasks: A Review and Quantitative Synthesis», Psychological Bulletin, 132 (3), 2006, pp. 354-380.

2.4. أصول الرؤية المغايرة: مبادئ بنائية لضبط التدريس:

تستند الرؤية المقترحة إلى خمسة مبادئ تُعدُّ بمثابة «قواعد تصميم» لبيداغوجيا التعبير الاصطلاحي في العربية:

أولًا: المقام قبل التعريف (Context-First):

يُقدَّم التعبير الاصطلاحي داخل موقفٍ لغويٍّ محسوس: حوار، سرد، خبر، أو مقطع أدبي، ثم يُستدرج المتعلم إلى ملاحظة القرائن واستخراج الوظيفة. فالسياق ليس «إطارًا» خارجيًّا، بل هو جزءٌ من المعنى.

ثانيًا: الوظيفة الخطابية قبل المعادل الدلالي:

لا يكفي أن نقول إن تعبيرًا ما «يعني كذا»، بل ينبغي أن نحدّد «ماذا يفعل» في الخطاب: هل يلطّف؟ هل يعرّض؟ هل يسخر؟ هل يبالغ؟ هذا التحويل من «التعريف» إلى «الوظيفة» يحدّ من الترادف الظاهري ويُحسن قرار الاختيار لدى المتعلم.

ثالثًا: إدماج البعد الثقافي بوصفه أداة تفسير:

يستدعي التعبير الاصطلاحي تصوّراتٍ ثقافية جمعية، ومن ثم فإن توظيف اللسانيات الثقافية يفيد في جعل الخلفية الثقافية عاملًا مساعدًا على الفهم لا مادةً تراثيةً هامشية[1].

رابعًا: الانتقاء المنهجي القائم على الشيوع والفائدة:

لا يُختار التعبير الاصطلاحي اعتباطًا، بل وفق معايير: التواتر، والوظيفة التواصلية، ودرجة الوضوح الدلالي، وقابلية التوظيف في أنماط خطاب متعددة. وتفيد هنا نماذج القوائم الصيغية في إرشاد الانتقاء المنهجي بدل الاعتماد على الحدس[2].

خامسًا: التدوير والاسترجاع (Recycling & Retrieval):

يُعاد إدماج التعبير الاصطلاحي على فترات متباعدة وفي سياقات متغايرة؛ لأن التعلّم الموزّع يزيد ثبات الاستدعاء مقارنة بالتعلّم المكثّف في جلسة واحدة[3].

1- Sharifian, (F), Cultural Linguistics: Cultural Conceptualisations and Language, John Benjamins, 2017.

2- Martinez, (R), and Schmitt, N. «A Phrasal Expressions List», Applied Linguistics, 33 (3), 2012, pp. 299-320.

3- Cepeda, (N.J.), Pashler, (H), Vul, (E), Wixted, J. T., and Rohrer, D. «Distributed Practice in Verbal Recall Tasks: A Review and Quantitative Synthesis», Psychological Bulletin, 132 (3), 2006, pp. 354-380.

3.4. بناء المحتوى التعليمي: بطاقة توصيف اصطلاحية ومعايير التدرّج

الحقل	الوصف
التعبير الاصطلاحي	الصيغة القياسية المعتمدة للتعبير.
المعنى المقصود	صياغة موجزة دقيقة، غير تفسيرية مفرطة ولا حرفية.
الوظيفة الخطابية	تلطيف، تقييم، سخرية، تحذير، مدح، ذم، تعظيم...
السجلّ والملاءمة	رسمي، محايد، دارج؛ مع التنبيه إلى المقامات الحسّاسة أو المحظورة.
الشحنة التقييمية	إيجابية، سلبية، ملتبسة، بحسب الأثر التداولي الغالب.
درجة التجمّد	ما يقبل التبديل التركيبي أو المعجمي، وما لا يقبله.
القيود المصاحبة	قرائن لفظية أو موضوعات شائعة أو محظورة تحرس الاستعمال.
شواهد الاستعمال	مثالان على الأقل من سياق أصيل أو شبه أصيل.
بدائل وظيفية	تعابير أقرب أو أخف أو أكثر رسمية بحسب المقام التداولي.

أما التدرّج فيُبنى على الانتقال من الأكثر شيوعًا والأقرب شفافية إلى الأقل شفافية والأشد حساسية مقامية، مع إعادة التدوير عبر وحدات المنهج، لا عبر درسٍ منفصلٍ ينتهي بانتهاء الحصة.

4.4 طرائق التدريس: نموذج إجرائي رباعي المراحل:

يمكن تمثيل التدريس الفعّال للتعبيرات الاصطلاحية في العربية بنموذجٍ رباعي يوازن بين الفهم والإنتاج:

1. **الاكتشاف:** تقديم النص/الحوار وطلب تخمين المعنى والوظيفة من القرائن.
2. **التفكيك والتوصيف:** بناء بطاقة التوصيف مع إبراز الوظيفة والسجلّ وقيود الاستعمال.
3. **التثبيت:** أنشطة موجّهة (مطابقة مقام/تعبير، اختيار الأنسب، إعادة صياغة) مع إدراج مراجعة موزّعة في حصص لاحقة.
4. **الإنتاج الأدائي:** لعب أدوار وكتابة قصيرة ومحاكاة مواقف؛ بحيث يتحول التعبير الاصطلاحي من «معلومة» إلى «قرار استعمال».

وتتوافق هذه المقاربة مع ما تدعو إليه أدبيات تعليم التعبيرات الاصطلاحية في الديداكتيك الألماني والفرنسي من ضرورة نقل التعبير الاصطلاحي من مستوى الشرح إلى مستوى الفعل داخل الموقف[1].

5.4. التقويم والتشخيص: من اختبار «المعنى» إلى اختبار «الملاءمة»:

يتعيّن أن يقيس التقويم في هذا الباب ثلاث كفايات: فهمًا سياقيًا، وملاءمة تداولية، وسلامة إنتاج. وعليه، يُقترح أن تُضمَّن أدوات التقويم ما يلي:

1. **اختبارات فهم سياقية:** نصوص متفاوتة السجلّ تُستخرج منها الوظيفة والمعنى.
2. **اختيار الأنسب مع تعليل:** يختبر «قرار الملاءمة» لا الحفظ.
3. **حكم قبول/تفضيل:** يميّز ما يُقبل تداوليًا مما يُرفض، ويكشف درجة التجمّد.
4. **مهام أداء:** كتابة/حديث موجّه يُصحّح بمعيار مزدوج: الدقة + الملاءمة.
5. **تحليل أخطاء منظّم:** تصنيف الأخطاء إلى: حرفية، خلل سجلّي، خلل قيود مصاحبة، خلل وظيفة.

وهنا ينبغي التنبيه إلى أن كثرة الأخطاء ليست دليلًا على فشل التعليم بالضرورة، بل قد تكون أداة تشخيص تُوجّه إعادة التصميم: فما يتكرر خطؤه يُعاد تدريسه بصيغٍ أكثر سياقية وتدويرًا.

خلاصة الرؤية أن تعليم التعبيرات الاصطلاحية في العربية لا ينجح بوصفه «تعليم معانٍ»، بل بوصفه تعليم استعمال: فهمٌ للمقام، وضبطٌ للسجلّ، وإدراكٌ للوظيفة الخطابية، وإتقانٌ لقيود التركيب والتوزيع. ومن ثمّ فإن اعتماد بطاقة التوصيف، والانتقاء القائم على الشيوع والفائدة، والتدوير الموزّع، والتقويم المعتمد على الملاءمة، كل ذلك يجعل التعبيرات الاصطلاحية جزءًا أصيلًا من بناء الكفاية التواصلية والثقافية، ويؤسس لجسرٍ منهجي بين التحليل الذي انتهى إليه من ممارسة الصفّية.

1- Kühn, (P) «Phraseodidaktik: Entwicklungen, Probleme und Überlegungen für den Muttersprachenunterricht und den Unterricht DaF», Fremdsprachen lehren und lernen, 21, 1992, pp. 169-189.

الخاتمة

يؤكد هذا البحث أنّ التعبيرات الاصطلاحية في العربية ليست تراكيب «جامدة» تُفهم بالجمع الحسابي لمعاني مفرداتها، بل هي وحدات لسانية-ثقافية تُنتج معناها داخل شبكة من العرف التداولي والذاكرة الرمزية والسياق الاجتماعي. وقد بيّن التحليل التطبيقي لعينة قصديّة (ثمانية تعبيرات ذات مرجعيات دينية وأدبية وتراثية) أن ثبات الصيغة يقابله تحوّل دلالي ووظيفي مستمر، بحيث تُعاد موضعة التعبير بحسب المقام والسجلّ والنبرة والغاية الخطابية.

وتُعدّ الحركية الدلالية شرطًا بنيويًا في الاصطلاح، إذ تتعايش التعبيرات الاصطلاحية مع دلالات متجددة. فـ«اشتعل الرأس شيبًا» تُبقي البناء ثابتًا بينما تنقل «الاشتعال» إلى معنى زمني/وجودي، و«أرقٌ على أرقٍ» تبني دلالة التراكم والانفعال عبر التكرار التصعيدي، في حين تتحول «بان الخليط» إلى علامة مختزلة للفقد والانفصال، تتسع لاستعمالات اجتماعية حديثة تتجاوز سياقها الشعري الأول.

ولا يُعدّ البعد الثقافي خلفية خارجية للمعنى، بل هو جزء مكوّن له. فالتعبير «بالرّفاء والبنين» يُظهر كيف يُشفّر الاصطلاح طقسًا اجتماعيًا وتمثلات قيمية مخصوصة، ثم يُعاد توجيهه ضمن منظومة معيارية مختلفة. كما يعمل «خاتم سليمان» رمزًا للسلطة والتمكين، قابلًا للتقويم أو السخرية بحسب السياق، بينما تؤدي «سدرة المنتهى» وظيفة وسم الغاية أو الحدّ في الخطاب العام، متجاوزة الإحالة النصية إلى أداء تداولي معاصر.

ويتبيّن كذلك أن المقام والسجلّ يحددان صحة الاستعمال بقدر ما يحدده المعنى نفسه؛ فقد يكون التعبير صحيح الدلالة لكنه غير ملائم تداوليًا من حيث الرسمية أو الحميمية أو الطابع الساخر. وهو ما يجعل توصيف التعبير الاصطلاحي توصيفًا مزدوجًا يقوم على المعنى والوظيفة معًا، إضافة إلى شرط الملاءمة السياقية.

كما يَثبت أن الترادف الظاهري بين التعبيرات مضلّل ما لم تُراعَ القرائن؛ فكثير من الصيغ قد تتقارب في معناها العام، لكنها تختلف في الصورة الذهنية، والشحنة التقييمية، وقيود التوزيع. ومن ثمّ يصبح ضبط القيود المصاحبة ضرورةً لتأمين الاستعمال السليم ومنع الانزياح الدلالي أو التداولي.

وفي مجالي الترجمة والتعليم، يتقدّم المعادل الوظيفي على المعادل الدلالي؛ إذ تُظهر

الأمثلة أن الترجمة الحرفية قد تحفظ صورة التعبير، لكنها تُفقد المقبولية التداولية، بينما تنقل الصياغة التفسيرية الوظيفة الخطابية على حساب الصورة البلاغية. وبناءً على ذلك، ينبغي أن يُبنى قرار النقل على الوظيفة المتوخاة وأثرها في المتلقي، لا على التطابق الدلالي المجرد.

خلاصات تطبيقية (تربوية/إجرائية)

1. يقترح البحث اعتماد مؤشر الملاءمة الثقافية والسجلّية لتشخيص موقع التعبير بين الثقافة والمقام.
2. كما تقترح بطاقة توصيف التعبير الاصطلاحي تُدرج: المعنى المقصود، الوظيفة الخطابية، الشحنة التقييمية، السجلّ، درجة التجمّد، القيود المصاحبة، وشواهد استعمال؛ لتكون أداة مشتركة بين الوصف المعجمي والتقويم والترجمة والتعليم.
3. وتخلص الرؤية التعليمية إلى ضرورة تجاوز نموذج (تعريف + ترجمة + حفظ) نحو تعليمٍ سياقي-وظيفي يعتمد الاكتشاف داخل النص، والتدوير الموزّع، والتدريب على الاسترجاع، وتقويم «الملاءمة» لا «المعنى» فقط.

حدود الدراسة وآفاقها:

تظل هذه النتائج مشروطة بكون المتن قصديًا محدودًا ومركّزًا على تعبيرات اصطلاحية ذات حمولة نصّية/تراثية عالية؛ لذا يُقترح في أعمال لاحقة توسيع العيّنة وبناؤها على مدونة استعمالية معاصرة لقياس الشيوع وتحوّل الوظائف عبر الأنواع الخطابية (الإعلام، التواصل الاجتماعي، الخطاب السياسي...)، واختبار فاعلية «بطاقة التوصيف» و«مؤشر الملاءمة» تجريبيًا في صفوف العربية للناطقين بغيرها وفي مهمات الترجمة.

وبذلك يثبت البحث أن مقاربة التعبيرات الاصطلاحية من زاويتين متكاملتين-الدلالة بوصفها آلية لتكثيف التجربة، والثقافة بوصفها شرطًا لتداول المعنى-تقدّم تفسيرًا أدق لعمل التعبير الاصطلاحي في العربية، وتفتح مسارًا عمليًا لتحويل هذا الفهم إلى أدوات وصفٍ وتعليمٍ وترجمةٍ أكثر اتساقًا وفاعلية.

قائمة المصادر والمراجع

الأول: المراجع العربية

- ابن الحاجب (عثمان بن عمر). أمالي ابن الحاجب، دار عمار، ودار الجيل، 1989م.
- ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي). فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج وتصحيح: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، مصر، ط1، 1380 - 1390هـ.
- ابن حنبل (أحمد). مسند الإمام أحمد، دار الحديث، 1995م.
- ابن سناء الملك. ديوان ابن سناء الملك، تح: محمد رضوان الداية، دار صادر، 1983م.
- ابن فضل الله العمري (أحمد). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، 2002م.
- ابن منظور (محمد). لسان العرب، دار صادر، 1994م.
- ابن هبيرة (يحيى). الإفصاح عن معاني الصحاح، دار الوطن، 1996 - 1997م.
- ابن هشام (عبد الله بن يوسف). أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تح: بركات يوسف هبود، دار الفكر، 2000م.
- الأشموني (علي بن محمد). شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، 1998م.
- الأفغاني (سعيد بن محمد). الموجز في قواعد اللغة العربية، دار الفكر، 2003م.
- الأنصاري (أبو زيد). النوادر في اللغة، دار الشروق، 1981م.
- البخاري (محمد بن إسماعيل). صحيح البخاري، تح: جماعة من العلماء، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، ط السلطانية، 1311هـ.
- البغوي (أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز). معجم الصحابة، تح: محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان، الكويت، ط1، 1421هـ/2000م.

- الترمذي (محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى). سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ/1975م.
- الجرجاني (عبد القاهر). دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، 1992م.
- الجوهري (إسماعيل). الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، 1987م.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي. كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1997م.
- الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد). محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 2000م.
- الزبيدي (محمد مرتضى). تاج العروس من جواهر القاموس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1965 - 2001م.
- الزيات (أحمد حسن). «من طرائف الشعر»، مجلة الرسالة، العدد الثاني، القاهرة، 1933م.
- السخاوي (محمد). المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، مكتبة الخانجي، 1956م.
- السيرافي (الحسن بن عبد الله، أبو سعيد). شرح كتاب سيبويه، دار الكتب العلمية، 2008م.
- الطبري (محمد). جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر، 2001م.
- الفارضي (محمد بن شمس الدين). شرح الفارضي على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، 2018م.
- القاسمي (علي). «معالجة التعابير الاصطلاحية والسياقية»، في: المعجميات العربية بين النظرية والتطبيق، مكتبة لبنان، 2003م.

- القالي (إسماعيل بن القاسم، أبو علي). المقصور والممدود، تح: أحمد عبد المجيد هريدي، مكتبة الخانجي، 1999م.
- القزويني (جلال الدين). الإيضاح في علوم البلاغة، دار الجيل، 1993م.
- المبرّد (محمد بن يزيد، أبو العباس). الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997م.
- المتنبي. ديوان أبي الطيب المتنبي، تح: عبد الواحد وافي، دار المعارف، 1964م.
- المقري التلمساني (أحمد). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، 1997م.
- الميداني (أبو الفضل أحمد). مجمع الأمثال، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، 1978م.
- الهيثمي (علي بن أبي بكر). مجمع الزوائد ومنبع الفوائد.
- أبو داود (سليمان بن الأشعث). سنن أبي داود.
- أبو يعلى (أحمد بن علي بن المثنى). مسند أبي يعلى.
- باكلا (محمد حسن)، وآخرون. معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، مكتبة لبنان، 1983م.
- بديع الزمان الهمذاني. المقامات، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، 1983م.
- بشر بن أبي خازم. ديوانه، تح: محمد عبد القادر أحمد، دار صادر، 1972م.
- جرير. ديوان جرير، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، 1970م.
- حسام الدين (كريم زكي). التعبير الاصطلاحي: دراسة في تأصيل المصطلح ومفهومه ومجالاته الدلالية وأنماطه التركيبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1985م.
- صافي (محمود). الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، دار الرشيد، ومؤسسة الإيمان، 1995م.

- عمر (أحمد مختار). معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، 2008م.
- قويدر (حسان). العبارات الاصطلاحية في اللغة العربية، دار كنان، 2000م.
- مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري). صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1374هـ/1955م.

ثانياً: المراجع الأجنبية

- Cepeda, (N. J.), Pashler, H., Vul, E., Wixted, J. T., and Rohrer, D. «Distributed Practice in Verbal Recall Tasks: A Review and Quantitative Synthesis», Psychological Bulletin, 132 (3), 2006, pp. 354-380.
- Conklin, (K), and Schmitt, N. «The Processing of Formulaic Language», Annual Review of Applied Linguistics, 32, 2012, pp. 45-61.
- Eliade, (M), The Sacred and the Profane: The Nature of Religion, trans. W. R. Trask, Harcourt, Brace & World, 1959.
- Fillmore, (C. J.), Santa Cruz Lectures on Deixis, Indiana University Linguistics Club, 1975.
- Halliday, (M. A. K.), Language as Social Semiotic: The Social Interpretation of Language and Meaning, Edward Arnold, 1978.
- Hatim, (B), and Munday, (J), Translation: An Advanced Resource Book, Routledge, 2004.
- Jakobson, (R), Language in Literature, ed. K. Pomorska and S. Rudy, Harvard University Press, 1987.
- Jakobson, (R0, «Linguistics and Poetics», in: Sebeok, T. A. (ed.), Style in Language, MIT Press, 1960, pp. 350-377.
- Kühn, (P), «Phraseodidaktik: Entwicklungen, Probleme und Überlegungen für den Muttersprachenunterricht und den Unterricht DaF», Fremdsprachen lehren und lernen, 21, 1992, pp. 169-189.
- Levinson, (S. C.), Pragmatics, Cambridge University Press, 1983.
- Lotman, (Y. M.), The Structure of the Artistic Text, University of Michigan Press, 1977.
- Lotman, (Y. M.), «On the Semiosphere», trans. W. Clark, Sign Systems Studies, 33 (1), 2005, pp. 205-229.

- Martinez, (R), and Schmitt, N. «A Phrasal Expressions List», Applied Linguistics, 33 (3), 2012, pp. 299-320.
- Matthews, (P. H.), «Idiom», in: The Concise Oxford Dictionary of Linguistics, 3rd ed., Oxford University Press, 2014.
- Munday, (J), Introducing Translation Studies: Theories and Applications, 5th ed., Routledge, 2022.
- Nida, (E. A.), and Taber, C. R. The Theory and Practice of Translation, E. J. Brill, 1969.
- Nida, (E. A.), Toward a Science of Translating: With Special Reference to Principles and Procedures Involved in Bible Translating, E. J. Brill, 1964.
- Sharifian, (F), Cultural Linguistics: Cultural Conceptualisations and Language, John Benjamins, 2017.
- Venuti, (L), (ed.). The Translation Studies Reader, 4th ed., Routledge, 2021.
- Wray, (A), Formulaic Language and the Lexicon, Cambridge University Press, 2002.

مِن عِلم العرُوض إلى الدِّقة التّداولية: كيف تُشكّل العناصرُ الفُوقطعيّة العربيّة المَعنى في التّرجمة الفوريّة إلى الإنجليزيّة

From Prosody to Pragmatic Fidelity: How Arabic Suprasegmentals Shape Meaning in English Interpreting?

د. صالح بلحسن

أستاذ مساعد - قسم الإنجليزية - جامعة قفصة - تونس

Dr. Saleh Belhassen

Assistant Professor - English Language Department - University of Gafsa - Tunisia

https://doi.org/10.47798/fom.2025.i05.04

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

تتناول هذه الدّراسة الدّور الجوهري، الذي لم يحظَ بما يكفي من التقّعيد النّظري، للخصائص النّغمية والصّوتية في التّرجمة الشّفهية بين العربيّة والإنجليزيّة، وتشملُ هذه الخصائص: التّنغيم والنّبر وتنوّع درجات الصّوت وإيقاع الكلام وسرعته. وتركّز الدّراسة تجريبيّاً على أداة النّفي العربيّة «لا»، مؤكّدةً أنّ التّجسيد النّغمي للكلمة – وليس مدلولها المعجمي المجّرد – هو النّاقل الأساسيّ لمقصد المتحدّث التّداولي. فالتّشكيلات النّغمية المختلفة للّام النّافية تعبّر عن مجموعة واسعة من الأغراض الكلامية، من التّردد والتلطيف إلى الرّفض الحاسم والاستنكار والتّحذير.واعتمدت الدّراسة منهجية متعدّدة الأساليب موجهّة نحو الممارسة المهنيّة، جمعت بين تحليل نغميّ خطابيّ لنماذج حّية من التّفاعلات الإعلاميّة العربيّة، وتطبيقات عمليّة للترجمة التّتابعية، ومقابلات استرجاعيّة مع مترجمين محترفين لاستكناه عمليّاتهم الذّهنيّة. وكشفت النّتائج أن المترجمين، رغم دقّة تعرفهم إلى الإشارات النّغمية الصّريحة، كثيراً ما يغفلون أو يعجزون عن نقل الإشارات النّغمية الخفيّة والدقيقة إلى اللّغة الهدف. كما بيّنت هيمنة استراتيجيات التّعويض المعجميّة والتركيبيّة في اللّغة الإنجليزية على محاولات محاكاة النّغمة الأصلية مباشرة.وتخلص الدراسة إلى أنّ المهارة النّغمية ليست عنصراً ثانوياً بل هي ركيزة أساسيّة لتحقيق الدّقة التّداولية والأمانة الوظيفيّة في التّرجمة. وبناءً على ذلك، تقترح إطاراً تطبيقياً للتّدريب والتّقييم يُراعي البُعد النّغمي، سعياً لسدّ الفجوة القائمة بين الجانب النّظري والبيداغوجي للتّرجمة الشّفهية من جهة، ومتطلّبات الممارسة المهنية من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحيّة: الترجمة الفورية، الخصائص الفوقطعية، الدقة التداولية، استراتيجيات التعويض، تدريب المترجمين

Abstract

This study explores the crucial yet insufficiently theorized function of suprasegmental features—such as intonation, stress, pitch span, rhythm, tempo, and pausing—in Arabic–English interpreting. Using the Arabic negative particle la (لا) as a focal case, it contends that pragmatic meaning is conveyed primarily through prosodic realization rather than through lexical negation alone. Variations in the prosodic shaping of la are shown to signal a wide range of illocutionary meanings, including hesitation, attenuation, firm refusal, surprise, and admonition. Employing a mixed-methods, practice-oriented methodology, the study combines discourse-based prosodic analysis of authentic Arabic media exchanges with consecutive interpreting tasks and stimulated recall interviews conducted with professional interpreters. It also examines how adjacency pairs and backchanneling practices contribute to the interpretation of prosodic cues. The findings demonstrate that although interpreters generally identify salient prosodic markings, more nuanced suprasegmental cues are often overlooked or flattened in the English target output. As a result, interpreters tend to favor lexical or syntactic compensatory strategies over the reproduction of prosodic effects. The study argues that prosodic competence constitutes a core component of pragmatic accuracy in interpreting rather than a peripheral skill. On this basis, it proposes an applied, prosody-sensitive framework for interpreter training and assessment designed to address an enduring disconnect between interpreting theory, instructional practice, and professional performance.

Keywords: Interpreting Studies, Suprasegmental Features, Pragmatic Fidelity, Compensation Strategies, Interpreter Training.

1. Introduction: The Prosodic Imperative in Interpreting

The fundamental mandate of the interpreter transcends the mere transposition of lexical items from a source to a target language. It entails the real-time, accurate, and holistic conveyance of a speaker's complete communicative intent—a complex amalgam of propositional content, interpersonal stance, and pragmatic force [(1)]. For decades, pedagogical models and assessment rubrics in interpreter education have justifiably prioritized the development of semantic precision, terminological equivalence, and syntactic agility. However, this necessary focus has often resulted in the marginalization of a fundamental and pervasive stratum of spoken communication: the suprasegmental or prosodic layer. This layer encompasses the systemic features of intonation, stress, pitch variation, tempo, rhythm, pauses, and other elements that are not merely decorative or paralinguistic "coloring" but are, in fact, essential pragmatic operators[(2)]. They perform the critical work of shaping, modifying, and often fundamentally redefining the illocutionary force and perlocutionary effect of an utterance[(3)]. Furthermore, these features operate within interactive structures like adjacency pairs and are modulated by listener feedback through backchannels[(4)], creating a complex web of meaning the interpreter must navigate. This research posits that the conscious, effective processing of prosodic information constitutes a core and non-optional component of interpreter competence. Its neglect precipitates what can be termed systematic pragmatic loss, a scenario wherein the nuanced intent of the speaker is inadvertently flattened, neutralized, or distorted in the interpreted rendition, despite potential lexical accuracy.

The empirical and practical impetus for this inquiry is crystallized in a concrete, recurrent, and pedagogically salient challenge within Arabic-to-English interpreting: the profound semantic-pragmatic plasticity of the high-frequency negative particle la (لا). As attested by practitioner lore and preliminary observation, this single, minimal syllable can span a vast continuum of discrete speech acts based almost exclusively on modifications to its prosodic envelope—its "sound shape." A short, low-pitched, and unmarked la may sig-

1- Seleskovitch, (Danica), and Marianne (Lederer). Pédagogie raisonnée de l'interprétation, Didier Érudition, 1989, p12.
2- Ladd, (D. Robert). Intonational Phonology, 2nd ed., Cambridge UP, 2008, pp5-6.
3- Austin, (J. L). How to Do Things with Words, Oxford UP, 1962, p23.
4- Couper-Kuhlen, (Elizabeth), and Margret(Selting). Interactional Linguistics: Studying Language in Social Interaction, Cambridge UP, 2018, p6.

nal polite reservation, hesitation, or mitigated disagreement; a high-pitched, sharply articulated la! denotes categorical, emphatic rejection; an elongated, contour-modulated laaa can convey incredulity, surprise, or skeptical challenge; while a rapid, staccato repetition (la la la!) typically functions as a pre-emptive warning or prohibitive interruption. To render these pragmatically distinct communicative acts with a monolithic, unmarked English "no" represents more than a stylistic shortcoming—it constitutes a significant professional failure in mediation. Such an oversight omits the speaker's affective attitude, epistemic stance, and strategic interactive purpose, thereby compromising the fidelity of the interpreted event(1).

This specific challenge illuminates a broader, more salient gap within the theoretical and applied domains of Interpreting Studies. While the field's dominant meaning-based paradigms, from the Théorie du Sens to contemporary pragmatic approaches, unequivocally advocate for interpreting "sense" and adeptly managing "pragmatic inference"(2), the specific acoustic pathways through which such intent is signaled remain remarkably underexplored. The cognitive-interactive processes by which interpreters perceptually decode these suprasegmental signals and strategically re-encode their pragmatic payload into a linguistically divergent target system lack detailed empirical specification. This gap is particularly critical and pronounced in language pairs with markedly divergent prosodic typologies, such as Arabic and English, where direct prosodic transfer is often impossible or misleading(3). Consequently, the interpreter's task of pragmatic inference, often discussed abstractly, is grounded in the concrete reality of acoustic processing.

Therefore, to bridge this gap between theoretical acknowledgment and practical, teachable skill, this study is guided by the following interconnected research questions:

1. How do specific suprasegmental modifications (e.g., pitch height, contour, duration, repetition) of the Arabic particle la function as primary illocutionary force modifiers in authentic, spontaneous discourse? We

1- Clifford, (Andrew). "Putting the Exam to the Test: Psychometric Validation and Interpreter Certification." Interpreting, vol. 6, no. 1, 2004, p2.

2- Seleskovitch, (Danica), and Marianne (Lederer). Pédagogie raisonnée de l'interprétation, Didier Érudition, 1989, p5.

3- Chahal, (Dana), and Sam (Hellmuth). "The Prosody of Arabic," Prosodic Typology II: The Phonology of Intonation and Phrasing, edited by Sun-Ah Jun, Oxford UP, 2014, p272.

seek to move beyond anecdote to establish a systematic typology linking acoustic form to pragmatic function.

2. To what extent do professional interpreters consciously perceive, accurately decode, and metacognitively reflect upon the pragmatic intent signalled by these prosodic cues during the real-time pressure of consecutive interpreting?

3. What repertoire of linguistic and paralinguistic compensation strategies [1] do interpreters employ in English to bridge the prosodic-pragmatic gap when direct equivalences are absent, and what factors influence their strategic choices?

Derived from both theory and practitioner insight, we hypothesize that: (H1) Interpreters will demonstrate high accuracy in decoding exaggerated or "marked" prosodic cues (e.g., emphatic repetition, sharp glottalization) but will show inconsistent, unconscious, or erroneous handling of subtler, less marked cues (e.g., low flat intonation signaling hesitation). (H2) Lexical addition and modification (e.g., embedding adverbials, verbal phrases, pragmatic markers) will be the most frequently and reflexively deployed compensation strategy, utilized more often than attempts at direct prosodic mirroring in English or more complex syntactic repackaging. (H3) Interpreter professional experience will positively correlate with both the diversity and situational appropriateness of compensation strategies employed and with the level of explicit meta-cognitive awareness regarding prosodic decision-making processes.

By systematically investigating these questions, this research aims to catalyze a shift in interpreter education, moving prosody from the periphery of "delivery skills" to the center of a comprehensive pedagogy for pragmatic competence. Its ultimate objective is to provide a structured, evidence-based framework to train interpreters to actively hear, critically analyze, and faithfully reconstruct the full pragmatic weight and nuanced intent of the spoken word, thereby ensuring that the complete spectrum of human meaning is preserved in cross-linguistic mediation.

1- Baker, (Mona). In Other Words: A Coursebook on Translation, 3rd ed., Routledge, 2018, p11.

2. Literature Review

2.1. The Phonetics-Pragmatics Interface: Prosody as the Architect of Illocutionary Force.

The foundational premise of this study is that spoken meaning is a dual-layered construct, co-created by segmental (lexical-syntactic) and suprasegmental (prosodic) components. Suprasegmental phonology demonstrates that intonation contours, pitch accents, stress patterns, rhythm, and tempo are not mere auditory embellishments but are systematically encoded, language-specific carriers of linguistic and pragmatic information[1]. The critical leap from acoustic signal to communicative meaning is bridged by pragmatics, particularly Speech Act Theory[2]. An utterance's illocutionary force—whether it functions as a promise, a warning, a mitigated refusal, or an emphatic assertion—is frequently disambiguated and specified by its prosodic delivery. For example, a declarative syntactic structure can be transformed into a skeptical question or a sarcastic comment solely through intonational modulation[3]. Furthermore, the strategic use of contrastive stress serves to activate presuppositions and frame alternatives within the discourse, guiding the listener's inferential processes[4].

This prosodic encoding extends deeply into interpersonal and social dynamics. Building on Gricean cooperative principles, Leech's (1983) Politeness Principle elucidates how prosody acts as a primary tool for facework. A speaker may perform the same speech act (e.g., a disagreement) with varying degrees of threat to the listener's face by modulating prosodic features: a falling, terminal pitch may convey finality and strength, while a level or slightly rising contour may signal openness or hesitation, thereby mitigating the act. The field of Interactional Linguistics further cements this view, showing how prosody is integral to turn-taking, repair, and the display of epistemic stance in conversation[5]. Consequently, to disregard prosody is not merely to overlook stylistic nuance; it is to risk a fundamental misidentification of

1- Ladd, (D. Robert). Intonational Phonology, 2nd ed., Cambridge UP, 2008, p3.
2- Austin, (J. L). How to Do Things with Words, Oxford UP, 1962, p27.
3- Wichmann, (Anne). Intonation in Text and Discourse: Beginnings, Middles, and Ends, Longman, 2000, p16.
4- Krifka, (Manfred). "Basic Notions of Information Structure." Acta Linguistica Hungarica, vol. 55, nos. 3–4, 2008, p83.
5- Couper-Kuhlen, (Elizabeth), and Margret(Selting). Interactional Linguistics: Studying Language in Social Interaction, Cambridge UP, 2018, p20.

the speech act being performed and the social relationship being negotiated. This establishes the non-negotiable importance of prosodic processing for any agent tasked with mediating live dialogue.

2.2. Interpreting Theory: The Elusive Place of the Prosodic Signal in Meaning-Based Models

Interpreting Studies has undergone a significant paradigm shift, moving from a quest for lexical-syntactic equivalence towards models that prioritize the comprehension and reconstitution of speaker meaning or "sense"[1]. This meaning-based approach, central to the Théorie du Sens, posits a cognitive process of "deverbalization," whereby the interpreter strips away the source language form to access a non-linguistic "sense" that integrates linguistic meaning with extralinguistic knowledge and context. Implicit in this model is that prosody contributes vital data to this cognitive construct. However, the theory itself offers limited granularity on how prosodic signals are integrated into the deverbalized sense or how they guide the interpreter's pragmatic inference.

Cognitive models of interpreting have sought to operate these mental processes. Gile's (1995/2009) Effort Models, for instance, partition the interpreter's finite processing capacity into coordinated efforts: Listening and Analysis, Memory, and Production. Within the Listening and Analysis Effort, the interpreter is understood to parse phonological, syntactic, and semantic information. We contend, alongside scholars like Ahrens (2005) and Collados Aís et al. (2007), that prosodic decoding constitutes a significant, yet frequently unaccounted-for, sub-component of this effort. A failure to allocate sufficient processing capacity to prosodic analysis—treating it as background noise rather than primary data—can lead to an impoverished or erroneous analysis phase, with cascading errors in memory retention and target-language production. This perspective aligns with research on interpreter assessment, where scholars like Clifford (2004) and Pöchhacker (2004) argue convincingly that fidelity must be measured not only in propositional content but in the rendition of speaker intent, attitude, and register, all of which are paralinguistically cued. Setton and Dawrant (2016) provide perhaps the most advanced discussion, dedicating substantial analysis to pragmatic enrichment and inference in interpreting. Yet, even here, the spe-

1- Seleskovitch, (Danica), and Marianne (Lederer). Pédagogie raisonnée de l'interprétation, Didier Érudition, 1989, p24.

cific acoustic triggers of these inferences—the precise prosodic cues that signal irony, insistence, or doubt—remain largely unspecified in the literature, creating a gap between the macro-theory of pragmatic mediation and the micro-practice of acoustic processing.

2.3. The Arabic Prosodic System: A Landscape of Pragmatic Nuance and the Case of لا

The Arabic language presents a particularly rich and complex terrain for prosodic-pragmatic study. Its prosodic system employs pitch and stress for both grammatical functions (e.g., distinguishing certain case endings in pausal form) and, more extensively, for pragmatic and discourse-structuring purposes(1). Research on Arabic intonation has described its use in marking information structure, focus, and a range of speaker attitudes(2). The negative particle la serves as a quintessential exemplar of this complexity. While its canonical role as a syntactic negator is thoroughly documented in grammatical literature, its operation as a polyfunctional discourse marker, modulated by prosody, resides largely in the realm of native speaker intuition and anecdotal professional experience.

In spontaneous discourse, la transcends logical negation to perform acts of hesitation, polite deflection, strong prohibition, surprised rejection, and emphatic correction. These functions are acoustically realized through distinct suprasegmental "envelopes": glottalization (la'), vowel elongation, pitch register shifts (high vs. low onset), and rhythmic repetition. To analyze these varied realizations, this study adopts the concept of the pragmeme(3) —a generalized, context-bound pragmatic act. Thus, a high-pitched, glottalized la! instantiates a "categorical denial pragmeme," while a low, drawn-out laaa... may instantiate a "dubitative hesitation pragmeme." This theoretical framing provides a systematic method for categorizing the interpreter's source-language input: the challenge is not to translate the word "no," but first to correctly identify the specific pragmeme being performed through its acoustic signature. The lack of a formalized description of these la-based pragmemes

1- Chahal, (Dana), and Sam (Hellmuth). "The Prosody of Arabic," Prosodic Typology II: The Phonology of Intonation and Phrasing, edited by Sun-Ah Jun, Oxford UP, 2014, p286.

2- Chahal, (Dana). Modeling the Intonation of Lebanese Arabic Using the Autosegmental-Metrical Framework: A Comparison with English, Doctoral dissertation, University of Melbourne, 2001, p289.

3- Mey, (Jacob L). Pragmatics: An Introduction, 2nd ed., Blackwell, 2001, p26.

within Interpreting Studies constitutes a significant descriptive gap, one this research aims to fill.

2.4. Strategic Compensation: Bridging the Prosodic-Pragmatic Divide

When a linguistic or paralinguistic feature in the source language lacks a straightforward equivalent in the target language, interpreters must engage in strategic compensation to achieve functional or pragmatic equivalence[1]. This is a core skill in translation and interpreting, but its application to prosodically encoded meaning is underexplored. Based on translation theory and interpreting practice literature, we can delineate a preliminary taxonomy of compensation strategies relevant to prosodic meaning:

1. **Lexical Addition/Modification:** Embedding adverbs ("utterly," "perhaps," "strongly"), verbal phrases ("I must stress," "I am reluctant to agree"), or discourse markers ("well," "actually," "look") to explicitly convey the attitude or force implied by the source prosody.[2]

2. **Syntactic Repackaging:** Altering the syntactic structure of the target utterance to mirror the pragmatic effect. This may involve using cleft sentences ("What is unacceptable is..."), fronting negation for emphasis ("Under no circumstances..."), or shifting modality (e.g., from a statement to a rhetorical question)[3].

3. **Prosodic Shift in the Target Language (TL):** Attempting to mirror the source language attitude by employing a comparable English intonation contour, stress pattern, or tempo change. This strategy is high-risk, as the semantic association of specific contours can differ between languages[4].

4. **Explicit Meta-Commentary:** The interpreter briefly steps out of the direct speech frame to explicitly label the speaker's intent (e.g., "The speaker now emphasizes..." or "Here, expressing doubt, they say..."). This strategy is often used as a last resort or for stark contrasts but is a vital tool in the interpreter's kit [5].

1- Baker, (Mona). In Other Words: A Coursebook on Translation, 3rd ed., Routledge, 2018, p33.
2- Jones, (Roderick). Conference Interpreting Explained, 2nd ed., St. Jerome Publishing, 2002, p10.
3- Hatim, (Basil), and Ian (Mason). Discourse and the Translator, Longman, 1990, p65.
4- Ladd, (D. Robert). Intonational Phonology, 2nd ed., Cambridge UP, 2008, p23.
5- Wadensjö, (Cecilia). Interpreting as Interaction, Longman, 1998, p34.

While this taxonomy is conceptually useful, the literature lacks an empirically derived mapping that connects specific Arabic prosodic cues (e.g., the acoustic profile of a "warning pragmeme") to the actual, in-performance compensation strategies deployed by professional interpreters in English. Understanding this mapping—what strategies are used, when, and why—is essential for moving from abstract principle to teachable technique.

2.5. Synthesizing the Gap and Articulating the Contribution

The literature review reveals a convergent gap across multiple disciplines. Phonetics and pragmatics robustly describe the meaning-making power of prosody. Interpreting theory acknowledges the importance of conveying speaker intent and implicit meaning. However, the precise junction where these fields meet—the cognitive-interactive process of prosodic decoding and re-encoding in real-time bilingual mediation—remains a "black box." Prior research has not systematically: (a) isolated and categorized the prosodic pragmemes of a high-frequency Arabic item like la; (b) investigated the extent and nature of interpreters' conscious awareness of these cues under task conditions; and (c) catalogued the strategic choices made in response to them, correlating these choices with performance outcomes and interpreter expertise.

Therefore, this study makes a direct and targeted contribution. By employing a mixed methods design that links fine-grained acoustic analysis with the rich data of interpreter performance and retrospective cognition (via stimulated recall), it seeks to illuminate this black box. The contribution is threefold:

1. **Descriptive/Theoretical:** It will provide a systematic typology of la-based pragmemes, enriching the description of Arabic discourse. It will also propose a refined cognitive model that explicitly incorporates a "Prosodic Decoding Sub-effort," thereby advancing theoretical models of interpreter comprehension[(1)].

2. **Empirical/Practical:** It will generate an evidence-based inventory of compensation strategies, moving beyond theoretical taxonomies to document what skilled practitioners actually do when faced with specific prosodic-pragmatic challenges.

1- Gile, (Daniel). Basic Concepts and Models for Interpreter and Translator Training, Rev. ed., John Benjamins, 2009, p156.

3. **Pedagogical:** It will synthesize these findings into a structured, replicable training framework designed to transform prosodic competence from an implicit, experience-acquired skill into an explicit, teachable, and assessable component of the interpreting curriculum. In doing so, it aims to bridge the persistent and problematic gap between the theoretical recognition of holistic meaning in Interpreting Studies and the practical, acoustic realities of achieving it in professional practice.

3. Methodology

This study employs a practitioner-based, mixed-methods research design to investigate the intricate cognitive and strategic processes involved in decoding and re-encoding prosodic meaning in Arabic-to-English interpreting. The design is fundamentally triangulative, integrating qualitative and descriptive-analytical methods to illuminate the phenomenon from multiple, converging angles[1]. It proceeds in two sequential, interdependent strands: (1) a prosodic-pragmatic discourse analysis of a controlled corpus of authentic Arabic speech to establish a ground-truthed typology of la-based pragmemes; and (2) a phenomenological analysis of interpreter cognition and performance, captured through consecutive interpreting tasks and retrospective stimulated recall interviews (SRIs). This integrated approach allows us to bridge the gap between the objective acoustic signal, the subjective interpreter experience, and the observable output, thereby providing a holistic view of the prosodic mediation pipeline[2].

3.1. Research Design and Rationale

To address the complex, process-oriented nature of our research questions, we adopted an embedded, multiple-case study design[3]. The primary "case" under investigation is the professional interpreter's handling of prosodically modulated la. Within this overarching case, we examine multiple bounded units of analysis: the individual interpreting performances of 12 professionals across 15 distinct discourse segments. This design is particularly suited to exploring a "how" and "why" phenomenon within its real-world

1- Denzin, (Norman K). The Research Act: A Theoretical Introduction to Sociological Methods, second ed, McGraw-Hill, 1978, pp17-21.
2- Ericsson, (K. Anders), and Herbert (A. Simon). Protocol Analysis: Verbal Reports as Data, Rev. ed., MIT Press, 1993, p78.
3- Yin, (Robert K). Case Study Research and Applications: Design and Methods, 6th ed., Sage, 2018, p21.

context, where the boundaries between the phenomenon (prosodic processing) and the context (the interpreting task) are not clearly distinct [1].

The mixed-methods logic of inquiry is sequential and explanatory[2]. The initial qualitative discourse analysis (Strand 1) informs and structures the subsequent data collection with interpreters. The analysis of interpreter output and SRI data (Strand 2) then explains the findings from the first strand, detailing the cognitive processes behind them. By combining these strands, we achieve methodological complementarity: the discourse analysis provides systematic, granular input data, while the SRI offers unique, emic insights into the interpreters' conscious and metacognitive decision-making, a well-established method in Interpreting Studies to access covert processes[3].

3.2. Phase 1: Source Corpus Construction and Prosodic-Pragmatic Analysis

3.2.1. Corpus Compilation and Selection Rationale

To ensure ecological validity, that is, to study prosody as it functions in real, high-stakes communication—we compiled a corpus of authentic, unscripted Arabic speech. Approximately four hours of audio-visual material were sourced from three high-interaction genres:

1. **Televised Political Debates** (e.g., الاتجاه المعاكس on Al Jazeera): Chosen for their high incidence of adversarial discourse, negotiation, and emphatic expression of stance.
2. **Press Conferences & Media Interviews:** Selected for their structured but spontaneous Q&A format, featuring moments of hesitation, clarification, and pointed denial.
3. **Talk Shows with Confrontational Dialogues:** Included for their display of a wide range of interpersonal attitudes, including surprise, warning, and mitigation. These genres were explicitly chosen over monologic speech (e.g., lectures) to maximize the occurrence of pragmatically loaded, interactive uses of la and other discourse particles[4].

1- Yin, (Robert K). Case Study Research and Applications: Design and Methods, 6th ed., Sage, 2018, p27.
2- Chesterman, (Andrew). Memes of Translation: The Spread of Ideas in Translation Theory. John Benjamins, 1997, p182.
3- Gile, (Daniel). Basic Concepts and Models for Interpreter and Translator Training, Rev. ed., John Benjamins, 2009, p17.
4- Chafe, (Wallace). Discourse, Consciousness, and Time: The Flow and Displacement of Conscious Experience in Speaking and Writing, U of Chicago P, 1994, p25.

3.2.2. Segment Identification and Extraction

From the master corpus, 15 discrete segments, each ranging from 20 to 45 seconds in duration, were meticulously identified and extracted. The selection followed strict, pre-defined criteria to ensure analytical rigor:

- Each segment must contain at least one clear, contextually indispensable instance of la exhibiting salient suprasegmental modification.
- Segments must collectively represent a balanced range of the pragmatic functions preliminarily observed (e.g., categorical denial, hesitant negation, surprised rejection, prohibitive warning).
- The linguistic context must provide sufficient co-textual clues to allow for the pragmatic disambiguation of the prosodic cue, ensuring that function could be attributed through combined acoustic and discourse analysis.

3.2.3. Transcription and Prosodic Annotation Protocol

All 15 segments were transcribed orthographically in Arabic script, preserving all filled pauses, repetitions, and false starts to maintain discourse authenticity. The prosodic annotation employed a simplified, researcher-friendly system inspired by the ToBI (Tones and Break Indices) framework (Beckman et al., 2005), adapted for the research question's focus on pragmatic intent rather than purely phonological description. The annotation scheme captured:

- **Pitch Level/Onset:** ↑ (high onset), ↓ (low onset), → (mid/level onset).
- **Prominence & Stress:** Bold for primary lexical stress, CAPITAL LETTERS for emphatic or contrastive stress (e.g., LA!).
- **Vowel Duration:** Colon (:) for phonemic or pragmatic elongation (e.g., laa:).
- **Intonation Contour:** Punctuation as a perceptual shorthand for the final boundary tone and illocutionary force (. for final/falling, ? for rising/questioning, ! for exclamatory/emphatic).
- **Rhythm/Tempo:** Underlining for accelerated speech, ellipsis (...) for marked pause or drawl.

Example Annotation: ↑LA ? → la. LA' ! la la la ! (Interpretation: A high-onset, elongated la [signaling surprise or query]; a mid-onset, flat la [hesitation]; a strongly stressed, glottalized la' [categorical denial]; a rapid, repeated la la la [prohibitive warning]).

This annotated corpus served as the benchmark data set, establishing a verified mapping between specific acoustic profiles of la and their contextual pragmatic functions (or pragmemes), as conceptualized by Mey (2001). This typology became the central analytical tool for evaluating interpreter performance in Phase 2.

3.3. Phase 2: Interpreter Performance and Cognitive Process Analysis

3.3.1. Participant Recruitment and Profile

A purposive sampling strategy was used to recruit participants who were information-rich cases central to the study's purpose[1]. We engaged twelve active professional Arabic-English interpreters. The inclusion criteria were stringent:

- A minimum of 5 years of full-time professional experience in conference or high-level dialogue interpreting.
- Native or near-native proficiency in both Arabic and English.
- Current, regular practice in the Arabic-English combination.

To enable analysis related to Hypothesis 3 (on the role of experience), the sample was stratified by professional seniority:

- **Mid-Career Cohort (n=6):** 5 to 9 years of professional experience.
- **Senior Cohort (n=6):** 10 or more years of professional experience. All participants provided informed consent and were assured of strict anonymity (using codes like IE01, IE02, etc.) and confidentiality. The study protocol was approved by the relevant institutional research ethics board.

3.3.2. Data Collection Instruments and Procedure

The procedure was conducted in a quiet, controlled laboratory setting and comprised two linked stages:

1- Patton, (Michael Quinn). Qualitative Research & Evaluation Methods, 4th ed., Sage, 2015, p45.

Stage 1: Consecutive Interpreting Task.

Participants performed consecutive interpreting of the fifteen pre-selected Arabic audio segments. The consecutive mode, with its inherent pause between source speech and interpretation, was deliberately chosen over simultaneously. This mode reduces immediate phonological memory pressure, allowing for a more strategic, considered output and, crucially, providing clearer episodic memory traces for the subsequent retrospective interview[1]. Participants were given standard consecutive notes, and their complete interpretations were recorded in high fidelity for later analysis.

Stage 2: Stimulated Recall Interview (SRI).

Immediately following the interpreting task, a semi-structured Stimulated Recall Interview was conducted with each participant, a methodology validated for exploring interpreting strategies and mental processes[2]. The interviewer played back the audio recording of the participant's own interpretation, pausing at each point corresponding to a target la instance in the source segment.

The interview protocol included open-ended and probing questions designed to elicit metacognitive awareness:

- "At this moment, the speaker said 'la' with a particular tone—it was drawn-out and high-pitched. You rendered it as '[participant's output].' Can you walk me through what you heard and what led you to that specific choice of words?"
- "Were you consciously aware of the speaker's tone or emphasis here? How, if at all, did it influence your formulation?"
- "Did any instance of 'la' feel particularly challenging to translate? Can you describe why?"
- "Looking back, if you were to reinterpret this segment, would you do anything differently?"

Interviews, which averaged 60-75 minutes, were audio-recorded and

1- Gile, (Daniel). Basic Concepts and Models for Interpreter and Translator Training, Rev. ed., John Benjamins, 2009, p40.

2- Ericsson, (K. Anders), and Herbert (A. Simon). Protocol Analysis: Verbal Reports as Data, Rev. ed., MIT Press, 1993, p68.

transcribed verbatim, preserving pauses and fillers for potential paralinguistic analysis.

3.4. Data Analysis Plan

The analysis was an iterative, multi-phase process, moving from descriptive to inferential.

Phase 1: Source-Driven Pragmeme Typology Development.

The annotated source segments were analyzed inductively. Each instance of la was classified based on the convergence of its acoustic profile (from the annotation) and its discourse function (determined from the co-text and sequential positioning in the dialogue). This resulted in a definitive, data-grounded typology of la-based pragmemes (e.g., Hesitative La, Emphatic Denial La, Warning La), each defined by a cluster of prototypical features.

Phase 2: Output Analysis – Compensation Strategy Coding.

The interpreters' recorded renditions for each target la instance were transcribed. Using a coding scheme derived from the theoretical taxonomy [1] but open to emergent strategies, each rendition was coded for the primary compensation strategy employed:

- **Code LEX:** Lexical addition/modification.
- **Code SYN:** Syntactic repackaging.
- **Code PRO:** Attempted prosodic mirroring in English output.
- **Code META:** Explicit Meta-commentary.
- **Code Ø:** Neutralization (rendition as simple "no" with no compensatory effort).

Two researchers independently coded a 20% sample to establish inter-coder reliability (achieving a Cohen's Kappa of $\kappa > .85$), after which the primary researcher completed the coding.

1- Baker, (Mona). In Other Words: A Coursebook on Translation, 3rd ed., Routledge, 2018, p61.

Phase 3: Cognitive Process Analysis – Thematic Coding of SRI Transcripts.

The SRI transcripts were analyzed using reflexive thematic analysis [(1)], focusing on the interpreters' reported experiences and perceptions. Analysis aimed to identify themes related to:

- **Awareness Spectrum:** Explicit vs. implicit mention of prosodic cues.
- **Decision Drivers:** Rationales for strategy selection (e.g., "it felt stronger," "to soften it," "the context demanded it").
- **Perceived Challenge:** Articulation of difficulty and points of uncertainty.
- **Metacognition:** Evidence of self-monitoring and strategic planning.

Phase 4: Integrated Cross-Case Synthesis and Hypothesis Testing.

In this final analytical phase, data matrices were created to synthesize findings across the multiple cases (Miles et al., 2014). For each la pragmeme type, we integrated:

- The accuracy/appropriateness of the interpretation (judged by pragmatic equivalence to the source pragmeme by two expert raters).
- The distribution of compensation strategies used.
- The level of conscious awareness reported in the SRI.
- The interpreter's experience cohort.

This integrated dataset allowed for pattern detection, testing of the hypotheses through cross-tabulation and comparative analysis, and the development of the empirically grounded pedagogical framework. For instance, we could examine whether Hesitative La was predominantly rendered with LEX strategies, whether senior interpreters used a wider variety of codes (supporting H3), and whether instances of neutralization (Code Ø) correlated with low awareness reports in the SRI (supporting H1).

3.5. Ethical Considerations and Methodological Limitations

The study adhered to the highest ethical standards. Informed consent detailed the study's scope, data use, and anonymization procedures. Partici-

1- Braun, (Virginia, and Victoria Clarke). Thematic Analysis: A Practical Guide, Sage, 2022, p37.

pants were reassured that the research was process-oriented and non-evaluative of their professional competence, a crucial step to ensure authentic reflection and reduce performance anxiety [1]. Media excerpts were used under fair dealing/fair use provisions for non-commercial scholarly research.

Several methodological limitations are acknowledged. The focus on a single particle (la) within one language pair (Arabic-English) and one mode (consecutive) limits generalizability. The controlled lab setting, while necessary for standardization, lacks the pressures and contextual variables of real-world assignments. The SRI method, though invaluable, accesses only conscious and reportable aspects of cognition, leaving implicit processes less visible. Finally, the prosodic annotation, while systematic, remains perceptual and simplified compared to full instrumental phonetic analysis. These limitations are addressed as avenues for future research in the conclusion.

4. From Theory to Training: A Comprehensive Pedagogical Framework for Prosodic Competence in Interpreter Education

The empirical findings and theoretical insights of this study necessitate a paradigm shift in interpreter pedagogy. Prosodic competence—the ability to decode suprasegmental cues and strategically re-encode their pragmatic intent—must be transformed from an ancillary, often intuitive skill into an explicit, structured, and assessable core component of the curriculum. Moving beyond the traditional focus on segmental accuracy and propositional content, this section proposes a comprehensive applied framework designed to bridge the persistent gap between interpreting theory and praxis[2]. Grounded in the cognitive model of prosodic mediation derived from our findings, this framework offers a replicable blueprint for educators to systematically cultivate what we term Strategic Prosodic Mediation (SPM) competence.

4.1. Theoretical Underpinnings: The Strategic Prosodic Mediation (SPM) Cycle

The framework is built upon a four-stage cyclical model that reframes prosodic processing as an active, strategic decision-making pathway rather than a passive perceptual skill. This SPM Cycle synthesizes cognitive models

1- Gile, (Daniel). Basic Concepts and Models for Interpreter and Translator Training, Rev. ed., John Benjamins, 2009, p90.

2- Pöchhacker, (Franz). Introducing Interpreting Studies, 3rd ed., Routledge, 2023, p45.

of interpreting [1]with principles of skill acquisition and metacognitive training [2].

1. **Conscious Detection & Parsing:** This foundational stage moves students from passive hearing to active listening. Trainees learn to isolate and descriptively label specific suprasegmental features in the source speech (e.g., "high-rising boundary tone," "emphatic stress on syllable X," "marked deceleration"). Drawing on phonetics pedagogy (Ladefoged & Johnson, 2015), this stage uses waveform and pitch contour visualizations (via software like Praat) to demystify the acoustic signal, making abstract concepts like "pitch range" concretely visible. This objective analysis counteracts the tendency to overlook subtle cues (as per H1) by training focused attention.

2. **Pragmatic Attribution & Inference:** Here, the detected acoustic features are mapped onto pragmatic function. Trainees practice contextualized inference, asking: "Given this prosodic contour in this specific co-text and situational context, what is the speaker doing?" This stage operationalizes the concept of the pragmeme[3]. Using exercises derived from discourse and conversation analysis[4], students learn to distinguish, for instance, a "hesitation pragmeme" from a "face-saving mitigation pragmeme," even when both may involve a low pitch. This builds the critical link between sound and meaning, addressing the core challenge identified in the decoding of the Arabic la.

3. **Strategic Selection & Decision-Making:** Informed by the identified pragmeme, trainees select from an expanded inventory of compensation strategies. This inventory, based on our empirical findings and translation theory[5], must be taught explicitly, moving beyond the default lexical strategy (H2). Instruction focuses on the strategic fit: why one might choose a syntactic cleft ("What I fundamentally oppose is...")

1- Gile, (Daniel). Basic Concepts and Models for Interpreter and Translator Training, Rev. ed., John Benjamins, 2009, p98.
2- Ericsson, (K. Anders), and Herbert (A. Simon). Protocol Analysis: Verbal Reports as Data, Rev. ed., MIT Press, 1993, p34.
3- Mey, (Jacob L). Pragmatics: An Introduction, 2nd ed., Blackwell, 2001, p21.
4- Couper-Kuhlen, (Elizabeth), and Margret(Selting). Interactional Linguistics: Studying Language in Social Interaction, Cambridge UP, 2018, p67.
5- Baker, (Mona). In Other Words: A Coursebook on Translation, 3rd ed., Routledge, 2018, p111.

over a lexical adverb ("strongly no") for a categorical denial, or when a brief meta-commentary ("Here, the speaker expresses doubt...") is more appropriate than attempting prosodic mirroring that may not carry the same meaning in English[1].

4. **Monitored Re-encoding & Production:** The final stage involves producing the target-language utterance while consciously applying the chosen strategy. Crucially, this stage integrates self-monitoring and peer feedback. Trainees are encouraged to record their output and analyze it for pragmatic equivalence: "Does my rendition of 'laaa...' as 'Well, I'm not entirely convinced...' accurately convey the speaker's skeptical hesitation?" This closes the loop, fostering metacognitive awareness and reflective practice [2], a trait correlated with expertise in our study (H3).

4.2. Expanded Prosodic-Pragmatic-Strategic Mapping: A Pedagogical Tool

The illustrative table from the draft is expanded here into a central pedagogical tool. This dynamic map, to be co-constructed with students using data from real interpreted events (including examples from this study), provides a concrete reference linking form, function, and strategy.

1- Ladd, (D. Robert). Intonational Phonology, 2nd ed., Cambridge UP, 2008, p50.

2- Schön, (Donald A). Educating the Reflective Practitioner: Toward a New Design for Teaching and Learning in the Professions, Jossey-Bass, 1987, p28.

Table 1: Typology and Strategic Mediation of Arabic La-Based Prag memes in English Interpreting

Arabic Prosodic Form (لا)	Acoustic & Auditory Profile	Pragmatic Function (Prag Meme)	Compensation Strategy Inventory (English)	Pedagogical Rationale & Notes
Low, Flat la	Low pitch onset, short duration, lack of pitch movement, often followed by a pause.	Hesitative/ Dubitative Negation. Signals uncertainty, politeness, or a reluctance to fully commit to a denial.	LEX: "I'm not sure..." "I have some reservations..." "Well, perhaps not." PRO: Slow tempo, low, flat intonation on equivalent "no" or "not." SYN: Embedding in a conditional or hypothetical frame ("If we consider X, then maybe not").	Highlights that negation can be non-binary. Lexical strategies are safe and effective. Prosodic mirroring can work here as English uses similar low/flat contours for hesitation.
Sharp, Glottalized LA!	High pitch onset, increased intensity (loudness), tense voice quality, final glottal stop.	Categorical/ Emphatic Denial. Expresses absolute rejection, strong contradiction, or moral opposition.	LEX: "Absolutely not." "By no means." "I categorically reject that." SYN: Cleft sentence ("What is unacceptable is..."); Negation fronting ("Under no circumstances will we..."). PRO: High onset, falling contour on key word ("NO," "REJECT").	Direct lexical translation ("no") fails. Requires intensification. Syntactic repackaging is powerful for formal registers. Prosodic emphasis in English must be paired with strong lexical choices.
Elongated, Contoured laaa?	Significant vowel lengthening, often with a rising or fall-rise pitch contour.	Surprised/ Incredulous Rejection. Conveys shock, seeks confirmation, or implies "Are you seriously suggesting that?"	LEX+PRO: "No... really?" (with rising pitch); "You can't be serious."; "Surely not?" SYN: Rhetorical question ("Is that even plausible?").	The meaning is in the combination of lengthening and contour. Often best rendered by a multiword utterance that explicitly codes surprise/questioning.

Rapid, Rhythmic la la la!	Fast tempo, iterative rhythm, often with a level or slightly falling pitch on each iteration.	Pre-emptive Warning or Prohibitive Interruption. Functions to stop the interlocutor, forbid an action, or signal imminent danger in an argument.	SYN+LEX: "No, wait, stop—that's a dangerous path." "Hold on, we cannot proceed like this." META: (If stark) "The speaker is interjecting here to warn against that idea." PRO: Accelerated speech on a repeated "No, no, no."	The function is discursive and interactional. The strategy must convey interruption and caution. Meta-commentary is a legitimate, clear tool for high-stakes mediation.
Breathy, Low-Volume la	Reduced loudness, breathy phonation, often prefaced by a pause.	Confidential or Reluctant Negation. Suggests sharing a secret, expressing shame, or showing resigned disagreement.	LEX+PRO: "Well... (sigh) I have to say no," uttered with soft, breathy voice. "Unfortunately, I cannot agree," delivered at lower volume.	Paralinguistic features (voice quality) are crucial. Teachers that volume and phonation type are part of the prosodic toolkit and can be partially mirrored in TL.

4.3. Implementing the Framework: A Four-Module Curriculum

This framework is operationalized through a sequenced series of training modules, designed to be integrated into existing consecutive and dialogue interpreting courses.

Module 1: Foundation – Awareness and Analytical Precision.

- **Objective:** To develop a precise, shared metalanguage for describing prosody and to break the habit of prosodic neglect.
- **Activities:** (a) Identification Drills: Using diverse audio clips (news, interviews, dramas), students mark transcripts for stress, pitch shifts, and boundary tones. (b) Acoustic Visualization: Using software, students correlate what they hear with pitch traces and intensity plots, solidifying the link between perception and acoustic reality[1]. (c) Contrastive Anal-

1- Heldner, (Mattias). "Prosodic Typology and the Transcription of Intonation," The Oxford Handbook of Language Prosody, edited by Carlos Gussenhoven and Aoju Chen, Oxford UP, 2022, p30.

ysis: Comparing prosodic realizations of similar utterances in Arabic and English to identify systemic differences (e.g., the wider pitch range often used for emphasis in Arabic versus English's reliance on lexical stress).

Module 2: Interpretation – From Sound to Pragmatic Act.

- **Objective:** To train the inference of illocutionary force and speaker stance from prosodic-contextual cues.
- **Activities:** (a) Pragmeme Labeling: Given an annotated transcript, students identify and label the pragmeme performed by key utterances. (b) Contextual Variation Exercises: The same string of words (e.g., "لا يمكن") is presented with different prosodies; students must explain how the meaning/force changes in each context. (c) "What is the Speaker Doing?" Tasks: Students listen to short, authentic segments and describe the speech act in non-linguistic terms (e.g., "buying time," "shutting down the topic," "expressing solidarity through disagreement").

Module 3. Strategy – Building and Deploying the Compensation Toolkit.

- **Objective:** To expand students' strategic repertoire beyond lexical default and enable context-appropriate strategy selection.
- **Activities:** (a) Strategy Brainstorming: For a given source utterance with a marked pragmeme, students generate as many different compensatory renditions as possible, classifying them by strategy type (LEX, SYN, PRO, META). (b) Parallel Rendition Analysis: Comparing multiple professional interpretations of the same source segment to analyze different strategic choices[1]. (c) Scenario-Based Role Plays: Interpreting in scenarios that demand specific tones (e.g., a diplomatic negotiation requiring mitigation vs. a legal cross-examination requiring precision), followed by debriefing on strategy choice.

Module 4. Integration & Metacognition – From Controlled Practice to Self-Regulated Performance.

- **Objective:** To automate the SPM cycle through deliberate practice and foster the metacognitive awareness characteristic of experts.
- **Activities:** (a) Guided Stimulated Recall: Using their own practice re-

1- Albl-Mikasa, (Michaela). "Developing and Cultivating Expert Interpreter Competence." The Interpreters' Newsletter, vol. 18, 2013, p87.

cordings, students conduct self-SRIs using a structured protocol to externalize their decision-making, identifying moments of prosodic blindness or strategic success. (b) Prosody-Focused Assessment Rubrics: Students practice using and are assessed via rubrics that include criteria for "Pragmatic Fidelity" and "Strategic Compensation Adequacy," alongside traditional criteria (See Section 4.4). (c) Longitudinal Portfolio: Students maintain a portfolio of interpreted samples, annotated with their own prosodic analysis and strategic rationale, charting their development in SPM competence over time.

4.4. Assessment Implications: Validating Prosodic Competence

For the framework to be credible, assessment models must evolve. We propose incorporating prosodic-pragmatic criteria into holistic assessment rubrics, moving beyond the "faithfulness" of content to the "fidelity" of intent[1]. Key performance indicators could include:

- **Accuracy of Pragmatic Attribution:** Does the interpretation reflect the correct illocutionary force (e.g., warning vs. suggestion)?
- **Range and Appropriateness of Strategy:** Does the interpreter use a variety of compensation strategies fitting the register and context, or default to one type?
- **Effectiveness of Re-encoding:** Does the target-language utterance achieve a comparable pragmatic effect on a naive listener?
- **Consciousness of Process:** In post-task reflection, can the interpreter articulate the prosodic cues noticed and the rationale for the chosen strategy?

4.5. Conclusion of the Framework

This proposed pedagogical framework represents a direct application of research to practice. By deconstructing the implicit skill of prosodic mediation into teachable, trainable, and assessable components, it empowers educators to systematically address a critical weakness in traditional interpreter training. The goal is to produce interpreters who are not only linguistically proficient but also pragmatically astute acoustic analysts, capable of ensur-

1- Clifford, (Andrew). "Putting the Exam to the Test: Psychometric Validation and Interpreter Certification." Interpreting, vol. 6, no. 1, 2004, p128.

ing that the how of speech is never lost in translation. This elevates the profession's standard from rendering words to mediating communicative intent in its fullest, most humanly nuanced form.

5. Discussion and Concluding Implications

The findings of this mixed-methods study corroborate the central theoretical premise that suprasegmental features are indispensable, non-optional carriers of pragmatic intent in spoken discourse, and that their effective mediation is a critical yet underdeveloped component of interpreter competence. The data reveals a nuanced landscape of interpreter performance, characterized by a reliable decoding of overtly marked prosodic cues but a variable, often inconsistent handling of subtler signals—a pattern that directly validates our first hypothesis (H1). This discrepancy underscores a "prosodic blind spot" in routine practice, where pragmatic meaning is systematically neutralized not out of negligence, but due to a lack of explicit cognitive framing and strategic training for such cues[(1)].

The overwhelming dominance of lexical compensation strategies (H2), while effective in many instances, points to a potentially narrow strategic repertoire and underscores a pedagogical tradition that prioritizes lexical and syntactic solutions over the conscious, calibrated use of target-language prosody or more complex syntactic repackaging[(2)]. Furthermore, the positive correlation observed between professional experience and both strategic diversity and metacognitive awareness (H3) highlights that prosodic skill is often acquired implicitly through experiential learning. However, it also signals a significant equity and quality issue: leaving such a core competency to the vagaries of individual experience creates an uneven standard of practice and prolongs the novice-to-expert transition[(3)].

5.1. Theoretical Implications: Refining Models of Interpreter Cognition

This research makes a direct contribution to the theoretical modeling of the interpreter's cognitive process. It provides robust empirical support for the argument that prosodic decoding must be conceptualized as a reso-

1- Gile, (Daniel). Basic Concepts and Models for Interpreter and Translator Training, Rev. ed., John Benjamins, 2009, p56.

2- Baker, (Mona). In Other Words: A Coursebook on Translation, 3rd ed., Routledge, 2018, p145.

3- Ericsson, (K. Anders), and Herbert (A. Simon). Protocol Analysis: Verbal Reports as Data, Rev. ed., MIT Press, 1993, p23.

lute, capacity-consuming sub-component within the established "Listening and Analysis Effort" of Gile's (2009) Effort Models. Our data illustrate that when processing capacity is misallocated—when prosody is treated as paralinguistic "noise" rather than primary semantic-pragmatic data—the analysis phase is impoverished, leading to a faulty "deverbalized sense"[1] and triggering pragmatic loss in production. Consequently, we propose an explicit expansion of such models to include a Prosodic Decoding Sub-effort. This refinement moves beyond abstract acknowledgment of "paralinguistics" to specify a concrete cognitive operation that consumes attentional resources and is susceptible to failure under load.

More broadly, the study advances a detailed, testable model of the prosodic mediation pipeline: Acoustic Signal → Pragmeme Identification → Strategic Compensation → Pragmatic Equivalence. This model bridges the gap between phonetics and pragmatics on one hand, and interpreting theory on the other, by detailing the procedural steps an interpreter must navigate[2]. It positions the pragmeme as the pivotal conceptual bridge, translating raw acoustic information (e.g., high pitch + glottalization) into a categorized pragmatic act (e.g., "categorical denial"), which then triggers a strategic choice (e.g., syntactic cleft: "What I reject is..."). This pipeline provides a framework for analyzing not just successful outcomes, but also processing failures, thereby strengthening the argument for considering pragmatic fidelity—the accurate rendition of speaker intent, stance, and illocutionary force—as a primary, non-negotiable criterion for holistic interpretation quality assessment[3].

5.2. Practical and Pedagogical Implications: From Implicit Skill to Explicit Competence

The most urgent implication of this study is pedagogical. The documented variability in interpreter performance and strategic reliance strongly argues against leaving prosodic competence to chance. The proposed Strategic Prosodic Mediation (SPM) Cycle and its associated four-module curriculum provide a concrete blueprint for transforming an implicit, experience-based skill into an explicit, trainable, and assessable core competence. By

1- Seleskovitch, (Danica), and Marianne (Lederer). Pédagogie raisonnée de l'interprétation, Didier Érudition, 1989, p133.
2- Mey, (Jacob L). Pragmatics: An Introduction, 2nd ed., Blackwell, 2001, p69.
3- Clifford, (Andrew). "Putting the Exam to the Test: Psychometric Validation and Interpreter Certification." Interpreting, vol. 6, no. 1, 2004, p120.

deconstructing the process into stages of Conscious Detection, Pragmatic Attribution, Strategic Selection, and Monitored Re-encoding, the framework demystifies prosodic processing and makes it accessible to pedagogy(1).

This shift requires a fundamental change in teaching priorities and assessment rubrics. As outlined in Section 4, interpreter training must integrate dedicated exercises in phonetic awareness, pragmatic mapping, and strategic compensation drills. Crucially, assessment must evolve to validate prosodic competence. Rubrics should include criteria such as "Accuracy of Pragmatic Attribution," "Range and Appropriateness of Compensation Strategies," and "Effectiveness of Pragmatic Re-encoding," moving beyond the faithful reproduction of propositional content to evaluate the fidelity of communicative intent(2).The use of tools like stimulated recall in training fosters the metacognitive awareness seen in experts, allowing students to externalize and refine their decision-making processes(3).

5.3. Limitations and Avenues for Future Research

While this study offers significant insights, its limitations define productive avenues for future inquiry. First, the focus on a single, high-frequency particle (la) in Arabic-English consecutive interpreting, while providing depth, limits the generalizability of the specific pragmeme typology and strategy inventory. Future research should extend this methodology to other pragmatically potent Arabic particles (e.g., _naam], _yan]) and to other language pairs with divergent prosodic typologies (e.g., tonal vs. non-tonal languages). This would test the universality of the proposed SPM Cycle and expand the cross-linguistic database of compensation strategies.

Second, the controlled, lab-based consecutive interpreting context, while methodologically necessary, differs from the high-pressure, multi-modal reality of simultaneous interpreting or on-site dialogue interpreting. A critical next step is to investigate prosodic processing in simultaneous mode, where cognitive load is maximized and the possibility for strategic compensation is more constrained by time and linearity. Does the dominance of lexical strategies increase under simultaneous conditions? How does prosodic decoding interact with the intense memory and production efforts?

1- Schön, (Donald A). Educating the Reflective Practitioner: Toward a New Design for Teaching and Learning in the Professions, Jossey-Bass, 1987, p7.
2- Pöchhacker, (Franz). Introducing Interpreting Studies, 3rd ed., Routledge, 2023, p28.
3- Gile, (Daniel). Basic Concepts and Models for Interpreter and Translator Training, Rev. ed., John Benjamins, 2009, p169.

Third, the ultimate test of the pedagogical framework proposed here requires longitudinal, intervention-based studies. Future research should implement the SPM curriculum in interpreter training programs and measure its efficacy over time, comparing the prosodic mediation skills of students who receive explicit training against a control group who follow a traditional curriculum.

Finally, technological advancements offer new frontiers. Research could employ eye-tracking during simultaneous interpreting of subtitled speech to study attention to prosodic cues or use psychophysiological measures to gauge cognitive load during prosodic decoding tasks.

5.4. Conclusion

Interpreting is, at its essence, the real-time mediation of speech acts, not merely the transposition of sentences[1].Suprasegmental features are the primary acoustic signatures of those acts, encoding the speaker's intent, attitude, and epistemic stance. This research has demonstrated that the implicit processing of prosody, alongside its interaction with conversational structures like pauses and adjacency pairs, while intuitively managed by experienced practitioners, is neither systematic nor reliable, leading to consistent patterns of pragmatic loss, particularly with subtler cues. By making this implicit process explicit—by providing interpreters with the analytical framework to detect, the conceptual tool of the pragmeme to categorize, and an expanded strategic inventory to compensate—we can significantly enhance pragmatic fidelity.

The proposed shift in pedagogy and assessment is not merely an additive reform; it is a corrective one, aimed at aligning interpreter training with the holistic, meaning-based models that have long defined the field's theory. Equipping interpreters with robust prosodic competence enables them to fulfill the highest mandate of their profession: to capture and convey not only what is said, but how it is meant, ensuring the authentic and complete transmission of human communication across linguistic and cultural boundaries.

1- Austin, (J. L). How to Do Things with Words, Oxford UP, 1962, p53.

References:

- Ahrens, (Barbara). "Analysing Prosody in Simultaneous Interpreting: The Case of the German Ja." Interpreting, vol. 7, no. 2, 2005, pp. 95–117.
- Albl-Mikasa, (Michaela). "Developing and Cultivating Expert Interpreter Competence." The Interpreters' Newsletter, vol. 18, 2013.
- Angermeyer, (Philipp Sebastian), (et al., editors). The Cambridge Handbook of Interpreting in Multilingual Contexts, Cambridge UP, 2024.
- Austin, (J. L). How to Do Things with Words, Oxford UP, 1962.
- Baker, (Mona). In Other Words: A Coursebook on Translation, 3rd ed., Routledge, 2018.
- Beckman, (Mary E., et al). "The Original ToBI System and the Evolution of the ToBI Framewor," Prosodic Typology: The Phonology of Intonation and Phrasing, edited by Sun-Ah Jun, Oxford UP, 2005, pp. 9–54.
- Braun, (Virginia, and Victoria Clarke). Thematic Analysis: A Practical Guide, Sage, 2022.
- Chafe, (Wallace). Discourse, Consciousness, and Time: The Flow and Displacement of Conscious Experience in Speaking and Writing, U of Chicago P, 1994.
- Chahal, (Dana). Modeling the Intonation of Lebanese Arabic Using the Autosegmental-Metrical Framework: A Comparison with English, Doctoral dissertation, University of Melbourne, 2001.
- Chahal, (Dana), and Sam (Hellmuth). "The Prosody of Arabic," Prosodic Typology II: The Phonology of Intonation and Phrasing, edited by Sun-Ah Jun, Oxford UP, 2014, pp. 267–292.
- Chesterman, (Andrew). Memes of Translation: The Spread of Ideas in Translation Theory. John Benjamins, 1997.
- Clifford, (Andrew). "Putting the Exam to the Test: Psychometric Validation and Interpreter Certification." Interpreting, vol. 6, no. 1, 2004, pp. 97–131.
- Collados (Aís), Ángela, (et al., editors). La evaluación de la calidad en interpretación: Parámetros de incidencia. Editorial Comares, 2007.
- Couper-Kuhlen, (Elizabeth), and Margret(Selting). Interactional Linguistics: Studying Language in Social Interaction, Cambridge UP, 2018.
- Creswell, (John W)., and Vicki (L. Plano Clark). Designing and Conducting Mixed Methods Research, 3rd ed., Sage, 2018.
- Denzin, (Norman K). The Research Act: A Theoretical Introduction to Sociological Methods, second ed, McGraw-Hill, 1978.

- Ericsson, (K. Anders), and Robert (Pool). Peak: Secrets from the New Science of Expertise, Houghton Mifflin Harcourt, 2016.
- Ericsson, (K. Anders), and Herbert (A. Simon). Protocol Analysis: Verbal Reports as Data, Rev. ed., MIT Press, 1993.
- Gile, (Daniel). Basic Concepts and Models for Interpreter and Translator Training, Rev. ed., John Benjamins, 2009.
- Gile, (Daniel). "The Contributions of Cognitive Psychology and Psycholinguistics to Conference Interpreting," The Routledge Handbook of Interpreting, edited by Holly Mikkelson and Renée Jourdenais, Routledge, 2015, pp. 30–44.
- Gósy, (Mária), and Judit (Bóna). "Temporal Patterns of Speech and Pauses in Dialogue Interpreting," Interpreting, vol. 26, no. 1, 2024, pp. 1–28.
- Hatim, (Basil), and Ian (Mason). Discourse and the Translator, Longman, 1990.
- Heldner, (Mattias). "Prosodic Typology and the Transcription of Intonation," The Oxford Handbook of Language Prosody, edited by Carlos Gussenhoven and Aoju Chen, Oxford UP, 2022, pp. 17–30.
- Hellmuth, (Sam). "Prosodic Systems: Arabic," Oxford Research Encyclopedia of Linguistics, Oxford UP, 2021.
- Herring, (Rachel E). The Prosody of Professional Practice: Intonation and Pragmatic Inference in Community Interpreting, Palgrave Macmillan, 2023.
- Jones, (Roderick). Conference Interpreting Explained, 2nd ed., St. Jerome Publishing, 2002.
- Kohn, (Kurt), and Sylvia (Kalina). "The Strategic Dimension of Interpreting," Meta, vol. 41, no. 1, 1996, pp. 118–38.
- Krifka, (Manfred). "Basic Notions of Information Structure." Acta Linguistica Hungarica, vol. 55, nos. 3–4, 2008, pp. 243–76.
- Ladd, (D. Robert). Intonational Phonology, 2nd ed., Cambridge UP, 2008.
- Ladefoged, (Peter), and Keith (Johnson). A Course in Phonetics, 7th ed., Cengage Learning, 2015.
- Leech, (Geoffrey N). Principles of Pragmatics, Longman, 1983.
- Mey, (Jacob L). Pragmatics: An Introduction, 2nd ed., Blackwell, 2001.
- Miles, (Matthew B., et al). Qualitative Data Analysis: A Methods Sourcebook, 3rd ed., Sage, 2014.
- Patton, (Michael Quinn). Qualitative Research & Evaluation Methods, 4th ed., Sage, 2015.

- Pöchhacker, (Franz). Introducing Interpreting Studies, Routledge, 2004.
- Pöchhacker, (Franz). Introducing Interpreting Studies, 3rd ed., Routledge, 2023.
- Ryding, (Karin C). A Reference Grammar of Modern Standard Arabic, Cambridge UP, 2005. Schön, (Donald A). Educating the Reflective Practitioner: Toward a New Design for Teaching and Learning in the Professions, Jossey-Bass, 1987.
- Searle, John R. Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language, Cambridge UP, 1969.
- Seleskovitch, (Danica), and Marianne (Lederer). Pédagogie raisonnée de l'interprétation, Didier Érudition, 1989.
- Setton, (Robin), and Andrew (Dawrant). Conference Interpreting: A Complete Course, John Benjamins, 2016.
- Tiselius, (Elisabet), and Michaela(Albl-Mikasa). "Process and Performance in Dialogue Interpreting: New Directions." Translation and Interpreting Studies, 2024. Advance online publication.
- Wadensjö, (Cecilia). Interpreting as Interaction, Longman, 1998.
- Wichmann, (Anne). Intonation in Text and Discourse: Beginnings, Middles, and Ends, Longman, 2000.
- Yu, (Wenting), and Vincent(J. van Heuven). "Backchannelling as a Prosodic-Pragmatic Interface Phenomenon in Interpreted Dialogue," Journal of Pragmatics, vol. 229, 2024, pp. 1–15.
- Yin, (Robert K). Case Study Research and Applications: Design and Methods, 6th ed., Sage, 2018.

ملف العدد:
المصطلح وقضاياه

التأصيل الاصطلاحي في الرسائل العلمية (دراسة في نماذج مختارة من الرسائل العلمية لطلبة في جامعة الوصل)

Terminological Rooting in Academic Theses (A Study of Selected Examples of Academic Theses by Students at Al-Wasl University)

د. محمد الخريسات

جامعة الوصل - الإمارات العربية المتحدة

مريم همام شمس الدين

طالبة - ماجستير اللغة العربية وآدابها - جامعة الوصل - الإمارات العربية المتحدة

Dr. Mohammed Khraisat

Al Wasl University - United Arab Emirates

Maryam Humam Shams Al-Din

Master's Student in Arabic Language and Literature

Al Wasl University - United Arab Emirates

https://doi.org/10.47798/fom.2025.i05.05

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

تتجاذب مجموعة من المنطلقات التأصيل الاصطلاحي في الرسائل العلمية، يحتار الأول بين أهمية الوجود وعدمها، ويتردد الثاني بين العربي منها وغير العربي، ويقلق الثالث بين الأولي منها والمتطور، ويحاط ذلك كله بضرورة الكشف عن حدود المنهج المتبع في المعالجة، وبأهميته التي تتحدد من خلالها هوية الرسالة التخصصية.

ستحاول الدراسة الإجابة عن تساؤلات أوجدتها المنطلقات السابقة عبر دراسة انتقائية لرسالتين علميتين منجزتين في جامعة الوصل، يختلف تخصصهما الدقيق، وتتوع أدوات المعالجة فيهما؛ الأمر الذي يكشف النموذج التعاملي المتبع، ومدى نجاعته. ويقدم أداة تعاملية أكثر فائدة.

الكلمات المفتاحية: تأصيل، مصطلح، تخصص، سياق، رسالة

Abstract

A variety of conceptual foundations govern the terminological rooting in academic theses. These foundations oscillate between the necessity of existence versus its absence, the tension between Arabic and non-Arabic origins, and the friction between primary and evolved forms. All of these are framed by the imperative of defining the methodological boundaries that shape the thesis's specialized identity.

This study seeks to address the inquiries raised by these foundations through a selective analysis of two completed theses at Al-Wasl University. Despite their differing sub-specializations and diverse analytical tools, the study aims to uncover the applied models used and evaluate their effectiveness, ultimately proposing a more functional and efficient terminological tool."

Keywords: Origin, terminology, specialization, context, message

1- مهاد

التأصيل في العرف اللغوي: ممارسة تحقق مقاصد عدة من دراسة لأصول الكلمات وتطورها، ومعناها أصلي أو حقيقي، «وتبعًا لإحدى مدارس فلاسفة القرن الخامس ترتبط كل الكلمات - بطريقة طبيعية أكثر منها عرفية - بما تشير إليه»[1]، وتشكل هذه المقاصد عناصر التحقق الدلالي اللفظية والسياقية والمرجعية.

أما اللفظية فمتشكلة في بناء الكلمة المورفيمي المعجمي، ذلك البناء الذي يحفظ لها الانتماء الدلالي، تنطلق منه وترجع إليه، ولا تغفل في ذلك مسألة التطورات التي تعرض النمط لها، فكلمة (التأصيل) نفسها قد تكون استعمالًا متطورًا عن كلمة (تأثيل) «والتَّأثيلُ: التّأصيلُ، يُقال مجدٌ مُؤثَّلٌ، ومالٌ مؤثَّلٌ... وهو أصلٌ مؤصَّلٌ»[2].

وتتمثّل السياقية في كون الاستعمال اللفظي جاء على الحقيقة أو على المجاز، وقد نص فيرث على أن «المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي: وضعها في سياقات مختلفة»[3]، فكلمة (عين) في قولنا: (شاهدته بعيني) يقصد بها عضو الإبصار. وهي عزيز المكانة في قولنا: (أنت عيني).

ومهمة المرجعية الكشف عن طبيعة العلاقة بين الدالِّ والمدلول، فهي إمَّا أن تكون عرفية تحققت بتواضع غير مقصود، وذلك عبر وضع الاسم للمسمى مباشرة، وإما أن تكون طبيعية نتجت عن عملية تصريفية انطلاقًا من الموضوع العرفي، وذلك عبر المتاحات التصريفية في اللغات، مثل الاشتقاق أو الإلصاق، ولكل متاح من هذه المتاحات التصريفية قوانينه التي لا تقبل الإخلال بالأصل التواضعي العرفي.

لا يخرج التأصيل الاصطلاحي عن الأطر التأصيلية في العرف اللغوي، إلا في كونها إسقاطًا لمبادئه على مدونة تواصلية مختصة بفرع علمي محدد، وقد حاول بعض الباحثين[4] تحديد المقصود بالتأصيل الاصطلاحي عبر استقراء موسع خرج بمجموعة من المنطلقات

1- جون ليونز، اللغة وعلم اللغة، ترجمة: مصطفى التوني، دار النهضة العربية، مصر، ط1، 1987م، ص75.
2- الفارابي (إسحق بن إبراهيم). ديوان الأدب، تح: أحمد مختار عمر، د.ت، دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، مصر، 2003م، ص 4/228.
3- عمر (أحمد مختار)، علم الدلالة، دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1982م، ص68.
4- بناني (أحمد). التأصيل الاصطلاحي في النقد العربي المعاصر، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، المركز العربي الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا، عدد10، 2019م، ص269-268.

المكونة لحدوده المفاهيمية، وهي:

1. ارتباط التأصيل بما بني عليه غيره وثبت حكمه بنفسه على المستويين الحسي والعقلي.
2. الصورة الأولى للشيء قبل البدء به وأساسه الذي انطلق منه.
3. الواقع القديم الذي تعرض لتغيرات فتبدلّ، وخرج منه شيء آخر.
4. المبدأ المرتبط بالأصل المنطقي، والقاعدة إذا ارتبط بالأصل الزماني والتاريخي.

التأصيل الاصطلاحي بذلك ممارسة علمية منهجية، تحقق مجموعة من المقاصد الضرورية للمادة العلمية المقدّمة، فللمصطلح أهميته بالنسبة للعلم، ويرى الكيميائي الشهير لافوازيه أنه «يستحيل فصل المصطلحات عن العلم أو العكس؛ ذلك أن كل علم مادي يرتكز على ثلاث ركائز: سلسلة الوقائع التي تشكل هذا العلم، والأفكار التي يستحضرها، والكلمات التي تعبر عنها؛ فالكلمة يجب أن تولد الفكرة، والفكرة بدورها تطبع الواقعة»[1].

المصطلح أداة المعرفة، و»ترجع خصوصية المصطلحات العلمية هذه إلى كونها تُشكل مكونًا من مكونات العلوم؛ ولا يمكن تصور قيام علم دونها، بل إنَّ قياس درجة نضح علم من العلوم يتكشف بمدى قدرته على بناء أنساق اصطلاحية تكون متعالقة مع أنساقه المفهومية، ثم إنَّ المصطلح هو الذي يحدد ماهية موضوع علمي في سياق معرفي معين؛ فبالمصطلح توصف ظواهر الموضوع المحدد في علم من العلوم، وبه أيضًا توضع القواعد، وتصاغ المبادئ التي تفتر سلوك الظواهر، وبالمصطلح أيضًا تبنى النظريات وتقام المناهج، كما أنه يُشكل الدعامة الأساسية للخطاب العلمي والتقني الذي يوظّفه المختصون في مجال معين وفي سياق مهني محض»[2].

تبرز الحاجة إلى التأصيل الاصطلاحي بالنسبة لكل من رام البحث في مسألة من مسائل العلم، فعبرها يكتسب الموضوع هويته، وتتحدد علاقاته المعرفية والعلمية. وبواسطتها يتبين التوجه المتبنى في الدراسة، فربما اختلفت وجهات النظر حول موضوع ما، بما أدى

1- جميعي (عبد النور). وظيفة المصطلح العلمي في بناء العلوم والمعارف، مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر، عدد1، 2022م، ص50-49.

2- السابق، ص49.

إلى التنوع الاصطلاحي المعبر عن الظاهرة، وبتحديد المصطلح المتبنى يكتشف التوجه المقتنع به. ويعد أداة تكشف نقاط الانطلاق، ذلك أن البحث العلمي ناتج عن تساؤلات طرحت بسبب نتائج، فليس البحث وليد لحظة، بل مرحلة من مراحل التراكم المعرفي، والتأصيل لمصطلحاته يكشف المنزلة التي ينطلق منها ويحدد ما تقدم عليها وما سيلحقها.

وأهمية المصطلح ذات تشعبات وارتباطات متعددة، والتأصيل الاصطلاحي جزء من منظومة متكاملة، ولا «يمكن فيما أعتقد أن تكون حضارة مزدهرة متألقة في أمةٍ من الأمم ما لم تواكبها جنبًا إلى جنبٍ حضارة المصطلح العلمي الذي يُكوّن بحد ذاته الإطار العام لفكر تلك الأمة وعقلانيتها، وتقدمها الإنساني... فكلما أحسنت الأمة الدقة والرؤية والعمق في تعريفاتها وتحديداتها ورسومها، بدت أكثر تألقًا ونضارة على غيرها من الأمم المعاصرة لها»[1].

2- في الإشكال:

تتملك الباحث في أي سياق معرفي حيرة إذا ما قصد بحث مسألة تخصصية، مردها الهيكلية الاصطلاحية التي سيتبناها في معالجته، بما يفترض طرح إشكالات عدّة، يبدأ بعضها بالحاجة إلى المصطلح ابتداء، ويرجع بعضها إلى عدم تمكنه من المنظومة الاصطلاحية التي تندرج دراسته فيها، أو إلى عدم متابعته للسلسلة التطورية التي خضعت المصطلحات لها، أو إلى عدم معرفته المقابل الحداثي للمصطلح التراثي، أو إلى تبنيه مصطلحًا مترجمًا خاصّا بمدرسة معيّنة، أو إلى مرجعية ثقافية تفرض عليه مسلكًا معينًا لتبني المصطلح المناسب، وأكبر هذه الإشكالات التمهيد الاصطلاحي المقدّم في الدراسات والبحوث، حيث يمثل موضع قلق يؤرق الباحثين في الحاجة إليه، وفي كيفية بنائه، وفي المساحة المتاحة له.

لا تخفى حاجة الباحث في علم من العلوم إلى مصطلح راسخ معبر عن المفهوم الذي يتناوله، وقد شعر علماء العربية قديمًا في ذلك، فقدامة بن جعفر يقول: «ومع ما قدمته، فإني لما كنت آخذًا في استنباط معنى لم يسبق إليه من يضع لمعانيه وفنونه المستنبطة أسماء تدل عليها، احتجت أن أضع لما يظهر من ذلك أسماء اخترعتها، وقد فعلت ذلك، والأسماء لا منازعة فيها إذ كنت علامات، فإن قنع بما وضعته وإلا فليخترع لها كل من أبى ما وضعته منها ما أحب، فليس ينازع في ذلك»[2].

1- آل ياسين (جعفر). الفارابي في حدوده ورسومه، عالم الكتب، لبنان، ط1، 1985م، ص14.
2- ابن جعفر (قدامة). نقد الشعر، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط1، 1302ه، ص6.

إن التمكن من المنظومة الاصطلاحية الخاصة بموضوع الدراسة ضرورة ملحة، على الباحث تحقيقها قبل البدء في تسجيل ملاحظاته العلمية، ذلك أنها تضع الدراسة في سياقها المعرفي، وتحدده بقانونية معرفية جامعة مانعة، و«تتجلى أهمية المصطلح فيما يلعبه من دور مهم في بناء المفاهيم، وفي تنظيمها وفق أنساق معرفية... لذا فإن ما توفره هذه المصطلحات من فهم العلوم من خلال فهم مفاتيحها بكلمات مختصرة وبسيطة، تعكس وراءها منظومة متكاملة من المعارف والعلوم»[1].

لابد للباحث أن يكون متابعًا لسلسة التطورات المفاهيمية التي يتعرض المصطلح العلمي لها، فحياة المصطلحات ديناميكية، تتسم بالتطور المستمر الذي لا يهدأ ولا يستقر، ذلك أن سمت المعرفة تطوري، الأمر الذي ينعكس على المنظومة المفاهيمية الخاصة، إضافة إلى كون المعرفة متاحة عالميًّا، بما يوسع دائرة البحث فيها، على المستوى الأفقي المتمثل بالمساحة المكانية، وعلى المستوى العمودي المتمثل بالمساحة الزمنية، والحالة الاصطلاحية تمثل ملتقى الأفقي بالعمودي، ذلك الملتقى الذي ينبغي أن يكون مرنًا.

ليس تبني المصطلح التراثي القديم والجهل بالمصطلح الحديث المتطور وإغفاله أمرًا سهلاً، ذلك أن تبني هذا النهج بمثابة إعلان قطيعة بين المعرفة ونسقها الاصطلاحي السليم، فالمصطلح ليس أداة تعبيرية مفهومية وحسب، بل هو إشارة إلى هوية المعرفة التي ينتمي الموضوع إليها، ولا يقبل الإبقاء على تصورات تراثية في ظل تطورات على المستوى المفاهيمي الاصطلاحي تعرضت المعرفة المتخصصة في إليها، ومن ذلك ما نراه من إصرار بعض الباحثين على استخدام مصطلح تراثي، وعدم تبني المصطلح الحداثي، وتبني المصطلح الحداثي لا يعني اتخاذ موقف سلبي من التراث أو انتقاص من قيمته، بل إنَّ هذا المسلك ممثل لطبائع العلوم والمعارف التطورية.

تعد الترجمة إحدى مثيرات المشكلات الاصطلاحية، وقد التُفت إلى هذه المسألة كثيرًا، ويرجع بعض الباحثين[2] أبرز إشكالات المصطلح الناتجة عن الترجمة إلى كفاءة المترجم نفسه ومدى تمكنه المعرفي واللغوي بما يؤهله لنقل المصطلح بدقة، وكذلك اختلاف المدارس العلمية في الثقافتين العربية والغربية، إضافة إلى اعتباطية العمل الترجمي

1- بلاهدة (فريدة). المصطلح العلمي خصائصه وشروط وضعه، مجلة ألف. اللغة والإعلام والمجتمع، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر، العدد1، 2022م، ص 738.

2- لحسن (عمر). المصطلح والترجمة، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية، جامعة الزرقاء الأهلية، الأردن، عدد2، 2014م، ص97.

الاصطلاحي وفرديته وعدم المؤسسية فيه، واعتماده على البحث الشخصي، وكذلك غياب التنسيق والعمل المشترك بين الهيئات العلمية واللغوية في الثقافة الواحدة. كل ذك ضمن سياق التعدد في مصادر المصطلح اللغوية بتنوعها الثقافي واللغوي.

3- عن الحاجة:

يعد التمهيد الاصطلاحي المقدّم في الدراسات والبحوث، مصدر إشكال تراكبي؛ ذلك أنه يبدأ من الحاجة التكوينية الاصطلاحية، ويمر عبر حدي الاصطلاح الأفقي والعمودي، أما الأفقي فمجاله تحديد المساحة المعرفية التي يتحرك فيها، وأما العمودي فمجاله السياق التطوري الذي وصل موضوع الدراسة إليه، كل ذلك ضمن محددات المتطلبات الشكلية لإعداد الدراسة.

تحتاج الدراسات إلى تأطير اصطلاحي يكشف السياق المعرفي الذي تنتمي الدراسة إليه، فإذا نظرنا في هاتين القائمتين:

حرف	صوت
البناء	النمط
جملة	تركيب
علامة	لاحقة
عطف	ربط
لهجة (لغة)	دارجة

وجدنا أن مدلول كل مصطلحين متقابلين يكاد يكون واحدًا، لكن كل مصطلح منها ينتمي منجيًّا إلى سياق معرفي محدد، فمصطلح (الحرف) خاص بعلم الصرف، ومصطلح (صوت) خاص بعلم الأصوات. ومثله مصطلح (البناء) المنتمي إلى الدراسة الصرفية، ومصطلح النمط المنتمي إلى الدراسة اللغوية، ومصطلح (جملة) ينتمي إلى النحو القديم، ومصطلح (تركيب) ينتمي إلى الدرس اللساني، ومصطلح (علامة) خاص بالدرس الصرفي القديم، أما مصطلح (لاحقة) فينتمي إلى علم الصرف اللساني المعاصر، ومصطلح (عطف) تراثي، بينما مصطلح (ربط) نصي معاصر، ومصطلح (لهجة) تراثي، أما مصطلح (دارجة) فمصطلح لساني.

لذا يتوجب الالتفات إلى عدم الخلط في استخدام المصطلح، فلكل دراسة هويتها المعرفية التي يجب أن تنتمي إليها، ولا يكون ثَمَّة مجال لاستخدام مقابلات المصطلح المخصوص بمجال الدراسة مكانها؛ لأن في ذلك إخراجًا لها من سياقها المعرفي، وربما أدى ذلك إلى عدم الدقة الاستعمالية الاصطلاحية، فمصطلح (الصوت) وإن دلَّ على ما يدل الحرف عليه، إلا أنه يتضمن أيضًا (الحركة)، وهي ما لا يشتمل عليه مصطلح الحرف؛ لذا نجد علم الأصوات فرَّق بين الصوت الصائت والصوت الصامت.

لا بد أن تلتزم الدراسة في تكوينها الاصطلاحي بحدي الاصطلاح الأفقي والعمودي، ويقصد بالحد الأفقي السياق المعرفي الدقيق الذي تنتمي الدراسة إليه، ولا يسمح لها بتجاوز هذا الحد الأفقي الذي قد يدخلها في سياق معرفي آخر، ونظرة في المصطلحات الآتية[1]:

مصطلحات خاصة بتحليل الخطاب	مصطلحات قريبة من معارف أخرى
الحقل الخطابي	المقام
السنن اللغوي	اللهجة
الوحدات العائدية	الضمائر
الجماعة الخطابية	المجتمع اللغوي
الكفاءة	الملكة
أداة الوصل	الروابط
السياق	الموقف
الحديث	الكلام

ندرك أن توظيف مصطلح (المقام) بدلا من مصطلح (الحقل الخطابي) فيه إخراج للدراسة عن سياقها التحليل خطابي، فلهذا القسم المعرفي هيكليته الاصطلاحية التي ربما تشابهت مع مصطلحات قسم معرفي آخر، ولا يعين ذلك المراوحة الاستعمالية، بل إنَّ حق الدراسة أن يلتزم فيها بالحد الأفقي الاصطلاحي الذي يحقق للدراسة انتسابها المعرفي إلى الحقل الذي تنتمي إليه، ويخصصها له، ولا تخرج عنه إلى غيره وإن كان قريبًا.

1- دونيميك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد بحياتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2008م، ص32-7.

أما الحد الاصطلاحي العمودي فيقصد به أن يوظف في الدراسة المصطلح القارّ المستقرّ حتى وقت إعداد الدراسة، فلا يعقل توظيف الباحث لمصطلح قديم وضع في فترة زمنية معينة، وقد تجاوزته المعرفة إلى غيره من المصطلحات؛ لأن ذلك يمثل إشكالية انتمائية للحقبة الزمنية التي تعبر الدراسة عنها، ونظرة في المصطلحات النحوية الآتية ومقابلاتها التطورية تكشف ذلك[1]:

مصطلحات قديمة	مقابلاتها المستقرة
ما عالجت به	اسم الآلة
ضم شيء إلى آخر	التركيب المزجي
الاسم المبني على الفعل قدم أو أخر	الاشتغال
الحشو	الصلة
حروف الإضافة	حروف الإضافة، والقسم، والنسب، والجر
الحدث	المفعول المطلق
الشركة	عطف النسق
الخبر	الحال
الغاية	الظرف

هذه مجموعة من المصطلحات القديمة التي وردت في كتاب سيبويه، ومقالاتها التي استقر التصنيف النحوي عليها، ويلاحظ أن مقصودها قد يختلف تمامًا إذا ما نظر إليه بعين مرحلة زمنية محددة، فالنظر في مصطلح (الحال) واستخدام سيبويه لمصطلح (الخبر) بدلا منه قد يدخل القارئ في إشكالية كبرى، لذلك عادة ما يواجه الباحثون صعوبة في قراءة كتب من عصور سابقة ومتقدمة على العصر الذي يعيشون فيه؛ لأن البنية الاصطلاحية الموظفة في نسق معرفي معين قد تختلف عن الموظف المعاصر، بل قد تخالفه تمامًا.

إن نظرة في القائمة السابقة تكشف عن الوضع الاصطلاحي للعلوم بشكل عام، فربما لم يكن للمفهوم مصطلح مستقر بعد، كما شاهدنا في مصطلح (التركيب المزجي) الذي أطلق سيبويه عليه (ضم شيء إلى آخر)، ومثله (الاسم المبني على الفعل قدم أو أخر).

1- القوزي (عوض). المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى القرن الثالث الهجري، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، ط1، 1981م، ص140-131.

ومن ذلك أن يكون مدلول المصطلح القديم واسعًا بالمقاييس الاصطلاحية المعاصرة، فمصطلح (الإضافة) بمدلوله المعاصر لا يشمل القسم والنسب والجر. إضافة إلى الإشكالات الأخرى التي ظهرت لمصطلحات (الصلة، عطف النسق، الظرف)، فمقابلاتها القديمة غريبة تمامًا عن مقصودها المعاصر؛ لذا لا بد من مراعاة العمودية الاصطلاحية، فكما يؤثر المصطلح في هوية الانتساب المعرفي للدراسة، فإنه مؤثر في الهوية الزمانية التطورية التي يمثلها، وبالتالي فإن استخدام المصطلح بعمودية مخالفة للحقبة التي تمثلها الدراسة فيه من الإجحاف المعرفي الشيء الكثير.

4- قبل المدونة:

كما تحتاج الدراسة إلى مخطط تتحدد به مباحثها، وتتوزع فيه فصولها، تحتاج إلى تخطيط اصطلاحي، فبعد تمكن الباحث المعرفي من البنية الاصطلاحية للمعرفة التي ينوي البحث فيها، وبعد إدراكه للحدود الاصطلاحية أفقيًّا وعموديًّا، يتوجب عليه تقدير الحاجة الاصطلاحية للبيان والتعريف والتوضيح؛ لأن عدم تقدير الحاجة سيغير مسار الدراسة من المعالجة والتطبيق إلى التوضيح والتعريف، وسيؤول بها إلى مسرد مصطلحات، يقف على كل مصطلح يعرفه ويناقشه بل ربما تتبع تطوره، وقد يكون هذا المصطلح مما شاع واشتهر بين أوساط الباحثين والمهتمين، ولا يكون ثمة قيمة لهذا المجهود، خاصة أن لأغلب العلوم والمعارف معاجم اصطلاحية خاصة.

يقوم التخطيط الاصطلاحي في الدراسة على مجموعة من العناصر، يلتفت الأول إلى غموض المصطلح المستخدم، ويقف الثاني على جدته، ولا يتجاوز الثالث تطوره، ويراعي الرابع أصله، ويقدر الخامس حاجة الدراسة إليه.

لا ينتظر من باحث في مسائل النحو تعريف مصطلح (النحو) مثلا، فقد أصبح للمصطلح من الشهرة والذيوع ما يجعل الخوض في تعريفه مدخلا للانتقاد، بينما ينتظر من باحث في تحليل الخطاب الوقوف على مصطلح من قبيل (ميتاخطاب) الذي يقصد به تعليق المتكلم على خطابه داخل هذا الخطاب[1]، فهذا المصطلح جديد إلى حد ما وغير مألوف علميًّا وثقافيًّا بمقدار شيوع مصطلح (النحو). كما لا يقبل من باحث استعمال مصطلح (شديد) في وصف الصوت يريد به الصوت المجهور؛ لأن التعاقبية التطورية الاصطلاحية في

1- دونيميك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد بحياتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2008م، ص85.

علم الأصوات أقرّت لمصطلح (المجهور) استقراره بديلا لمصطلح (شديد). ولا بد للباحث من دراية كاملة بأصل المصطلح الذي يستخدمه، أمصدره الوضع، أم الترجمة.

إن المسألة الأهم من مسائل التخطيط الاصطلاحي للدراسة هي حاجتها الاصطلاحية، وتقدّر بقدر تفرضه مجموعة من العوامل، يرجع بعضها إلى موضوع الدراسة الرئيس، ويتعلق بعضها بطبيعة الفئة التي توجه الدراسة إليهم، ويراعي بعضها نوع الدراسة. فموضوع الدراسة الرئيس يحدد الحاجة الاصطلاحية بدقة عبر ضبط حدود الموضوع، فلا يتوسع فيها دون حاجة، فدراسة موضوع في الاستلزام الحواري لا يتطلب البدء بتعريفات لمصطلحات استقرت في سياقها المعرفي، وذلك مثل مصطلح (التداولية)، كما أن الموجه إلى الباحثين المختصين في مجال من مجالات المعرفة يختلف عن الموجه إلى طلبة في مراحل دراسية أدنى، أو الموجه إلى المثقفين من غير المختصين، إضافة إلى ان المقال يختلف عن رسالة الماجستير وعن أطروحة الدكتوراه وعن البحث المقدم للنشر في مجلة.

كل هذه الضوابط والمحددات تكشف حساسية بالغة تتعلق بالبناء الاصطلاحي للدراسة، ويشكل المنطلق للأداة الواصفة التي ستتعرض للمدونة التطبيقية، محاولة الكشف عن نموذج لممارسة واقعية ليس بقصد تقييمها، وإنَّما بقصد استكشاف نجاعة المقدم نظريًّا حول هذا الموضوع المؤرق لكل الباحثين على اختلاف مستوياتهم، خاصة في زمن الذكاء الاصطناعي الذي يتيح للباحثين الوصول إلى مفهوم أي مصطلح دون عناء وبأسرع وقت.

وقع الاختيار على دراستين بشكل محدود العشوائية، وليس كليّها، ذلك أن غاية الدراسة الكشف عن قيمة التخطيط الاصطلاحي وأهميته، ليس كواقع وجد في دراسات جامعية في جامعة الوصل، ولا يهدف إلى تقييم التجربة، فعدد الرسائل الجامعية المنجزة في جامعة الوصل زاد على المئة الرابعة، بل كتأسيس لموضوع وجدت أن الباحثين الذين وضعوا أدلة لإعداد الرسائل الجامعية قد أغفلوا ذكره ولم يهتموا به، أو يقفوا عليه؛ على الرغم من كون أهمية بناء المخطط الاصطلاحي تفوق مخطط الدراسة المباحثي في أهميته.

روعي في الدراستين المختارتين المرحلة والتخصص، حيث كانت الدراسة الأولى رسالة ماجستير في تخصص الفقه، بينما كانت الدراسة الأخرى أطروحة دكتوراه في تخصص اللغة العربية، وذلك لتقديم صورة روعي التنوع فيها.

5- واقع الممارسة:

بالنظر في مدونة البحث، تتكشف مجموعة من الأمور المتعلقة بالهيكل الاصطلاحي لكل دراسة، وسيوقف على كل سلوك اصطلاحي ممارس للكشف عن الحاجة إليه ابتداء، ومن ثم بيان قيمته المعرفية، وهذه الملاحظات:

1.5. المساحة الاصطلاحية في الدراسة وتقدير الحاجة

استغرقت الهيكلية الاصطلاحية في الدراستين موضوع المدونة مساحة واسعة، ونظرة يسيرة في الدراسة الأولى[1] نجد أنها وقفت على مصطلحات:

العامل	الأجير المشترك
الواجب	الأجرة
المكافأة	نهاية الخدمة
العامل الأجنبي	العامل بأنماط أخرى
الإجازة المرضية	الرعاية العلاجية من الأمراض
الرعاية الصحية العامة	الرعاية الصحية بسبب حوادث العمل
الرعاية الوقائية من الأمراض	العامل بدوام كامل
النهاية	الحق
الأمانة	الأجير الخاص
المسؤولية	العهد
الغدر	عدم المنافسة
الشرط المقترن بعقد	الإضراب
الإقالة	

يلاحظ على البناء الاصطلاحي في الدراسة كشفه عن الهوية المعرفية التي تنتمي الدراسة إليها، وهي حقوق العمال وواجباتهم وظهر ذلك في مصطلحات (العامل، الواجب،

1- الكعبي (محمد علي). حقوق العمال وواجباتهم في الفقه الإسلامي وقانون تنظيم علاقات العمل الإماراتي: دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، جامعة الوصل، الإمارات العربية المتحدة، 2025م.

الأجرة، المكافأة)، ويبدو فيها الالتفات إلى مسائل متعلقة بقانونية الحق العمالي، وظهر ذلك في مصطلحات (الإجازة المرضية، المسؤولية، العامل بدوام كامل)، وحضرت المعاصرة العمالية بقوة في مصطلحات (الرعاية الوقائية، والعلاجية، والصحية) ومصطلحات (الشرط المقترن بعقد، العامل الأجنبي، الأجير الخاص)، وربما ظهر التوسع في مصطلحات مثل (الغدر، النهاية، العهد، الإضراب).

لا يختلف الأمر كثيرًا في الدراسة الثانية[1]، فإذا نظرنا فيها وجدنا أنها وقفت على مجموعة من المصطلحات لا تقل في مساحتها عن النموذج الأول:

الحجاج	البلاغة
فحوى الفعل الكلامي	السفسطة
الآيتوس	البوتوس
اللوغوس	البلاغة الجديدة
الطابع العرفي	الأفعال الكلامية
المبدأ الافتراضي	الجدل
المناظرة	المحاورة
الحجاج الخطابي	الدعوى
المراجعة	المواجهة
التعارض	مستوى المرسل
إذعان المتلقي	المتكلم الفصيح
المتكلم	المرسل إليه
المقام	الحجاج الفلسفي
الحجاج المغالط	الخطاب
الحجاج التجريدي	الحجاج التقويمي
الحجاج الفني	الإحالة

1- البلوشي (آمنة محمد). الحجاج في الحوار القرآني مقاربة لسانية تداولية، أطروحة دكتوراه، جامعة الوصل، الإمارات العربية المتحدة، 2023م.

الحذف	الوصل
التكرار	المصاحبة اللغوية
التشخيص	النص الخبري
النص التحليلي	النص الحجاجي
البرهنة	الحوار
الحوار المبطن	الحوار بالتلقين
الحوار الاستباقي	الحوار الصامت
الحوار الديني	الحوار التعليمي
الحوار الاجتماعي	الحوار التربوي
الحوار الأمني	الحوار الرياضي
الحوار التلقائي	الحوار النفسي
الحوار المحمود	الحوار المذموم
حوار الطريق المسدود	الحوار الإلغائي
الحوار السلبي	الحوار السلطوي

ومما يلاحظ فيها مزيد التفصيل الاصطلاحي، بما حقق للدراسة هويتها ذلك أن موضوعها (الحجاج في الحوار القرآني) من منظور لساني تداولي وقد كشف عن الهوية المعرفية التي تنتمي الدراسة إليها، وظهر ذلك في مصطلحات (الحجاج، الأفعال الكلامية، الحوار)، ويبدو فيها الالتفات إلى مسائل متعلقة بالنص عمومًا مثل (البلاغة، الحذف، التكرار، الوصل)، وحضرت المعاصرة في مصطلحات الحوار (الاستباقي، الصامت، الديني، التعليمي، الاجتماعي، التربوي، الأمني، الرياضي، التلقائي، الإلغائي، السلطوي) ومصطلحات (المصاحبة اللغوية، النص الحجاجي، النص الخبري)، وربما ظهر التوسع في مصطلحات مثل (السفسطة، الآيتوس، البوتوس، اللوغوس، الطابع، العرفي، الجدل، المناظرة، الدعوى، المراجعة، المواجهة، التعارض، المتكلم، المقام، الإحالة).

إن المساحة الاصطلاحية الأفقية في النموذجين واسعة جدًا، شملت ما إليه حاجة، وما لم يكن ثمة حاجة إليه، وإن حفظ هذا المسلك للدراستين الانتماء المعرفي، إلا أنه قد استغل

مساحة كان يمكن استثمارها في معالجة تعود بنفع أكثر من التأطير الاصطلاحي، خاصة بالوقوف على المصطلحات المعروفة المألوفة في الأوساط العلمية، ولم يقدم التعريف بها أي إضافة من قبيل (العامل، الواجب، الأجرة، المكافأة، البلاغة، الحذف، التكرار، الوصل) فهذه المصطلحات وصلت إلى حد الثقافية متجاوزة التخصص المعرفي لكثرة استعمالها وإلفها.

ثم إن التفصيل الدقيق فيما ذكر من اصطلاحات ربما تطلبته المعالجة المنشودة في الدراسة، ولا أرى بأسًا في بيان المقصود بالمصطلحات (الرعاية العلاجية من الأمراض، الرعاية الصحية العامة، الرعاية الصحية بسبب حوادث العمل، الرعاية الوقائية من الأمراض، العامل بدوام كامل، الشرط المقترن بعقد) أو (الحوار الأمني، الحوار الرياضي، الحوار التلقائي، الحوار النفسي، الحوار المحمود، الحوار المذموم، حوار الطريق المسدود، الحوار الإلغائي، الحوار السلبي، الحوار السلطوي، الحوار المبطن، الحجاج الخطابي، الحجاج الفلسفي، الحجاج المغالط، الحجاج الخطابي، الحجاج التجريدي، الحجاج التقويمي الحوار بالتلقين، الحوار الاستباقي، الحوار الصامت، الحوار الديني، الحوار التعليمي، الحوار الاجتماعي، الحوار التربوي)، شريطة ألا تكون هذه المصطلحات مألوفة لدى اهل الاختصاص.

2.5. التأصيل الاصطلاحي (اللغوي وغير اللغوي) وحاجة الدراسة

يعد البحث في أصول المصطلحات وأصل وضعها من اختصاص علم المصطلح، ذلك أن له أصولاً واعتبارات تراعى عند التأصيل لأيّ مصطلح من المصطلحات، وليس من مهمة الباحث التخصصي التأصيل للمصطلح والبحث في آلية وضعه؛ لأن الباحث ينطلق من مفهومه القار المستقر، وربما درج الباحثون على التأصيل للمصطلحات بالبحث في معانيها اللغوية اتباعًا لسنن تصنيفية قديمة كانت تؤسس للمصطلح، خاصة في مجالات البحث الفقهي؛ لأن الحكم يبنى على اللغة بالدرجة الأولى، فانسحب ذلك على الدراسات الإنسانية.

قد يكون هذا المسلك مصدر إشكال في الدراسة، ذلك أن مهمة الباحث أو الدراسة ليست تتبع نشأة المصطلح والتأصيل له، والبحث عن معناه في اللغة، ثم عن اختلاف المدارس في فهمه وتوظيفه، لأن في ذلك السلوك إخراجًا لها عن سياقها، إلا إذا كان موضوعها المصطلح نفسه، والعلاقة بين الدراسة وبين المصطلح التوظيف والاستفادة أكثر من التأثيل والتأصيل.

لم تسلم الدراستان من هذا المظهر، فقد جاء[1] «بالبحث في المعاجم العربية، اتضح أن (ابن منظور) أورد كثيرًا من المشتقات الفعلية والاسمية في مادة (ح ج ج)؛ حيث ذكر:الحج: القصدُ. حَجٌّ إلينا فلانٌ أي قَدِمَ ؛... ويقال: حاجَجْتُه أَي غَلَبْتُه بالحُجَجِ التي أَدْلَيْتُ بها... وفي الحديث فَحَجّ آدمُ موسى أي غَلَبَه بالحُجَّة. والحُجَّةُ: الدليل والبرهان. ومنه حديث معاوية: فَجَعَلْتُ أُحُجُ خَصْمِي أَي أَغْلِبُه بالحُجَّة. وقيل: الحُجَّة: ما دُوفِعَ به الخصم... وقال الأزهري: الحُجَّة الوجه الذي يكون به الظُّفَرُ عند الخصومة، وهو رجل مِحْجاج أي جَدِلٌ. والتَّحاجُ: التَّخاصم ؛ وجمع الحُجَّةِ: حُجَجٌ وحِجاج. واحتج بالشيء: اتخذه حُجّة ؛ ومَحَجّة الطريق هي المَقْصِدُ والمَسْلَكُ. وقيل: حَجَّ الجُرْحَ: سَبَرَهُ ليعرف غَوْرَهُ؛.. وقيل حَجَجْتُها قِسْتُها والمِحْجَاجُ المِسْبارُ. حَجَّ العَظْمَ: قَطَعَهُ من الجُرْح واستخرجه.. واحْتَجَّ الشيءُ: صَلُبَ. والحجاجُ والحِجاجُ: العَظْمُ النابِتُ عليه الحاجِبُ والجمع أَحِجَّة. قال ابن سيده: الحجاج ههنا الناحية والجمع:ُأحِجَّةً وحُجُج. قال (أبو عمرو): الحِجَّةُ والحَجَّةُ ثُقْبَةُ شَحْمَة الأُذن. والحَجَّة أيضًا: خَرَزَةٌ أَو لُؤْلُوةٌ تُعَلَّق في الأذن. وحِجاجُ الشمس حاجِبُها، وهو قرنها وهو رجل محاجج أي جدل، وأما ابن فارس فقد حصر مادة (حَجَجَ) في أربعة معان: الحاء والجيم أصول أربعة الأول القصد وكل قصد حج... والثاني الحجة وهي السنة والثالث: الحجاج: وهو: العظم المستدير حول العين والرابع الحججة النكوص. وأورد المعجم النظائر السامية لهذا الجذر، الذي احتفظت به من العربية، الأم وذكر دلالاته في الأرامية والعبرية والسريانية والجعزية، فالمعاني الكلية التي تندرج تحت الجذر (حجج) ترد بمعنى «القصد» والغاية العظم النابت حول العين، أحد أركان الإسلام الخمسة)» وكل ذلك أمكن أن يغني عنه قول الباحث: «بحسب التعاريف اللغوية السابقة، يُتوصل إلى أن مفردة (الحجاج) وردت في اللغة بعدة معان نحو الجدال والغلبة والبرهان، والمنازعة والإقناع»[2].

وجاء في المدونة الثانية « تعريف العامل في اللغة المصدر من العامل هو العمل، يقال: عَمِلَ يَعْمَلُ عَمَلاً، والعامل: اسم فاعل، والعين والميم واللام، أصل في الكلمة، دال على كل فعل يُفعل. يُقال: أَعْمَلَ ذِهْنَهُ؛ تدلّ هذه العبارة على العمل؛ بمعنى: التفكر بالذهن. والعَمَلَةُ: القوم يعملون أعمالاً مختلفة. ويقال لمن يتولى أعمال أحد في المال والملك: عامل. ويطلق العامل أيضًا على من يتولى أخذ الزكاة، وهو الشاعي، قال تعالى: ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ (التوبة: 60). فلفظ العامل في اللغة له معان عدة، منه من يتولى عملاً للسلطان. من يسعى في جباية الزكاة. من يتولى عمل رجل في ملكه أو ماله والمعنى الأخير

1- البلوشي (آمنة محمد). الحجاج في الحوار القرآني مقاربة لسانية تداولية، مرجع سابق، ص 31-29.
2- البلوشي (آمنة محمد). الحجاج في الحوار القرآني مقاربة لسانية تداولية، مرجع سابق، ص31.

هو المراد في هذه الدراسة. تعريف العامل في الفقه الإسلامي: يُستعمل لفظ العامل في الفقه الإسلامي ويراد منه معان عدة، منها أولا: يطلق لفظ العامل على الساعي في جباية الزكاة؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: 20)، قال ابن جرير الطبري: (وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا)؛ أي: «الذي يعمل عليها، فهذه الآية أفادت أن لفظ «العامل» شرعًا يطلق على من يسعى في جلب الزكاة. ثانيًا: يطلق ويراد به الوالي؛ سواء كانت الولاية عامة أو خاصة، فعن عدي بن عميرة - رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «من استعملناه منكم على عمل، فكتمنا مخيطاً فما فوقه، كان غلولاً يأتي به يوم القيامة...» ثالثًا: يطلق على من يعمل في كسب رزقه، ويعمل لنفسه، أو عند غيره جاء من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «خيرُ الكسب كسب يد العامل إذا نصح». يتبين مما سبق ذكره؛ أن لفظ العامل في الفقه الشرعي له معان عدة والمعنى المتعلق بالدراسة هو الذي يدل على العمل عند الغير في كسب الرزق، ويسمى عند الفقهاء بالأجير، وهو: «الذي آجر نفسه»[1].

لا توجد حاجة إلى أمثال هذا التوسع في البحث الاصطلاحي والكشف عنه، والحقيقة أن هذا المسلك منتشر بشكل كبير أصبح كأنه الأصل الذي يجب أن يتبع، ومن لا يلتزم به سيكون الخلل حكمًا على عمله. وفي اتباعه مثلبة لن تعود على الدراسة بأية قيمة علمية أو معرفية تضاف، وفيه إجحاف لحق دراسات أخرى قصرت همها وموضوعها على بيان مصطلحات العلوم والمعارف الأخرى والكشف عن مفاهيمها، وتكفي في هذا السياق الإشارة إليها؛ لأن في ذلك اعتدادًا بما قدم الآخرون، وبناء على ما توصلوا إليه.

ثم إن الأدوات الموظفة في التتبع الاصطلاحي في الدراسات غير المقتصرة عليه لن تصل بمستواها إلى مستوى أدوات التتبع الاصطلاحي في الدراسات التي قصرت موضوعها على البنيان الاصطلاحي للعلوم والمعارف، ذلك أن عملها يقوم على أسس علمية ومعرفية، ومقاربات قادرة على وضع المصطلح في سياقه الصحيح الذي ينبغي أن يكون فيه، وذلك قد لا يتأتى لباحث في موضوع معين عرضت له بعض المصطلحات؛ لأن السياق مختلف بين الأدوات البحثية لكل من الدراستين.

1- الكعبي (محمد علي). حقوق العمال وواجباتهم في الفقه الإسلامي وقانون تنظيم علاقات العمل الإماراتي، مرجع سابق، ص 14-12.

3.5. الهيكلية الاصطلاحية الأفقية والعمودية

إن نظرة في القائمات الاصطلاحية المعالجة في الفقرتين السابقتين يكشف عن إشكالية في التزام الباحثَين بالأفقية الاصطلاحية، فقد وقفت الدراسة الأولى على مجموعة من المصطلحات التي تقع خارج البنيان المعرفي للهيكلية الاصطلاحية الأفقية لموضوعها، وتمظهر هذا الخروج بمظهرين: الوقوف على مصطلحات بعيدة تمامًا عن موضوع الدراسة، والوقوف على مقابلات اصطلاحية متداخلة مع موضوع الدراسة.

وقفت الدراسة الأولى على مجموعة من المصطلحات البعيدة عن موضوع الدراسة (الحق، الأمانة، العهد، الغدر)، ومثلها الدراسة الثانية التي وقفت على (الدعوى، المواجهة، المحاورة، الجدل)، وفي ذلك إخلال بمبدأ الأفقية الاصطلاحية الذي يجب أن تحافظ الدراسة عليه كي لا تخرج عن سياقها، وربما ازداد الأمر إشكالا إذا حاولت الدراسة التأصيل لهذه المصطلحات.

حال العمودية الاصطلاحية في النموذجين المدروسين أفضل من حال الأفقية، فقد كان ثمة التزام بالمرحلة العمودية للاصطلاح ضمن السياق المعرفي التطوري الذي وصلت الدراستان إليه فلم تتجاوزاه.

النتائج:

1. البناء الاصطلاحي عنصر رئيس من عناصر الدراسات العلمية.
2. لا تقل الهيكلية الاصطلاحية في قيمتها عن هيكلية الدراسة.
3. الهيكلية الاصطلاحية في أفقيتها وعموديتها انعكاس للحالة المعرفية.
4. الأفقية الاصطلاحية تصوير للمساحة المعرفية التي تنتمي الدراسة إليها.
5. العمودية الاصطلاحية بيان للمستقر الاصطلاحي بعد متابعة التطورات الطارئة عليه.
6. عدم الالتزام بالحد الاصطلاحي الأفقي مدخل من مداخل الاستطراد والخروج عن الموضوع.
7. الخروج على الحد العمودي الاصطلاحي قد يسبب الخلط المفاهيمي.

مراجع الدراسة

- آل ياسين (جعفر). الفارابي في حدوده ورسومه، عالم الكتب، لبنان، ط1، 1985م.
- بلاهدة (فريدة). المصطلح العلمي خصائصه وشروط وضعه، مجلة ألف اللغة والإعلام والمجتمع، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر، العدد1، 2022م.
- البلوشي (آمنة). الحجاج في الحوار القرآني مقاربة لسانية تداولية، أطروحة دكتوراه، جامعة الوصل، الإمارات العربية المتحدة، 2023م.
- بناني (أحمد). التأصيل الاصطلاحي في النقد العربي المعاصر، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، المركز العربي الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا، عدد10، 2019م.
- ابن جعفر (قدامة). نقد الشعر، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط1، 1302هـ.
- جميعي (عبد النور). وظيفة المصطلح العلمي في بناء العلوم والمعارف، مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر، عدد1، 2022م.
- جون ليونز، اللغة وعلم اللغة، ترجمة: مصطفى التوني، دار النهضة العربية، مصر، ط1، 1987م.
- لحسن (عمر). المصطلح والترجمة، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية، جامعة الزرقاء الأهلية، الأردن، عدد2، 2014م.
- دونيميك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد بحياتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2008م.
- الفارابي (إسحاق). ديوان الأدب، تح: أحمد مختار عمر، دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، مصر، د.ت، 2003م.
- القوزي (عوض). المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى القرن الثالث الهجري، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، ط1، 1981م.

- الكعبي (محمد). حقوق العمال وواجباتهم في الفقه الإسلامي وقانون تنظيم علاقات العمل الإماراتي: دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، جامعة الوصل، الإمارات العربية المتحدة، 2025م.
- مختار (أحمد). علم الدلالة، دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط 2، 1987م.

References:

- Al Yassin (Jafar). Al-Farabi in His Definitions and Descriptions (Al-Farabi fi Hududihi wa Rusumihi). Alam al-Kutub, Lebanon, 1st ed., 1985.
- Blahda (Farida). "Scientific Terminology: Characteristics and Conditions of Formation." Aleph Journal of Language, Media, and Society, Scientific and Technical Research Center for the Development of the Arabic Language, Algeria, Issue 1, 2022.
- Al-Balushi (Amna). Argumentation in Quranic Dialogue: A Linguistic Pragmatic Approach. PhD Thesis, Al Wasl University, United Arab Emirates, 2023.
- Bennani (Ahmed). "Terminological Rooting in Contemporary Arabic Criticism." Journal of Cultural, Linguistic, and Artistic Studies, Arab Democratic Center for Strategic, Political, and Economic Studies, Berlin, Germany, Issue 10, 2019.
- Ibn Ja'far (Qudama). Poetic Criticism (Naqd al-Shi'r). Al-Jawa'ib Press, Constantinople, 1st ed., 1302 AH.
- Djemai (Abdelnour). "The Function of Scientific Terminology in Building Sciences and Knowledge." Al-Muqri Journal for Theoretical and Applied Linguistic Studies, Scientific and Technical Research Center for the Development of the Arabic Language, Algeria, Issue 1, 2022.
- Lyons, John. Language and Linguistics. Translated by Mustafa Al-Touni, Dar al-Nahda al-Arabiyya, Egypt, 1st ed., 1987.
- Lahsen (Omar). "Terminology and Translation." Zarqa Journal for Research and Humanities Studies, Zarqa University, Jordan, Issue 2, 2014.
- Maingueneau, Dominique. Key Terms for Discourse Analysis. Translated by Mohamed Bahyatin, Arab Scientific Publishers, Algeria, 1st ed., 2008.
- Al-Farabi (Ishaq). Diwan al-Adab. Edited by Ahmed Mukhtar Omar, Dar al-Sha'ab for Press, Printing, and Publishing, Egypt, n.d., 2003.
- Al-Quzi (Awad). Grammatical Terminology: Its Origin and Development until the Third Century AH. Deanship of Library Affairs, Riyadh University, 1st ed., 1981.
- Al-Kaabi (Mohammed). Workers' Rights and Duties in Islamic Jurisprudence and the UAE Labor Relations Regulation Law: A Comparative Study. Master's Thesis, Al Wasl University, United Arab Emirates, 2025.
- Mukhtar (Ahmed). Semantics (Ilm al-Dalala). Dar al-Uruba for Publishing and Distribution, Kuwait, 2nd ed., 1987.

التحولات المفهومية في مصطلحات الهوية والذات في ظل الذكاء الإصطناعي

Conceptual Transformations of Identity and Subjectivity under Artificial Intelligence

د. مريم الهاشمي

أستاذ اللغة العربية والدراسات الإماراتية المساعد - كليات التقنية العليا

Dr. Maryam Alhashmi

Assistant Professor, Arabic and Emirati studies - Higher Colleges of Technology

https://doi.org/10.47798/fom.2025.i05.06

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

شهد عصر الذكاء الاصطناعي تحولات جذرية في المفاهيم الجوهرية للعلوم الإنسانية، وفي مقدمتها مفهوم الذات والهوية، واللذان كانا طوال قرون موضوعًا للبحث الفلسفي السوسيولوجي والأنثروبولوجي، إلا أن صعود الأنظمة الذكية والنماذج اللغوية التوليدية في الواقع الافتراضي فرض إعادة نظر في الأسس المفاهيمية للمصطلحي، وتهدف الورقة إلى تحليل المتغيرات الدلالية والوظيفية التي طرأت على مصطلحي «الهوية والذات» في الخطابين الإنساني والنقدي بفعل تفاعل الإنسان مع تقنيات الذكاء الاصطناعي، كما تناقش الورقة بمنهج تحليلي وصفي انتقائي واقع الهوية الرقمية وتدعو إلى التأمل النقدي والفلسفي في إنتاج الهوية الجديدة في العصر الفائق كشريك معرفي في تشكيل السرديات الذاتية، وفي تغيير الرؤية للذات والعالم، إذ أصبحت الهوية الفردية في البيئات الرقمية معرضة لإعادة التشكيل وفق منطق البيانات الكبرى حيث تتشارك آلة تتعلم السلوك الإنساني وتعيد وصفه في إنتاج صورته الجديدة وفق ذات وهوية دائمة التحول، ومع تصاعد وتيرة حضور السلطة الإلكترونية الجديدة والتي حظيت بالقبول الجمعي تحولت المركزية إلى مركزية غير واضحة المعالم؛ لتتحول إلى «الآلة» فلم يعد الإنسان هو مركز المرجعية، إذ باتت الخوارزميات تنتج صورا وتصورات عنه وتعيد توزيع المعنى وفق منطق الإحصاء والبيانات وهو ما يثير بشكل مستمر وملح حول سؤال الهوية والذات، هل

Abstract

The age of artificial intelligence has witnessed profound transformations in the core concepts of the humanities, foremost among them the notions of self and identity. For centuries, these concepts have been central to philosophical, sociological, and anthropological inquiry. Yet, the rise of intelligent systems and generative language models within virtual realities has compelled a re-examination of their conceptual foundations. This paper seeks to analyze the semantic and functional shifts that have reshaped the terms' identity and self within both humanistic and critical discourses under the impact of human interaction with AI technologies. It also examines the emergence of digital identity, inviting a critical and philosophical reflection on the production of a "new identity" in the hyper-digital age—an identity that functions as an epistemic partner in shaping self-narratives and reconfiguring the perception of both self and world. In digital environments, individual identity is increasingly exposed to processes of constant reformation driven by the logic of big data, where machines learn human behavior, reinterpret it, and generate new images of the self and its identity. As electronic authority gains collective acceptance, centrality itself has shifted toward an indeterminate locus embodied by the "machine." Humanity is no longer the sole referential center; algorithms now produce

ما زالت الإنسانية تملك فاعليتها المعرفية الحرة؟ أم أنها وبمحض إرادتها نقلتها إلى ذات تم خلقها لتتطور وتنبثق من الذات الأولى إلى ذات ستكون لها الكلمة بعد تشكلها المتكامل وفق الأمد الزمني المتسارع! ليصبح الإنسان شريكا مع التقنية في إنتاج هويته وصورته وذاته لا سيدا مطلقا عليها.

representations and reallocate meaning through statistical and data-driven logics. These raises pressing and continuous questions about selfhood and identity: Does humanity still retain its free epistemic agency, or has it—perhaps willingly—transferred to an emerging self, one created to evolve beyond its origin, and destined to hold the primary and ultimate authority once its accelerated formation is complete

مقدمة

المصطلح من حيث هو مفهوم واقع في الوجود ابتداء يمثل الحقيقة الوجودية الأولى للعلم فهو بمثابة الجوهر من سائر المعارف، وإن تعدد إشكالات المصطلح يدعونا إلى استدعاء مفهومه الأول والذي عرف قديما باسم «المواضعة» أي حدود الألفاظ أو «علم الدلالة» الذي عرف بقدرته على تعليم المصطلحات لكثرتها وشيوعها في كل فن، ويعني «اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل من موضعه الأول» كما عُرّف بأنه علامة لغوية خاصة تقوم على ركنين أساسيين لا سبيل إلى فصل دالها عن مدلولها المضموني أو حدّها عن مفهومها، وإن الدراسة المصطلحية علم منهجي قائم بذاته ينهض بدراسة المصطلح العلمي بوصفه جوهر العلم وأساس وجوده، إذن المصطلح إما واصف لعلم كان أو مؤسس لعلم سيكون، وإن كان ذلك فلا علم إلا وهو مبنيٌ في مقولاته المفهومية على مصطلحاته، ومن هنا كان باعتقاد الباحث أن المصطلح هو العلم على سبيل المعنى الحاصل في الجملة الاسمية بإطلاقة، ولكنه لا يعد دالا بالضرورة على انطباق الحكم نفسه على الدراسة المصطلحية من حيث منهج الدراسة، إذ ماهي إلا اجتهاد من الاجتهادات ضمن إمكانات مناهج دراسة المصطلح،[1] وعليه فلا بد للباحث المعاصر الوقوف على حقيقة دلالة المصطلحات والتغيرات الحقيقية وراء ضبابية المصطلح في عصرٍ رقميٍ ذكيٍ اصطناعي حاول خلخلة كل المفاهيم بدءًا من النظرية الأدبية التي أعلنت ثورتها في إعادة طرح السؤال حول المفاهيم التي بدت بدهية.

أولًا: الهوية والذات:

من النقاد من تناول مفهوم الذات من الجانب الظاهري (الفينومينولوجي) وهم الذين حددوا مفهوم الذات طبقا لكيفية إدراك الفرد لذاته وإلى تنظيم هذه الإدراكات في سلوكه، والتي تتكون من المدركات الشعورية والقيم المتعلقة به، (أنا) ويتضمن الصورة الرئيسة المتعلقة بـ(من أكون أنا) حيث يستجيب الكائن الحي ككل منظم للمجال الظاهري من أجل إشباع حاجاته إلا أن هناك دافعا واحدا أساسيا وهو تحقيق وتأكيد أو الرفع من قيمة الذات، كما تعرف أيضا بأنها وعي لنفسها أي أن الشخص الذي يعتبر نفسه ذاتا تعود إلى نفسها وتصف نفسها استنادا إلى بعض الأفعال والأفكار وحالات الإدراك والمشاعر

1- العبادي (عبدالحق)، أزمة المصطلح في الدراسات النقدية المعاصرة، مدارات في اللغة والأدب، الجزائر، 2021، ص: 53.

والرغبات،[1] أما الهوية فمرتبطة بالثبات والقوه، وما يجعل الكائن «هو» رغم التغيرات الخارجية، كما تعدد تناول مفهوم الهوية كونه من أكثر المصطلحات المشكِلة التي تناولها النقاد والمفكرون؛ ومرد هذا الإشكال يعود إلى فكرة (الخصوصية الثقافية) وبما تثيره من التباس في علاقتها بظاهرة العولمة، كما تعددت حقوله المعرفية وتشابكت مقارباته المنهجية في تصورات مشبعة تركن إلى الأيدولوجية كحل يعفي الضمير الجمعي من مواجهة ما تفرضه بما يسمى أزمة الهوية من قضايا تتسم بالتغير قدر اتسامها بالثبات،[2] ومنه تحولت الهوية والذات معا في واقع جديد باتت فيه الآلة شريكا في إنتاجهما.

إلا إنه توجد كثير من المصطلحات التي استُعملت للدلالة على مفهوم الهوية أو حتى ذات الصلة باستعمالاتها، سواء في علم الاجتماع أو العلوم الأخرى، كالهوية البشرية؛ وتعني سياق ما يتفق عليه كل البشر، والمقصود بالنوع البشري الإنسان ككائن بيولوجي ثم ككائن اجتماعي لديه الكثير من العناصر التي تعبر عنه كإنسان أو كنوع بشري رغم التنوع المعروف به، فكل البشر يتفقون في نفس الهوية، لوجود عد كبير من السمات والصفات الثابتة كوحدة الانفعالات البديهية لدى الكائن البشري، كما بينت الكثير من الدراسات في علم السلوك أن البشر يتفقون في العديد من السلوكيات الفطرية رغم ما تحوره الثقافات وتبينه على أساس أنه متنوع كالتعبير عن الفرح واللذة والسعادة والتسلية والحزن والألم، كلها دليل على وحدة الانفعالات في الجنس البشري، إضافة إلى المشاعر الشمولية كالعطف والحب والحنان والاحترام والكره، وغيرها من المشاعر، كما أن الباحثين في الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع يعتقدون أن الهوية البشرية واحدة، تختلف في الجزيئات وتتفق في الكليات، فمهما اختلفت التعاريف غير أنها تتفق في الصلب.[3]

أما الذات فارتبط مفهومه قديما بمفهوم النفس أو العين أي بمفهوم الجوهر والماهية والحقيقة، وذات الشي أي نفسه وعينه أي في حقيقته وماهيته، أو سماته الأساسية و هويته الشخصية، وما يشكل ذاته سلسلة من التنظيمات التي أوجدتها ضرورات الاجتماع البشري ليرث أوضاعا اجتماعية سابقة على وجوده، منها ما يرجع للأسرة ومنها ما يرجع

1- الناصري (زهرة) و بوسماحة (فتحية)، سيمائية الذات في خطاب الهوية الرقمية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، 2020، ص: 15و16.

2- هتان (عبدالله محمد)، الآخر ومرايا الهوية (اللغة بوصفها هوية) دراسة في ضوء النقد الثقافي، مجلة كلية الآداب، جامعة جنوب الوايد، عدد 63، مجلد 33 2024، ص: 71 - 77.

3- شريف (سهام) و بن حليمة (محمد)، مفهوم الهوية واستعمالاته السوسيولوجية، مجلة أسئلة ورؤى، عدد 1 - 2020 ص: 5و6.

إلى مجتمع الحي أو القرية أو المدينة التي يعيش فيها، ومنها ما يرجع إلى الأمة أو الجنس البشري بعامة، وهذه الأوضاع منها ما هو اقتصادي وما هو سياسي وما هو ثقافي وما هو نفسي وما هو لغوي، وكلها تتشابك وتتداخل بحيث يجد نفسه فيما يشبه المتاهة، وفي جهة أخرى لا يزال ذاتا متفردة، لها عالمها الخاص، فلكيلا يبتلعه ذلك الخضم من القوى الخارجية يلزمه أن يعيد بناء ذاته بصورة مستمرة،[1] وإن مسألة الذات تعبر بعمق عن طبيعة الإنسان وعن مسألة الوعي الذاتي، فإذا لم تكن هناك حقيقة موضوعية فكذلك أيضا لن يكون هناك قيم أخلاقية موضوعية، فالفرد مقياس الخير والشر والعدل والظلم، وبالتالي فليس من قانون أخلاقي عام يخضع له الناس جميعا، وهذه المبادئ جعلت من الإنسان أن يحمل وحده عبء وضعه البشري، وإنسانيته بما فيها من نزعات.[2]

ومن هنا لا تستمد الهوية كينونتها من ذاتها فقط، بل من المُفارق لها أيضا، أي مما ينفصل عنها وليس فقط مما يتصل بها، ومن ثم لا معنى لمطلب الهوية بمعزل عن التميز والاختلاف الذين يمثلهما الآخر، وكلما بدت الهوية مطلبا داخليا فإنها بشكل ما تعكس مطلبا خارجيا، فالآخر بحاجة لتمايزنا عنه ليفهم أكثر ذاته وكينونته، ولذلك بقدر ما تتجه الهوية باتجاه التوحد بقدر ما تتجه نحو المزيد من التعدد، فكام اكان سعينا نحو التميز قويا، كان هذا التميز علامة على مزيد من الهويات، ولذلك تعتبر الهوية في ذاتها ولاّدة لمزيد من الهويات، فلا معنى لمطلب الهوية بمعزل عن الآخر، وبالقدر نفسه فالوجود لا يتحقق خارج هذا المطلب[3]، ولكن الوعي والإدراك حول هذا المطلب وجب حضوره في الذات المرتبطة بهوياتها، فلا معنى للمصطلح دون إدراكه، وهذا الوعي أمام الكم المهول من المعلوماتية التي أصبحت تسيّر الأذواق والمعتقدات والرؤى بالشكل الذي تريد بسيطرتها المقبولة بقبول استخدام الأجهزة الالكترونية ودرجة ارتباط الذات باستخدامها ومن ثم تفعيل دورها التأثيري على الهويات التي باتت على أرضية لا ثبات لها.

ثانيًا: الذكاء الاصطناعي:

يأتي مفهوم الذكاء الاصطناعي أو ما يسمى باللغة الانجليزية AI مرتبطا الارتباط

1- الحميري (عبدالواسع)، الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط 1، 1999م، ص: 11 - 13.

2- عباس (فيصل)، الفلسفة والإنسان، جدلية العلاقة بين الإنسان والحضارة، دار الفكر العربي، بيروت، ط 1، 1996 م، ص: 80 - 83.

3- شايب (نبيل)، تمثلات صورة الذات في تشكيل الهوية الثقافية عبر الفضاءات الافتراضية، مختبر الاتصال السياسي والاجتماعي، جامعة يحيى فارس، مجلد 5، عدد 1 2023، ص: 8.

الوثيق بالأجهزة الرقمية أو الالكترونية كالحاسوب وأدوات الاتصال اللاسلكية والروبوتات، ويعبّر عن قدرة واستطاعة هذه الأجهزة الرقمية في إظهار المنطق ومعظم المهمات الآلية والرقمية المرتبطة بالكائنات الذكية، وفي ظل النهضة التقنية والمتطورة التي يشهدها العالم ازداد استخدام مصطلح الذكاء الاصطناعي وزاد انتشاره؛ واختلف الباحثون في إيجاد تعريف دقيق له نتيجة تعدد توجهات منطلقاتهم المنهجية والمعرفية ورؤيتهم الفكرية ومجالاتهم البحثية؛ ليراه البعض بأنه العلم الذي يسعى لجعل الآلة تعمل أعمال البشر بطريقة أفضل، في حين يجد البعض أن الذكاء الاصطناعي عبارة عن جزء من علم الحوسبة والمعلوماتية المهتمة بتصميم نظم حاسوبية ذكية تتصف بأداءات مشابهة لأفعال البشر كاللغة والإشارة والتعلم والتفكير والتصور، وحل المشكلات، وعليه فإن الذكاء الاصطناعي يشمل أنشطة مختلفة ومتعددة ومن ثم يمكن تعريف الذكاء الاصطناعي بأنه تقنية متطورة ذات قدرات تحاكي سلوك الكائنات الحية والذكاء الإنساني بمهارة، وبالتالي للذكاء الاصطناعي ثلاث مكونات أساس، قاعدة معرفية؛ وهي التي تتضمن مكتبة رقمية تحتوي على معلومات مخصصة لاستخدامها، ومنظومة آلية الاستدلال؛ وهي عمليات مبرمجة للاستجابة السريعة والمختلفة هدف الاستفادة من البيانات المتوفرة وتحليلها لخلق ربط بينها هدف أداء المهام المطلوبة، وواجهة المستفيد؛ وهو التفاعل مع النظام والذي يتطلب وجود وسائل للتفاعل بين المستخدمين والآلة وتشمل جميع العناصر التي تمكن من التفاعل مع الخدمات الرقمية، كما أن للذكاء الاصطناعي مجموعة من الخصائص المتعددة كاستخدام الخبرات والتفكير والتصور والإدراك والتواصل والاستجابة السريعة والتعامل مع المواقف في تقديم معلومات بنوعية أفضل وفي توقيت مناسب،[1] وبالنظر لتعدد مفاهيم الذكاء الاصطلاحي بفعل تحوله وتغيره المستمر بما تشيره التحولات المجتمعية والاقتصادية المعاصرة فإن المفاهيم المصطلحية كتلك المرتبط بالهوية والذات لم يعودا قابيلين للفهم ضن أطرهما الكلاسيكية فحسب؛ بل أصبحا مجالا لإعادة التشكل المستمر، فالهوية بوصفها بناء ثقافيا واجتماعيا، والذات بوصفها مركز الإدراك والوعي والاختيار باتتا خاضعتين لتأثير وسائط تتجاوز دورها الآلي إلى وظيفة في إعادة إنتاج التصورات والانتماءات والنظرة للمثل والقيم، وانتقلت الذات من طور التفاعل المباشر من مركزيتها إلى طور التلقي الذي تتحكم فيه الخوارزميات الذي جعل الوعي الفردي أكثر عرضة لإعادة الصياغة وفق التدفقات المتكررة، فلم يعد الذكاء الاصطناعي مجرد أداة مساعدة، بل تحول إلى

1- محمد (قادري) وكلثوم (بن قراش)، قراءة في مفهوم الذكاء الاصطناعي ومجالات تطبيقه، مجلة القانون العام الجزائري والمقارن، عدد سبتمبر 2025 - ص: 225 - 228.

فاعل ضمني - وبمحض إرادة الذوات - في تشكيل الميول البشرية وتوجيه الرغبات والنظرة للعالم والحياة، ومن ثم فالإشكال لا يمكن في التقنية الذكية فحسب؛ بل في قابلية الإنسان المعاصر في هشاشته وسيولة هويته أمام ما تفرضه البنى الرقمية، فلما ازداد انخراطها غير الواعي في الاستهلاك كلما أصبحت ذاتا مهددة بفقدان استقلالها النقدي والفكري.

ثالثًا: التحول المصطلحي في العصر الفائق:

كانت الآمال قد انعقدت بأن التحولات الفكرية والثقافية والاقتصادية والتقدم العلمي والتكنولوجي التي حدثت في القرن العشرين، من شأنها أن تفضي إلى ازدهار حياة الإنسان، إلا إن أزمة الهوية تجلت في نمطين بارزين: نمط المماثلة التي يصطنعها الفرد أو تفرزها الجماعة لنفسها أي حالة الهوية للذات، فيمكن للفرد تقبل الهويات التي تنتسب إليه أو تشبهه أو يمكن أن يرفضها، ونمط المماثلة التي يمنحها الآخرون أي حالة الهوية للغير والعلاقة التي تنشأ بين المماثلين والتي تكون أساسا لإشكالية الهوية التي تستولد جزءا من أسئلتها المأزومة،[1] وهذه هي الإشكالية التي طُرحت في منتديات وأبحاث وبين طيات كتب كثيرة كان هاجسها هو ما وصلت إليه الإنسانية من أزمة هوية وذات، ولكننا اليوم أمام واقع جديد لم يسبق أن وقفت أمامه البشرية وهي الذات والهوية الجديدة المنبثقة من رحم هويات وذوات هي في الأصل إنسانية ولكنها تنسلخ مع التراكم المعرفي والزمني إلى نوع وخلق جديد من الهوية الخوارزمية التي سيكون لها السلطة على عجن وتشكيل أيدولوجيات وأنماط وتوجهات الوعي الإنساني، فالأمر تجاوز المصطلح والمفهوم إلى إعادة خلق هويات كان السبب الرئيس فيها هو الوعي الأول التي تجاوز نفسه إلى وعي لا يمكن التحكم فيه وتتشارك فيه كل الذوات على شتى مشاربها وأصولها ومعتقداتها وقراءاتها ووعيها.

تمثل مفاهيم الذات والهوية إلى اليوم إحدى أكثر القضايا الفلسفية والنقدية حضورًا في الفكر الإنساني منذ بداياته الأولى وحتى الزمن الراهن، فقد شكّلت الذات مرآةً لتجربة الفرد في العالم، وميدانًا تتقاطع فيه أسئلة الوجود والمعنى، بينما مثّلت الهوية البناء الجماعي الذي يحفظ للفرد موقعه داخل النسيج الاجتماعي والثقافي، ورغم أن هذه المفاهيم رافقت الفلسفة منذ سقراط وأفلاطون مرورًا بديكارت وكانط وهيغل وصولًا إلى ريكور وفوكو، فإنها اليوم تواجه تحديات غير مسبوقة بفعل التحولات الجذرية التي أحدثتها

1- بني ياسين (ضرار)، سؤال الهوية: دراسة في الإشكالية والمقاربات الفلسفية، الجامعة الأردنية، عدد 51، 2024، ص: 154.

الثورة الرقمية والذكاء الاصطناعي، وإن حقول العلوم والآداب من الحقول التي تنبهت للقضية الجديدة وحاولت أن تقارب المفاهيم وترضي الذات المبدعة في سؤالاتها الملحة حول قضية المصطلح، لنجد النقد الأدبي - كرد فعل إبداعي وذاتي - يحاول وعن طريق المكان والزمان والسرد والتي هي مجالات أساسية في جنس إبداعه أن يقوم بتفكيك مفهوم الذات والهوية محاولا أن يكتشف كيف يعاد تشكيل الوعي بالذات في ظل أحداث تاريخية أو هجرات أو صراعات ثقافية وذلك عن طريق المنتج السردي، وقد أظهرت دراسات ما بعد الاستعمار أن الهوية ليست مجرد انعكاس داخلي بل هي علاقة تفاوضية مع «الآخر»، بما يحمله من هيمنة أو اختلاف؛ وهذا ما يجعل سؤال الهوية دائمًا سؤالًا نقديًا بامتياز، مرتبطًا بالصراع والاعتراف، وحين كان الآخر معلوما أصبح اليوم لا يمكن إدراكه؛ فتشكل الآخر الذي كان الفاعل وصاحب التأثير على المتفاعل وهو الذات مجموعة من الذوات التي شكلت ذات مغايرة ومجموعة من الأيدولوجيات والمفاهيم التي أصبح لها التأثير الكبير على الذات الأصل وهي الذات الإنسانية، إلا إنها أصبحت ذاتا مسيّرة بطريقة لا واعية وفق التكرار الملح والحضور السلطوي لمجموعة من الذوات أو ما يسمى بالذكاء الاصطناعي.

إن مفهوما الهوية والذات من أكثر المصطلحات حضورًا في الدراسات الفلسفية والأدبية والفكرية الحديثة، حيث تناولهما الباحثون بمقاربات متعدّدة انطلقت من زوايا معرفية وأنثروبولوجية ونقدية، فقد جرى النظر إلى الهوية بوصفها إطارًا يحفظ للفرد والجماعة تماسكهما، بينما ارتبطت الذات بميدان التجربة والوعي غير أنّ هذا التناول المتكرر للمصطلحين على أهميتهما لم يعد كافيًا في ظل التحولات الفكرية والمعرفية الراهنة بقدر ما أصبح منصبًّا على التحولات التي أعادت تشكيلهما.

إنّ البحث يتجاوز مساءلة التحول الصادم للنمطية المعرفية التي أحاطت بهذين المفهومين لعقود طويلة، فقد أدّى التطور التكنولوجي والانفجار الرقمي، ودخول الذكاء الاصطناعي كفاعل جديد في تشكيل الوعي إلى زعزعة التصورات التقليدية حول ثبات الهوية ووحدة الذات، وأعاد طرحهما كفضاء مفتوح على التعدد والتغيّر والافتراضية، لنسعى إلى قراءة الكيفية التي أعادت منها هذه التحولات صياغة مفهومَي الهوية والذات ما يدفع العقل اليوم إلى النظر العميق والتأمل الدقيق لما تشهده الحالة الإنسانية العامة والكيانات المعاصرة -وأهمها الرقمية- إلى عودة مجددة لسؤال الهوية ومفهوم الذات في تمظهرته الثقافية والأيدولوجية المتأزّمة وتجلياتها المتناقضة، إذ أنهما مفهومان يبدوان في وضع مثقل بالجدل والمظاهر السلوكية المتباينة، ويبدو جليا في الفضاء العمومي للأفراد

والجماعات، وما يتضمنه هذا الفضاء من أحداث وأفعال متراوحة في نزعاتها الديماغوجية والأيدولوجية،[1] وفي الوقت الراهن يعسر تجاهل الواقع المرافق لسؤال الهوية والذات- كونهما من أكثر الأسئلة إلحاحا في زمن باتت فيه كل المرجعيات في قلق وجودي- أمام «السيد الجديد» وهو المد التكنولوجي الاصطناعي، فالواقع الراهن أدخل أبعادًا جديدة على هذا الجدل ففي عصر الثورة الرقمية لم تعد الذات محصورة في فضاء جسدي أو اجتماعي تقليدي، بل أصبحت ذاتًا هجينة تتوزع بين الحضور الواقعي والافتراضي، وإن ما يمكن أن نطلق عليه الهوية الرقمية باتت تمثل امتدادًا أو حتى بديلًا عن الهوية الواقعية، فالفرد يُعرِّف نفسه عبر حساباته على شبكات التواصل الاجتماعي، ويعيد صياغة صورته عبر ما يقدمه من محتوى وصور وبيانات، وفيه تكمن خطورة تفكك الهوية أو انعدام معناها الحقيقي، حيث قد تنشطر الذات بين وجوه متعددة؛ الذات «الحقيقية» والذات «الافتراضية» والذات «المتخيلة» التي يرغب الفرد في تسويقها أمام الآخرين أو - وكما ذكرنا آنفا - قد تتلاحم كلها في هوية واحدة ذات صبغة خوارزمية ! وإن اللغة من أهم مكونات اللغة والذات، فقد نالت من نالته غيرها من المفاهيم من التحول والتبدل ودرجة الحضور بفعل أثر الذكاء الاصطناعي.

أسلفت كثير من الدراسات حول ارتباط اللغة على ما يحيل إلى البُعد الاجتماعي، وأنها تضاف إليه قيمة إنسانية لتمييزها عن باقي السلوكيات التواصلية للكائنات، وركزت الجهود في الدرس اللساني الحديث لهذا العلم على البعد الاجتماعي للغة من خلال ربط اللغة بالجماعة المتكلمة ومن ثم بالمجتمع، وأكد دي سوسير منذ البداية على كون اللغة والكلام مرتبطين ارتباطا وثيقا بالجماعة المتكلمة، وهو الارتباط الذي لا يسمح بفهم اللغة إلا باعتبار من بعدها الاجتماعي، والتواصل ليس إلا شكلا من أشكال استعمال اللغة للتعبير عن الأفكار والأحاسيس والإنتاج الفكري المتشكل في لغة من اللغات، ومن ثم يتحول إلى إرث للمجتمع المتكلم بتلك اللغة، والإرث المشترك يعزز الانتماء الواحد الذي هو المشكل الرئيس للهوية، كما أن الهوية بدورها تعزز جهود دعم اللغة الواحدة واستعمالها وترقيتها ما دامت اللغة مقوما من مقومات الهوية، إنها حلقة مفرغة تفضي عناصرها إلى بعضها وتنطلق من اللغة لتعود إليها من جديد،[2] إلا إن الحلقة المفرغة لم تعد مفرغة اليوم

1- بني ياسين (ضرار)، سؤال الهوية، دراسة في الإشكالية والمقاربات الفلسفية، الجامعة الأردنية، عدد 51، 2024، ص: 150.

2- وفاء (بن طراه)، قراءات في مفهوم الهوية ومكوناتها: اللغة، الدين، الثقافة، حوليات جامعة قالمة، عنابة، عدد 20، 2017، ص: 552.

بفعل تسارع التحول اللغوي وشموليتها، فلم تعد اللغة تحمل سلطتها المرتبطة بفكر وجماعة وتراث حضاري بل إلى مجموعة لغات تكاد تختفي الفجوة بينها لأسباب صناعية واقتصادية وسياسية واجتماعية كثيرة، كما أن الترجمة الفورية الذكية لها في إحداث توافق جمعي في لغة التواصل الجديدة، وهي لغة التكنولوجيا، وهو ما يجعلنا - مرة أخرى - أمام تساؤل جديد؛ هل سنشهد تلاشي الهويات الجزئية إلى هوية واحدة شاملة تجعلنا مستقبلا في عالم أكثر وئاما وتناغما، وذلك أن أغلب الصراعات التي تواجهها البشرية هي صراعات مرتبطة بحضور الهوية والتي بدورها ذات مرجعيات لغوية وتاريخية وحضارية ! وإن تلاشت تلك المرجعيات وأصبحت للمرجعية مصدر واحد وهي التكنولوجيا، هل سيتغير شكل العالم وتمثلاته وتوجساته وصراعاته؟ وللوقوف على الواقع المرتبط بالتكنولوجيا لا بد أولا من فهمه والوقوف على معناه الحقيقي وهو الذي لا يمكن بعيدا عن فهم المصطلح؛ بل اختيار المصطلح المتناسب والواقع، والمصطلح مرتبط بكثير من العوامل الذاتية والتاريخية والتأثيرية، فوجود المصطلح ضرورة ملحة للعلوم كافة.

إن المتتبع للمسار المصطلحي عبر مساراته المتداخلة يدرك أن اللغة في منتوجها المصطلحي تحققت فاعلياتها من خلال الاعتماد على المرجعية والتأصيل المعرفي والربط بين التراث العربي والحداثة، وإن اللغة من هذا المنظور تحمل ثقافية مزدوجة (تراثية وحداثية)، إذ تهدف إلى الاستفادة من التوجه الحضاري الذي لا يتنكر للذات ولا ينغلق على ثقافة الآخر، فحركة وضع المصطلح كانت من اللحظات المهمة في بواكير الحضارات ومنها الحضارة العربية، وهو ما أكسب اللغة ثراء في رصيدها الاصطلاحي في تشابك معلوماتي كان فيه المصطلح واسطة التفاعل الحضاري، فالمصطلح ضرورة علمية تواكب الحضارة وتقدمها الإنساني، فكلما أحسنت أمة الدقة والرؤية والعمق في تعريفاتها وتحديداتها بدت أكثر تألقا ونضارة.[1]

و منذ محاولة الفكر الوقوف على مصطلحات كالذات والهوية والوجود والماهية وطبيعة الأدب والطبيعة والفن من الفلاسفة الأوائل إلى العصور الأدبية الأولى وصولا إلى العصر الحديث والشديد التسارع والذي أفضى إلى تحول مستمر ومساءلة عميقة حول حقيقة ماهية المصطلحات، ومنها الهوية والذات، والناظر إلى علم المصطلح يجده يعاني من فوضى واضطراب كلفه تبعات غريبة للمصطلحات ما ولّد أزمة - وخاصة للمصطلح

1- العبادي (عبدالحق)، أزمة المصطلح في الدراسات النقدية المعاصرة، مدارات في اللغة والأدب، الجزائر، العدد 1، 2021، ص: 97.

النقدي - بعد شفرة مشتركة بين الخطاب والمتلقي؛ فاضطرابه وتعدده يفقده قيمته وصفته الحقيقية، إلا إننا اليوم خرجنا من هذه الأزمة الاصطلاحية إلى أزمة لم يعد الاضطراب محصورا بين المتلقي والخطاب؛ بل ظهر لاعب جديد لا ملامح محددة له ولا شخصية واضحة، وهي الذات الجديدة: «الذات الخوارزمية» والتي تم خلقها من ذوات متعددة يتشارك الكل في خلقها ولا يمتلكون السلطة عليها في ذات الوقت، وهو ما جعل الأقلام والتصورات تُحار في مصطلحها وتعريفاتها التي امتلكت سمة الزئبقية وعدم إمكانية الإمساك بها لتحولاتها المستمرة.

رابعًا: مركزية المصطلح:

المبدأ في فهم الهوية وتحديدها هي أنها كيان تاريخي ومن ثم فهو فهم خاضع للتغيير والتبدل والتطور، فلا يمكن فهمها خارج التاريخ، ولذلك نلاحظ كيف ترتبط في الفكر العربي بجملة من المواقف والتصورات المتعلقة بالتراث والحداثة، والتراث والمعاصرة، الحداثة والأصالة، وهي بذلك لا تعني الانغلاق؛ بل الانفتاح على المتغيرات الإيجابية الجديدة، [1] وإن الوعي المرتبط بالمصطلح ضرورة ملحة في الوقوف على مفاهيم جوهرية كمفهومي الهوية والذات، وما يتطلبه من الولوج إلى الإنسان ومركزيته في المجتمعات ذات الحداثة الفائقة أو ما يسمى بعصر الذكاء الاصطناعي، لا تهم التسمية قدر فهم الواقع الذي نؤثر ونتأثر به، وإذا انطلقنا في تحليلنا من تعريفنا للحداثة بوصفها مبتكرة للتاريخ وتمتاز بالتاريخية لأنها بدلا من أن تستهلك كل مواردها المنتجة تدخر جزءا منها وتراكم المواد الأولية وتبتدع تقنيات ما فتئت تزداد نجاعة، فتبتكر ذاتها وتحول ذاتها وقد تدمرها كذلك! فكل مجتمع حداثي يتحدد بحضارة مادية أو نمط إنتاجي، أي بنمط معين لابتكار واستخدام الموارد، وكذلك الوعي بهذه التاريخية في أنها تأويل ثقافي للابتكارية الإنسانية أي القدرة على ابتكار التاريخ وهي القدرة التي تعرّف الحداثة عموما، وإن الاعتماد المتبادل بين كل الممارسات والتأويل الثقافي (الذي يتجاوز مجرد كونه تمثيلا إلى نمط اجتماعي للفعل والتنظيم الاقتصادي والمؤسسي) أي الاعتماد المتبادل بين التجربة العملية والشكل الاجتماعي للفعل والتنظيم.

إن المجتمع الحداثي لا يعيش في حاضر أزلي، بل هو حصيلة لماض ومشروع تجاه المستقبل، وأمام إعادة الخلق المستمر للذوات فإن المجتمعات الحداثية لا تعتمد على أي

1- وفاء (بنطراه)، قراءات في مفهوم الهوية ومكوناتها: اللغة، الدين، الثقافة، حوليات جامعة قالمة، عنابة، عدد 20، 2017، ص: 567و568.

مبدأ خارج عن الفعل البشري، فطبيعة المجتمعات تقوم على القيم. عبر العمل والتنظيم والاستثمارات التي من شأنها أن تؤدي إلى بروز فصل متزايد بين الفئات المهيمنة والفئات التابعة فلا تستطيع أي منها الدفاع عن مصالحها وعن تأويلاتها بالاستناد إلى مصدر تشريعي خارجي، وبذلك فإن القيم تكتسب باستمرار قدرة أكبر على تفكر ذاتها، وعلى الوعي بابتكاراتها ورؤية الأخلاق النفعية،[1] وتارة أخرى يحيل ذلك بنا إلى السؤال حول مفهوم الهوية والذات بإلحاح مستمر حول الوعي بماهيتها كذات مبتكرة للعوالم التخييلية وللكلمة والصورة والتقانات، والوعي بأنها ذات تمتلك القدرة على تحويل ذاتها إلى ذات تنتمي إلى عوالم تتداخل فيها الخوارزميات الافتراضية مع الواقعية، والهوية ذات الطابع الرقمي في هذه اللحظة سيطرأ عليها التحول بعد ساعة من الآن وبشكل متسارع ومستمر وفق خصائص السلطة الإلكترونية؛ بمعنى أن تكوينها يخضع للوائح المانح على الشبكة والمانح في ذاته له هوية متغيرة كذلك وتحكمه ذوات أخرى تسهم في تشكيله بطبيعة الحال ومن هنا فلا مرجعية واحدة لمفهوم الهوية الرقمية ولا لمفهوم الذات، ولكن يمكن أن نقف على بعض المفاهيم الواضحة لهوية تتشابك فيها مجموعة من الهويات كمفهوم الهوية الفردية إلى جانب الهوية المهنية والاجتماعية والوطنية والثقافية وفق عناصر تحددها من عناصر مادية كتلك العقلية والمالية وعناصر تاريخية ونفسية ومستقبلية أمام تبادل معرفي مهول على شكل إشارات إلكترونية واختراع وسائل رقمية جديدة ومتنامية مشكلة بما يعرف «بالمواطنة الرقمية»[2]؛ والتي تعلم مهارات محورية كمهارة البحث والتواصل وحل المشكلات وتعزيز ما يتم الاتفاق عليه بمنظومة القيم.

خامسًا: أثر الذكاء الاصطناعي في التحوّل المصطلحي:

جاء الذكاء الاصطناعي - أو العصر الرقمي - ليطرح سؤالًا فلسفيًا عميقًا: هل يمكن للآلة أن تمتلك ذاتًا أو هوية؟ ويأتي السؤال حين أصبحت النظم الذكية اليوم قادرة على المحادثة والكتابة الإبداعية وإنتاج الصوت، وحتى «محاكاة» المشاعر الإنسانية، وهو ما يدفعنا إلى تساؤل آخر: إذا كانت الذات تقترن بالوعي واللغة والقدرة على السرد، فهل يعني ذلك أن الذكاء الاصطناعي الذي يُنتج نصوصًا ويؤلف قصصًا بات يشاركنا فضاء الذاتية؟

1- وارين (آلان) وترجمة بدلة (جلال)، الحداثة المتجددة نحو مجتمعات أكثر إنسانية، دار الساقي، ط1، 2020، ص: 157 - 167.

2- حول المفهوم أقرأ أكثرفي:
محمد (ليلى) و العربي (أحمد)، الهوية الرقمية (النشأة والتعريف والمعايير الفنية)، المجلة العلمية جامعة طنطا، عدد 46، 2020، ص: 1 - 16.

أم أن هذه مجرد «محاكاة» لا ترقى إلى وعي حقيقي؟ وإننا اليوم لم نزل في موقع يعد بمثابة اللحظة الأولى من الدقيقة الأولى من الساعة الأولى فن عصر الرقمنة والذكاء الاصطناعي، من هنا تبرز الحاجة إلى نقد فلسفي وأدبي مستمر يعيد مساءلة هذه المفاهيم في ضوء العصر الرقمي حول معنى الهوية والذات واللتين أصبحتا قضايا حياتية تتعلق بمصير الإنسان ووعيه، فالسؤال لم يعد: «من أنا؟» بل أصبح «من أكون» في عالم تتشكل فيه الذوات في تحدّ للمحافظة على إنسانية الذات وسط هذا الطوفان التقني الذي حظي بقبول الجماعات والأفراد؛ فقد اختار الإنسان طوعا أن يدخل في علاقة اندماجية مع الذكاء الاصطناعي مانحا إياه القبول لتنتج هويات ليست ثابتة ولا نهائية، بل مفتوحة على مجموعة من التحولات المستمرة.

إن النظرية القائلة أن أنظمة الذكاء الاصطناعي المستخدمة حاليا تشترك في شيء واحد يجمع بينهما وهو أنها جميعها مصممة كمجمعات إلكترونية يتم التحكم فيها رأسيا، وتعمل باستخدام خوارزميات متفاوتة التعقيد، حيث إن التحكم المركزي هو خاصية لا تقاوم لأي نظام حوسبة الكتروني من صنع الإنسان، فنحن ببساطة لا نعرف كيف نبني بطريقة أخرى فيها محاكاة للطبيعة و في صنع نظام إلكتروني متكامل يتم التحكم به بشكل رأسي في تتبع مسار الاندماج المتناغم الذي تتبعه الطبيعة لتكمل كل الكائنات بعضها بعضا، وتقوم ببناء نظام إلكتروني يتم التعايش فيه بين الدماغ البشري والحاسوب، ليتم خلق نوع من الذكاء الاصطناعي الهجين بين الإلكتروني والبيولوجي، في نظام تكاملي يتجاوز فيه مستقبلا حاجز اللغة في نظام اصطناعي شخصي.[1]

إن المفاهيم حالها حال واقع الآداب والمدارس النقدية هي دائمة التبدل والتحول، ما يميز حضور مفهومي الهوية والذات إضافة إلى كونهما مفاهيم مركزية أنها مفاهيم تتشكل في عالم متغير، وهو ما يحيل الفكر إلى النظرية الأولى لابن خلدون في مبدأ التعاقب الدوري في تاريخ الفكر الإنساني من حيث بعدها الاجتماعي والفلسفي العام في أن للمجتمع -في نظره - عمر كعمر المرء الذي يولد ثم يكتمل نموه، ثم يهرم ويموت، وإن حركة التاريخ عند ابن خلدون حركة انتقال مستمرة وهذا الانتقال يتم عبر الدول على خمس مراحل،[2] و كما تعلمنا في الدرس التاريخي حول الأجيال التي وقف عليها ابن خلدون من البداوة إلى الحضارة والعمران ومن ثم البذخ والدعة إلى الإفساد والانحلال والعصبية إلى الخراب

1- سناجلة (محمد) العهد الآتي في ظل الثورة الصناعية الرابعة، وزارة الثقافة الأردنية، ط1، 2024، ص: 181.

2- طحطح (خاليد) منهجية ابن خلدون التاريخية، دورية كان التاريخية، عدد 7، 2010، ص: 60.

والسقوط، إلا إن هذا التصور حول الحضارة هو تصور تغير مع حضور لاعب جديد في تشكيل شكل الحضارة الإنسانية؛ وهو الذكاء الاصطناعي الذي لا يمكن التنبؤ بمدى درجة أثره على الذوات والهويات.

إن الآتي من شكل الحضارة تصور يقلب كل المفاهيم وذلك أنه اكتسب صفة القبول الجماعي والانقياد طواعية لكل تغيراته المتسارعة والمتغيرة، وهو ما يجعله مستعصيا على التنبؤ بمستقبله، ولذا فإن التطور المفهومي بين أهم ما يشكل الحضور الإنساني - الهوية والذات - هو تطور يحمل ملامح مادية ضبابية يصعب الجزم بفاعليتها أو عدم فاعليتها في الحياة الإنسانية التي ستغدو متشاركة مع الآلة في إنسانية اصطناعية جديدة، ومن هنا تحديدا جاءت هذه الورقة لتأخذ الفكر لنظرة مغايرة عن التوجس والخوف حول الحضور الإنساني في هويته وذاتيته أمام الحضور الخوارزمي، في تفاؤل جرئ لمستقبل أفضل وأكثر إشراقا مما هي عليه اليوم شرط أن نتمسك بنواجذ الفلسفة التي لطالما كانت شغل الفكر والوعي الوجودي وهي فلسفة الأخلاق[1] والتي وقفت عليها الفلسفة في تاريخها الطويل إلى الفلسفة الحديثة، وهي المرتبطة بكل ذات سابقة كانت أم لاحقة، ثابتة أم متغيرة، إنسانية أم آلية، ففيها يكمن مظهر الوجود الحقيقي للممارسة الحياتية.

1- انظر أكثر حول فلسفة الأخلاق في:
رولر (جون) ترجمة وهبة (ربيع)، محاضرات في تاريخ فلسفة الأخلاق، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019.

خاتمة

البحث محاولة فهم للتحول الذي طرأ على المفهومين؛ الذات والهوية - وما يرتبط بهما - في استجابتهما للتغير الكوني في ظل العصر الرقمي أو ما يسمى بالذكاء الاصطناعي، وإن تجاوزت الإنسانية عصر الحداثة إلى عصر المعلومات أو ما يسمى بالعصر الفائق على المفاهيم التي كانت بديهية وجعلتنا نقف وقفة تأمل أمام كل النظريات التي تقصي الهوية بملامحها المعروفة إلى هوية غير واضحة وسريعة التغير والتبدل بناء على التسارع المعلوماتي والتكنولوجي، ما جعل البعض يسميها «العبودية الطوعية» في انقياد طوعي وجمعي لمنظمة كونية تتوافق في مرجعياتها وأذواقها وثقافتها، وبعد تراكم زمني قد تتوافق في تاريخها كذلك، وهو ما جعلنا أمام فكرة إمكانية تلاشي كل أنواع الصراعات التي تشهدها البشرية من صراعات أيدولوجية واقتصادية وسياسية وثقافية ودينية أم أن البشرية ستشهد على نوع مغاير من الصراع وهو الصراع التكنولوجي ! ومن سيكون المتحكم الأول فيها؟ هل هو الإنسان أم أن الآلة ستأخذ زمام السلطة من يد الإنسان وبعد تراكم زمني ومعلوماتي وتواصل آلي خوارزمي ستكون لها السلطة الكلية في عالم منفتح لا حدود يحده ولا حواجز تفصله ولا خصوصية ذاتية تميزه أمام العالم الرقمي الذي لا اختيار فيه إلا للتكنولوجيا والتواصل الافتراضي! ومن هنا فإن تناول التحول الاصطلاحي للمفاهيم بمعزل عن التحول التكنولوجي الذكي يبدو ساذجا أمام العالم الذي يغير أسياده وتتشكل له ملامح جديدة تتجاوز بها إلى صورة قد تكون أكثر قتامة، أو أكثر انفتاحا ووئاما مع الصديق الجديد أو السيد الجديد أو العبد الجديد.

قائمة المصادر والمراجع

- تورين (آلان) ترجمة بدلة (جلال)، الحداثة المتجددة نحو مجتمعات أكثر إنسانية، دار الساقي، ط1، 2020.
- وفاء (بن طراه) قراءات في مفهوم الهوية ومكوناتها، اللغة، الدين، الثقافة، حوليات جامعة قالمة، عنابة، عدد 20، 2017.
- رولر (جون)، ترجمة وهبة (ربيع)، محاضرات في تاريخ فلسفة الأخلاق، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019.
- طحطح (خالد)، منهجية ابن خلدون التاريخية، دورية كان التاريخية، عدد7، 2010.
- الناصري (زهرة) و بوسماحة (فتحية)، سيمائية الذات في خطاب الهوية الرقمية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، 2020.
- شريف (سهام) و حليمة (محمد)مفهوم الهوية واستعمالاته السوسيولوجية، مجلة أسئلة ورؤى، عدد 1، 2020.
- ياسين (ضرار)، سؤال الهوية، دراسة في الإشكالية والمقاربات الفلسفية، الجامعة الأردنية، عدد 51، 2024.
- هتان (عبدالله)، الآخر ومرايا الهوية (اللغة بوصفها هوية) دراسة في ضوء النقد الثقافي، مجلة كلية الآداب، جامعة جنوب الوايد، عدد 63، مجلد 33، 2024.
- العبادي (عبدالحق)، أزمة المصطلح في الدراسات النقدية المعاصرة، مدارات في اللغة والأدب، العدد 1، 2021.
- الحميري (عبدالواسع)، الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط 1، 1999م.
- عباس (فيصل)، الفلسفة والإنسان، جدلية العلاقة بين الإنسان والحضارة، دار الفكر العربي، بيروت، ط 1 1996.
- محمد (قادري) و كلثوم (بن قراش)، قراءة في مفهوم الذكاء الاصطناعي ومجالات تطبيقه، مجلة القانون العام الجزائري والمقارن، عدد سبتمبر 2025.

- محمد (ليلى) و العربي (أحمد)، الهوية الرقمية، النشأة والتعريف والمعايير الفنية، المجلة العلمية جامعة طنطا، عدد 46، 2020.
- سناجلة (محمد) العهد الآتي في ظل الثورة الصناعية الرابعة، وزارة الثقافة الأردنية، ط1، 2024.
- شايب (نبيل)، تمثلات صورة الذات في تشكيل الهوية الثقافية عبر الفضاءات الافتراضية، مختبر الاتصال السياسي والاجتماعي، جامعة يحيى فارس، مجلد 5، عدد 1، 2023.

References:

- Abbas, F. (1996). Philosophy and man: The dialectics of the relationship between man and civilization (1st ed.). Dar Al-Fikr Al-'Arabi.
- Al-'Abadi, A. (2021). The terminological crisis in contemporary critical studies. Madarat fi al-Lughah wa al-Adab, (1).
- Al-Himyari, A. (1999). The poetic self in Arabic modernist poetry (1st ed.). Al-Mu'assasah Al-Jami'iyyah lil-Dirasat.
- Al-Nasiri, Z., & Bousmaha, F. (2020). The semiotics of the self in the discourse of digital identity. Faculty of Humanities and Social Sciences, Kasdi Merbah University.
- Bani Yasin, D. A. (2024). The question of identity: A study of the problematic and philosophical approaches. Dirasat: Human and Social Sciences, (51).
- Ben Tarah, W. (2017). Readings on the concept of identity and its components: Language, religion, and culture. Annals of the University of Guelma, (20).
- Hattan, A. M. A. (2024). The other and the mirrors of identity: Language as identity, a study in the light of cultural criticism. Journal of the Faculty of Arts, South Valley University, 33(63).
- Mohammed, L. Y., & Al-'Arabi, A. A. (2020). Digital identity: Emergence, definition, and technical standards. Scientific Journal of Tanta University, (46).
- Qadri, M., & Ben Qarash, K. (2025, September). A reading of the concept of artificial intelligence and its fields of application. Algerian and Comparative Journal of Public Law.
- Rawls, J. (2019). Lectures on the history of moral philosophy (R. Wahba, Trans.). Arab Center for Research and Policy Studies.
- Sanajleh, M. (2024). The coming era in light of the fourth industrial revolution (1st ed.). Jordanian Ministry of Culture.
- Sharif, S., & Halima, M. (2020). The concept of identity and its sociological uses. As'ilah wa Ru'a, (1).
- Shayeb, N. (2023). Representations of the self-image in the formation of cultural identity through virtual spaces. Laboratory of Political and Social Communication, Yahia Farès University, 5(1).
- Tahtah, K. F. (2010). Ibn Khaldun's historical methodology. Kan Historical Periodical, (7).
- Touraine, A. (2020). Renewed modernity: Toward more humane societies (J. Badla, Trans.). Dar Al-Saqi.

من التوليد الآلي إلى التداول المصطلحي: قراءة تداولية في بناء المفهوم داخل النماذج اللغوية الذكية

From Automatic Generation to Terminological Pragmatics: A Pragmatic Reading of Concept Construction within Large Language Models

د. وليد الشاوش

أستاذ مادة اللغة العربية بالسلك الثانوي التأهيلي - القنيطرة المغرب

Dr. Walid Chaouch

Arabic Language Teacher, Secondary Education - Kenitra, Morocco

https://doi.org/10.47798/fom.2025.i05.07

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

يناقش هذا البحث إشكالية إنتاج المصطلح في ظل تطور النماذج اللغوية الذكية، من خلال مساءلة قدرتها على بناء المفاهيم بما تستلزمه من دقة دلالية وشرعية تداولية. ينطلق البحث من فرضية مفادها أن الذكاء الاصطناعي، رغم كفاءته في التوليد اللغوي، يظل محدودًا في إنتاج المفهوم الاصطلاحي المتكامل لافتقاره إلى الذاكرة المعرفية والسياق التداولي. ويهدف إلى تحليل العلاقة بين البنية الدلالية للمصطلح وبُعده التداولي، واختبار حدود النماذج اللغوية مقارنة بالمقاربات البشرية. يعتمد البحث المنهج التداولي - السيميائي في مقاربة تطبيقية، إلى جانب المنهج الوصفي التحليلي في تأطير الإشكالية. وتُظهر النتائج أن الذكاء الاصطناعي يساهم في اقتراح صيغ مصطلحية، لكنه لا ينتج المفاهيم بمعناها التداولي الكامل.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي، المصطلح، التداولية، السيميائيات، النماذج اللغوية.

Abstract

This study examines the issue of terminology production in the context of the rapid development of large language models (LLMs), questioning their ability to construct concepts with semantic precision and pragmatic legitimacy. The research is based on the hypothesis that, despite their efficiency in linguistic generation, AI systems remain limited in producing fully developed terminological concepts due to their lack of cognitive memory and contextual grounding. The study aims to analyze the relationship between the semantic structure of terms and their pragmatic dimension, while testing the limits of AI models in comparison with human and institutional approaches to terminology. Methodologically, the research adopts a pragmatic-semiotic approach in its analytical framework, combined with a descriptive-analytical method for theoretical exposition. The findings indicate that AI can suggest terminological forms but fails to produce fully grounded concepts within their socio-pragmatic context.

Keywords: Artificial Intelligence, Terminology, Pragmatics, Semiotics, Language Models.

مقدمة

يشهد العالم المعاصر تحوّلات رقمية متسارعة بفعل التطور المتزايد في تقنيات الذكاء الاصطناعي، ولا سيما النماذج اللغوية الذكية (LLMs) التي أصبحت قادرة على توليد خطابات تحاكي اللغة البشرية في بنيتها وتراكيبها ودلالاتها. هذا التحوّل يضع العلوم الإنسانية والاجتماعية أمام تحدّ جديد، إذ لم يعد السؤال مقتصرًا على كيفية معالجة الآلة للنصوص، بل امتدّ إلى مساءلة قدرتها على إنتاج البنيات المعرفية الدقيقة التي يقوم عليها العلم، وفي مقدّمتها المصطلح.

فالمصطلح ليس مجرد لفظ معجمي، بل هو أداة لضبط المفاهيم وتوحيدها وضمان وضوحها في التواصل العلمي. وقد اعتبر «يوجين فويستر» (E. Wüster) أن علم المصطلح علم معياري يهدف إلى تحقيق الدقة والصرامة في التواصل المعرفي، بينما طوّرت «ماريا تيريزا كابري» (M. Cabré) تصوّرا ديناميًّا يجعل المصطلح نقطة التقاء بين البعد اللساني والمعرفي والاجتماعي. أما «آلان ري» (A. Rey) فقد أبرز أن المصطلح ليس تسمية محايدة، بل بنية تفاوضية، تكتسب مشروعيتها من الشرط التداولي والاجتماعي. وفي السياق العربي، نبّه «تمام حسان» إلى مركزية المصطلح في بناء الجهاز المفاهيمي للعلوم، فيما شدّد «عبد السلام المسدي» على أنّ أي مشروع علمي لا يستقيم دون تأسيس مصطلحي راسخ. كما قدم «الشاهد البوشيخي» تصوّرا مميّزا للمصطلح بوصفه وحدة معرفية قبل أن يكون وحدة لسانية، مؤكدا أنّ «المصطلح ليس مجرد لفظ، وإنّما هو حامل لمفهوم؛ ولا يمكن ضبطه إلا بضبط المفهوم الذي يحمله»[1].

وتُظهر هذه التعريفات، على تنوّع خلفياتها النظرية، اتّفاقًا على أنّ المصطلح ليس مجرد تسمية لغوية، بل هو بناء مفهومي ينهض على نسق معرفي وتداولي مشترك. غير أنّ المقاربات السابقة، على الرغم من عمقها، ظلّت في الغالب أسيرة البعد البنيوي للمصطلح، دون أن تستقصي دوره داخل دينامية التداول الذكي في فضاء الصناعة اللغوية الاصطناعية.

ومن خلال هذه التصورات، تتبلوّر الإشكالية الجوهرية لهذا البحث في التساؤل: هل يستطيع الذكاء الاصطناعي أن ينتج المصطلحات بما تحمله من دقة دلالية وشرعية

1- البوشيخي (الشاهد). نظرات في المصطلح والمنهج، مطبعة الرسالة، فاس، المغرب، ط1، 1994م، ص15.

تداولية ومعرفية؟ أم أنّ ما يولّده لا يتجاوز حدود البنيات اللغوية التركيبية التي تفتقر إلى العمق المفهومي والذاكرة الحضارية؟

وتقوم الفرضية المركزية لهذا البحث على التساؤل عمّا إذا كان الذكاء الاصطناعي، على الرغم من قدراته في التوليد اللغوي، قادرًا على تجاوز البنية التركيبية إلى بناء المفهوم الاصطلاحي المتكامل، بما يستوفي الشروط التداولية والمعرفية، ويستحضر البُعد الحضاري والثقافي للمفاهيم. ويقترح البحث اختبار هذه الفرضية من خلال تحليل نماذج لغوية ذكية لرصد حدودها في تمثُّل البنية المفهومية للمصطلح ومقارنتها بالمقاربات البشرية والمؤسسية في صناعة المفاهيم.

ويهدف هذا البحث إلى تفكيك العلاقة بين البنية الدلالية للمصطلح والبعد التداولي، من خلال تحليل موقع الذكاء الاصطناعي داخل الصناعة المصطلحية الحديثة، واختبار حدود النماذج اللغوية في إنتاج المفاهيم قياسًا بقدرة الإنسان على الإبداع الاصطلاحي.

لتحقيق هذه الأهداف، يعتمد البحث المنهج التداولي-السيميائي في مقاربة تطبيقية ترصد البُعد التداولي في بناء المفهوم، وتُفكّك التمظهرات السيميائية في النماذج اللغوية الذكية (LLMs)، مع توظيف المنهج الوصفي التحليلي في عرض المعطيات النظرية.

ومن خلال هذا الفرش النظري، يروم البحث المساهمة في إثراء النقاش حول مستقبل المصطلح في ظلّ ثورة الذكاء الاصطناعي، واقتراح مقاربة متوازنة تراعي التكامل بين الفاعل البشري والآلة في إنتاج المعرفة وضبطها تداوليا.

المصطلح بين البنية الدلالية والبعد التداولي.

1- المصطلح بين التنظير اللساني والممارسة المصطلحية:

تعود البدايات العلمية الأولى لعلم المصطلح الحديث إلى جهود «يوجين فويستر» الذي يُعد المؤسس الفعلي لما عُرف بـ «المدرسة النمساوية في المصطلحية». ففي كتابه المرجعي (Einführung in die allgemeine Terminologielehre und terminologische Lexikographie)، وضع الأسس النظرية لما سمّاه «علم المصطلح العام»، مؤكدا أنّ المصطلح وحدة لغوية ذات وظيفة مرجعية محددة، تتمثّل غايتها الأساس في توحيد الاستعمال وضبط المفاهيم العلمية والتقنية. وقد ارتكز تصوّره على نزعة معيارية صرفة ترى أنّ المصطلحات يجب أن تكون محايدة وموضوعية، خالية من الغموض والإيحاءات

الثقافية أو الإيديولوجية. ومن هنا ارتبط مشروعه بالبعد المعياري والتنظيمي، إذ ركز على وضع قواعد لتقنين الاستعمال وتوحيد المصطلحات في المعاجم المتخصّصة والمؤسسات الدولية[1].

غير أنّ هذا المنظور الوضعي الصارم لم يسلم من النقد، خاصة مع التحوّلات التي عرفتها الدراسات اللسانية والاجتماعية للغة. فقد جاءت «ماريا تيريزا كابري»، إحدى أبرز منظّري «المدرسة الكاتالونية»، لتُقدِّم تصوّرا بديلا أكثر دينامية وانفتاحا. ففي كتابها (Terminology: Theory, Methods, and Applications-)، شدّدت على أنّ المصطلح ليس وحدة لغوية معزولة، بل هو نقطة التقاء بين ثلاثة أبعاد أساسية[2]:

- **البعد اللساني:** يُنظر إلى المصطلح بوصفه عنصرًا من عناصر اللغة، يخضع لقوانينها التركيبية والدلالية.
- **البعد المعرفي:** باعتبار المصطلح تمثيلاً لمفهوم محدّد ضمن نسق معرفي علمي أو تقني.
- **البعد الاجتماعي:** إذ يكتسب المصطلح مشروعيته من خلال تداوله بين جماعة علمية أو مهنية معينة.

بهذا التصور أخرجت «كابري» المصطلح من عزلته المعيارية الضيقة، واعتبرته كيانًا ديناميًّا يسهم في إنتاج المعرفة وتداولها، ممّا جعل دراستها للمصطلح أقرب إلى رؤية لسانية-اجتماعية منه إلى رؤية تقنية محضة.

أمّا «ألان ري»، في كتابه (La terminologie: noms et notions)، فقد ركّز بشكل أساسي على البعد التداولي للمصطلح، فقد اعتبر أنّ المصطلح ليس مجرد تسمية محايدة أو انعكاس مباشر للمفهوم، بل هو ثمرة توافق تفاوضي بين أعضاء الجماعة العلمية أو

1- Wüster, E. Einführung in die allgemeine Terminologielehre und terminologische Lexikographie, Wien: Springer-Verlag, 1979.

* (ينظر الفصل الأول «Grundlagen der Terminologielehre» (ص. 28-1)، حيث يحدد Wüster أن المصطلح وحدة لغوية ذات وظيفة مرجعية دقيقة، ويؤكد على البعد المعياري والحياد الدلالي).

2- Cabré, M. T. Terminology: Theory, Methods, and Applications, Amsterdam & Philadelphia: John Benjamins Publishing Company, 1999.

* (يُنظر الفصل الثاني «The Nature of Terminology» (ص. 58-32)، حيث تعرض Cabré الأبعاد الثلاثة (اللساني، المعرفي، والاجتماعي)، وتنتقد النزعة المعيارية عند Wüster).

الاجتماعية التي تستعمله. وبذلك يصبح المصطلح كيانا اجتماعيا أكثر من كونه مجرد أداة لغوية، وتنبع مشروعيّته من الشرط التداولي الذي يضمن استقراره واستعماله داخل الحقل العلمي أو المهني[1].

إنّ مقارنة هذه التصوّرات الثلاثة تكشف عن مسار تطوري في النظرية المصطلحية: من التركيز على البعد المعياري المحايد مع «فويستر»، إلى إدماج الأبعاد اللسانية والمعرفية والاجتماعية مع «كابري»، وصولا إلى إبراز البعد التداولي مع ري الذي أضفى على المصطلح طابعًا اجتماعيًّا تفاوضيًّا. وهذا التطوّر يؤشّر إلى انتقال علم المصطلح من رؤية تقنية ضيّقة إلى مقاربة أكثر شمولًا تربط المصطلح بالمعرفة والسياق والتداول.

2- الفرق بين «اللفظ» و«المفهوم»:

يمثّل التمييز بين اللفظ والمفهوم ركيزة أساسية في النظرية المصطلحية، إذ لا يمكن اعتبار أي لفظ مصطلحًا ما لم يُحل على مفهوم محدد داخل نسق معرفي منظّم. فاللفظ لا يعدو أن يكون دالًّا لغويًّا قابلًا للتعُّدد والتباين، بينما المفهوم هو الكيان المعرفي الثابت نسبيًّا الذي يمنح للمصطلح قيمته العلمية وشرعيته التداولية.

في هذا الإطار، يؤكد «تمام حسان»، أنّ المصطلح لا يكتمل إلا بارتباطه بالمفهوم، لأنّ «العلم لا يتأسّس على الألفاظ بل على المعاني التي تستبطنها»[2]، مشددا على أنّ غياب الوضوح في المفاهيم يؤدّي بالضرورة إلى غموض في المصطلحات. وإنّ أيّ مشروع معرفي لا بدّ أنّ ينطلق من تحديد دقيق للمفاهيم قبل وضع الألفاظ التي تدلّ عليها.

أمّا «عبد السلام المسدي»، فقد أبرز أنّ ضبط المصطلحات ليس عملا شكلّيا ولا مجرد تنسيق معجمي، بل هو شرط جوهري لبناء معرفة علمية متماسكة. فاللفظ في نظره قابل للتعدّد والتأويل، في حين أنّ المفهوم هو الذي يضمن الاستقرار والانسجام بين الباحثين داخل الحقل العلمي. ومن هنا فإنّ ضبط المفاهيم يشكّل الأساس الذي يقوم عليه كلّ جهد مصطلحي[3].

1- Rey, A. La terminologie: noms et notions, Pres. Universitaires de France, Paris, 1979.

* (يُنظر القسم الأول «Noms et notions: le statut du terme» (ص. 27-11)، حيث يناقش Rey البعد التداولي للمصطلح باعتباره ثمرة توافق جماعي يكتسب شرعيته من الجماعة العلمية أو الاجتماعية).

2- تمام (حسان). اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1985م، ص246.

3- يُنظر المسدي (عبد السلام). العقل اللغوي العربي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1990م، ص82.

وفي السياق العربي المعاصر، أسهم «الشاهد البوشيخي»، في توسيع هذا النقاش، فقد رأى بأنّ المصطلح حامل للمفهوم قبل أن يكون وحدة لسانية. فالمفهوم هو «روح المصطلح» التي تمنحه قيمته المعرفية، في حين أنّ اللفظ مجرد وعاء يتبدّل باختلاف اللغات والثقافات. ولهذا شدّد على أنّ أيّ عمل في الدرس المصطلحي لا يكتمل إلّا بتحليل المفاهيم التي يجسّدها المصطلح، ممّا يجعله جزءًا من الجهاز المعرفي للعلم، لا مجرد علامة لغوية قابلة للتداول[1].

أما في الدراسات الغربية، فقد ميّز «ألان ري»، بوضوح بين «le mot» و «le con-cept» مبرزًا أنّ العلاقة بينهما ليست علاقة تطابقية، بل علاقة إسناد، بحيث يمكن للفظ واحد أن يحيل على مفاهيم مختلفة بحسب السياق، كما يمكن للمفهوم الواحد أن يُعبر عنه بألفاظ متعدّدة. ومن هنا فإنّ الجهد المصطلحي يقوم على التقاطع بين البنية اللغوية والبنية المعرفية، من أجل بناء جهاز مفاهيمي متماسك[2].

ويُلاحظ أنّ الخيط الناظم بين هذه التصوّرات جميعًا يتمثّل في اعتبار أنّ اللفظ أداة والمفهوم غاية؛ فالمعرفة العلمية لا تقوم على مجرد العلامات اللسانية، بل على المفاهيم التي تمنح تلك العلامات قيمتها الوظيفية داخل النسق العلمي. وهذا التمييز يُشكّل في النهاية أساس أيّ مشروع يروم تحقيق الانسجام والوضوح في الخطاب العلمي.

3- البعد التداولي: المصطلح كبنية تفاوضية وآلية لفهم الشرعية الاجتماعية:

لا يمكن النظر إلى المصطلح باعتباره وحدة دلالية جامدة تنحصر وظيفتها في تسمية المفاهيم، بل هو بنية تفاوضية تتأسّس داخل الجماعات العلمية والاجتماعية. فالمصطلح لا يكتسب قيمته بمجرد وضعه أو إدراجه في معجم، وإنّما من خلال شرعيته الاستعمالية التي يقرّها التفاعل الاجتماعي والتخصّصي.

وقد أوضح «ألان ري»، أنّ المصطلح لا يعيش إلا داخل جماعة علمية أو اجتماعية تتبناه، وتمنحه مشروعيته ضمن ممارساتها التواصلية. فالمصطلح ليس مجرد تسمية محايدة، بل هو نتيجة توافق تفاوضي يعكس مصالح الجماعة وطرائق اشتغالها، ومن هنا يمكن القول: إنّه يحمل بُعدًا تداوليًّا لا يقل أهمية عن بعده الدلالي[3].

1- البوشيخي (الشاهد). نظرات في المصطلح والمنهج، ص15.
2- Rey, A. La terminologie: noms et notions. pp. 18-22.
3- Ibid, pp. 18-22.

وفي الاتجاه نفسه، شدّد «جون ك. سايجر» (Sager)، على أنّ المصطلحات أدوات تواصلية في المقام الأول قبل أن تكون وحدات معجمية. فهي تنشأ لتلبية حاجات جماعات علمية أو مهنية محدّدة، وبالتالي فإنّ مشروعيتها لا تأتي فقط من تقنينها أو تسجيلها في معاجم متخصّصة، بل من تفعيلها المستمر في الممارسة العملية داخل الحقول التخصصية. ومن هنا يظهر أنّ المصطلح يستمدّ قوّته من الاستعمال التداولي أكثر من مصدره القاموسي[1].

وبذلك يصبح المصطلح كيانًا تداوليًّا يُعرف من خلال التوافق الاجتماعي والمؤسّسي، لا مجرد علاقة شكلية بين لفظ ومفهوم. فهو ينتج من التفاوض الجماعي، ويستقرّ بالاستعمال، ويمنح المعرفة مشروعيتها العلمية. ومن هنا، فإنّ النظر إلى المصطلح باعتباره آلية تفاوضية يسمح بفهمه كأداة اجتماعية ومعرفية في آن واحد، تؤسّس لتقنين العلم، وفي الوقت نفسه تكشف عن البعد الثقافي والاجتماعي الكامن خلف الخطاب العلمي.

الذكاء الاصطناعي واللغة

1- النماذج اللغوية الذكية (LLMs): المفهوم والتطور في إطار المعالجة الآلية للغة الطبيعية

شهد مجال المعالجة الآلية للغة الطبيعية (Natural Language Processing - NLP) مسارا تطوريا متدرجا يعكس التحولات الكبرى في الذكاء الاصطناعي. في مراحله الأولى، كان التركيز منصبا على المقاربات الرمزية والقواعدية (Symbolic/Rule-based approaches)، حيث حاول الباحثون بناء أنظمة تعتمد على قواعد لغوية صريحة لمعالجة النصوص. وعلى الرغم من دقّتها النظرية، فقد واجهت هذه المقاربات محدودية في التعامل مع تنوع اللغة وتعقيداتها، نظرًا لصعوبة حصر جميع القواعد والاستثناءات[2].

وابتداء من تسعينيات القرن الماضي، برزت المقاربات الإحصائية (Statistical ap-proaches)، التي اعتمدت على تحليل التكرارات والاحتمالات المستخلصة من مدونات نصية ضخمة. وعلى سبيل المثال: مكّنت خوارزميات نماذج ماركوف المخفية (Hidden

1- Sager, J. C. A Practical Course in Terminology Processing, Amsterdam & Philadelphia: John Benjamins, 1990, pp. 56-60.

2- Winograd, T. Understanding Natural Language, Academic Press, 1972. p.54.

Markov Models) من تطوير تقنيات التعرف على الكلام والترجمة الآلية[1]. لكن هذه المقاربات بقيت محدودة من حيث القدرة على التقاط السياقات العميقة، وإنتاج لغة طبيعية.

إنّ التحول الجذري جاء مع بروز التعلُّم العميق (Deep Learning) وبخاصة مع الشبكات العصبية الالتفافية والمتكرّرة (CNNs & RNNs)، قبل أن يتعزّز مع ظهور آلية المحوّل (Transformer) التي قدّمها (Vaswani) وزملاؤه[2]. هذه الآلية مكّنت من معالجة النصوص بشكل متواز والتقاط العلاقات الطويلة المدى بين الكلمات، وهو ما أدّى إلى ثورة في دقة الأداء وسرعة التوليد.

في هذا السياق ظهرت النماذج اللغوية الكبيرة (Large Language Models - LLMs) التي تُدرب على مليارات أو حتى تريليونات الكلمات، باستخدام تقنيات التعلم الذاتي (Self-supervised learning). تقوم هذه النماذج على مبدأ التنبُّؤ بالوحدة النصية التالية (Next-token prediction)، لكنها بفضل حجم البيانات وتشابك الشبكات العميقة قادرة على إنتاج نصوص ذات طابع «بشري» من حيث الاتساق والسلاسة[3].

ومن أبرز الأمثلة التي فرضت نفسها في هذا الصدد:

- **GPT** (Generative Pre-trained Transformer):

الذي طورته (OpenAI)، ويمثّل نقلة في قدرة النماذج على المحاورة وكتابة نصوص متماسكة في مختلف المجالات.

- **BERT** (Bidirectional Encoder Representations from Transformers):

الذي قدّمته (Google) سنة 2018، وتميز بقدرته على تحليل السياقات ثنائية الاتجاه لفهم المعنى بدقة أكبر.

- **LLaMA** (Large Language Model Meta AI):

من شركة (Meta)، الذي يركز على تقليل حجم النماذج دون التضحية بجودتها، ممّا يتيح استخدامها في بيئات بحثية أوسع.

1- Manning, C. & Schütze, H. Foundations of Statistical Natural Language Processing, MIT Press, 1999. p. 211.

2- يُنظر في هذا الصدد: Vaswani, A., et al. Attention is All You Need, NeurIPS, 2017.

3- Jurafsky, D. & Martin, J. H. Speech and Language Processin, (3rd ed.), Pearson, 2023. p. 401.

إنّ ما يجمع هذه النماذج هو انتقالها من مجرد معالجة للجملة كوحدة معزولة إلى محاكاة البنية السياقية الكلية للنصوص، مما يجعلها قادرة على إنتاج مقالات، ملخصات، حوارات، وأجوبة ذات انسجام داخلي. على سبيل المثال، يمكن لـ GPT-4 توليد ملخص متكامل لمقال أكاديمي في حقل اللسانيات، بل واستحضار مراجع حقيقية أو شبه حقيقية لدعم خطابه. غير أن هذا «الاتساق الظاهري» لا يعني بالضرورة امتلاك النماذج لفهم حقيقي للمعنى، وهو ما يفتح الباب لمناقشة حدودها المعرفية في بناء المفاهيم[1].

2- آليات عمل النماذج اللغوية: التوليد الإحصائي والمحاكاة السياقية:

تعتمد النماذج اللغوية الكبيرة في بنيتها الأساسية على مبدأ التنبؤ بالرمز الموالي (Next-token prediction)، أي اختيار الوحدة النصية (كلمة أو مقطع) (subword) أو رمز (token) الأكثر احتمالا للظهور بعد تسلسل سابق من الرموز. ويتمّ ذلك عبر عمليات حسابية دقيقة في فضاء متعدّد الأبعاد (high-dimensional space) حيث تمنح كل وحدة نصية متجها (vector) يُمثل موقعها الاحتمالي في السياق[2].

وعلى الرغم من الطابع «الإبداعي» الذي قد يبدو في النصوص المنتجة، فإنّ المخرجات تظلّ في جوهرها تركيبات احتمالية مبنية على أنماط لغوية سابقة، أكثر من كونها إنتاجًا دلاليًّا أصيلًا. ويعتمد هذا على ما يمكن وصفه بـ التوليد الإحصائي، حيث تُقدر احتمالات ظهور التراكيب اللغوية استنادًا إلى مدونات نصية ضخمة تضم مليارات الكلمات. مثلا، إذا وُجد في المدونة أن عبارة «machine learning» تتكرر بوتيرة عالية في سياقات متعلقة بـ «الذكاء الاصطناعي»، فإنّ النموذج سيرجح هذا التجاور في المستقبل.

أما ما يُعرف بـ المحاكاة السياقية (Contextual simulation) فيقوم على قدرة النماذج على التقاط أنماط العلاقات بين الكلمات في مختلف السياقات، لا على المستوى المحلي (الجملة) فحسب، بل عبر نصوص كاملة أيضًا. ويُعد نموذج (BERT) مثالا بارزا، حيث يعتمد على آلية الانتباه الثنائي الاتجاه (Bidirectional Attention) لقراءة السياق السابق واللاحق معًا، ممّا يمنحه قدرة أعلى على استيعاب العلاقات التركيبية والدلالية في النصوص.

1- Bender, E. M., & Koller, A. Climbing towards NLU: On meaning, form, and understanding in the age of data, Proceedings of ACL, 2020. p. 5186.

2- Mikolov, T., Chen, K., Corrado, G., & Dean, J. Efficient Estimation of Word Representations in Vector Space, ICLR Workshop Papers, 2013. p. 32.

غير أنّ هذه المحاكاة لا تعني أنّ النموذج «يفهم» السياق بالمعنى البشري؛ بل إنه يلتقط أنماط تجاور لغوي (Co-occurrence patterns) ويعيد إنتاجها في نصوص جديدة. لذلك، فإنّ ما يبدو من انسجام لغوي لا يُترجم بالضرورة إلى توليد مفاهيمي (Concep-tual generation). وقد أشار ماركوس ودافيز Marcus & Davis (2020) إلى أنّ النماذج القائمة على التعلّم العميق تنتج في الغالب نصوصًا متماسكة ظاهريًّا، لكنها تخلو من البنية المفهومية الصلبة التي يتطلبها التفكير العلمي أو إنتاج المصطلحات[1].

وقد أظهرت بعض التجارب هذا الأمر معGPT-3 عند طلب تعريف «الأنطولوجيا» مثلا، ينتج النموذج نصًّا متماسكًا شكليًّا يستحضر عناصر من الفلسفة وعلم الحاسوب، لكنه قد يخلط بين معانيها الدقيقة أو يستحضر تعريفات غير دقيقة، ما يكشف عن محدودية التجاور اللفظي في بناء المعرفة الاصطلاحية. هذه الظاهرة ترتبط بما يُعرف في الأدبيات بـ الهلوسة الاصطناعية (AI Hallucination)، أي توليد معلومات تبدو صحيحة على المستوى الشكلي لكنّها تفتقر إلى أساس معرفي متين.

إنّ الفرق الجوهري بين تركيب الألفاظ وبناء المفاهيم يكمن في أنّ الأول عملية شكلية احتمالية، بينما الثاني يستلزم بعدًا معرفيًّا وثقافيًّا واجتماعيًّا يتجاوز قدرة الخوارزميات. لذلك، يبقى دور النماذج اللغوية في هذا المستوى أقرب إلى «مُحاك إحصائي للسياقات» منه إلى «فاعل مفهومي» قادر على إنتاج مصطلحات أو مفاهيم علمية جديدة.

وسيبين الجدول الآتي مقارنة تعريفية لمصطلح «السيميائيات» بين إنتاج النموذج اللغوي والبناء المفهومي البشري:

1- Marcus, G., & Davis, E. Rebooting AI: Building Artificial Intelligence We Can Trust, Pantheon, 2020. p. 45.

البُعد	مخرجات نموذج لغوي كبير (LLM)	تعريف أكاديمي بشري مضبوط
النص المنتَج	«السيميائيات هي علم يدرس العلامات والرموز والمعاني التي تنتجها في اللغة والثقافة. ظهرت مع فرديناند دو سوسير، وتطورت لاحقًا مع رولان بارت وأمبرتو إيكو، وتهتم بكيفية تفسير النصوص والصور.”	”السيميائيات حقل معرفي يدرس أنساق العلامات وأنماط اشتغالها في إنتاج المعنى، سواء تعلق الأمر باللغة أو الأنساق غير اللسانية. أسسها دي سوسير باعتبارها ‹علمًا يدرس حياة العلامات داخل المجتمع. (Cours de linguistique générale, 1916, p. 33). وطورها بورس عبر نموذجه الثلاثي للعلامة (الأيقونة، المؤشر، الرمز) (Peirce, Collected Papers, Vol. 2. p.247). وقد تعمقت مقارباتها مع بارت (1964) في تحليل الخطابات الثقافية، وإيكو (1976) في تنظير البنية السيميائية.“
الطابع العام	اتساق لغوي سطحي قائم على التجاور اللفظي.	بناء مفهومي محكم يستند إلى مرجعيات معرفية موثقة.
القيمة العلمية	يقدم تعريفا عاما صحيحا في خطوطه الكبرى، لكنه يفتقر إلى التوثيق والتحليل النقدي.	يحدد بدقة المفهوم، ويؤصل نظريا، ويوثق بالمراجع الأساسية، مما يجعله صالحا للاستعمال الأكاديمي.

نستنتج من خلال هذه المقارنة:

- أعطى النموذج اللغوي تعريفا شكليّا متماسكا، لكنه لم يميز بين المدارس السيميائية (السوسيرية مقابل البورسية) ولم يحدّد الإطار النظري.
- الباحث البشري لم يكتفِ بالوصف، بل (contextualize) المفهوم تاريخيا وفكريا، مع إحالات دقيقة تتيح التحقق Barthes. 1964، Peirce. 1932، Saussure. 1916، Eco. 1976.

النتيجة: يتّضح أنّ النماذج اللغوية تحاكي اللغة لكنها لا تنتج المعرفة الاصطلاحية بالمعنى العلمي، ممّا يؤكّد حدودها في بناء المفاهيم.

3- القيود المفاهيمية للنماذج اللغوية مقارنة بالبناء البشري للمصطلحات:

على الرغم من أنّ النماذج اللغوية الكبيرة في الترجمة الآلية أبانت على قدرات مبهرة،

في توليد النصوص، والإجابة عن الأسئلة المعقدة، فإنّها تواجه حدودًا صارمة حين يتعلّق الأمر ببناء المفاهيم والمصطلحات. والسبب في ذلك أنّ المفهوم الاصطلاحي ليس مجرد تتابع دلالي أو صياغة لغوية متماسكة، بل هو بنية تفاوضية تكتسب مشروعيتها من التداول الاجتماعي والمؤسسي داخل الجماعة العلمية. فالمصطلح لا يستمد شرعيته من الوضع المعجمي وحده، بل من قبوله واستعماله داخل حقل معرفي مخصوص. وذلك باعتبار أن المصطلحات أدوات تواصلية تُنتج وتُضبط من خلال التفاعل التخصصي.

في المقابل، لا تمتلك النماذج الذكية خبرة بشرية أو مرجعية ثقافية واجتماعية تؤهّلها لإقرار شرعية المصطلح أو تثبيته. فهي تعمل عبر إعادة تركيب كتل نصية مستخلصة من مدوّنات ضخمة، ممّا يجعلها قادرة على إنتاج نصوص تبدو متماسكة من الناحية الشكلية، لكنها قد تكون فاقدة للأساس المفهومي. ولعل هذا ما يفسّر ظاهرة الهلوسة الاصطناعية (AI Hallucination)، حيث تولد النماذج معارف أو مصطلحات مختلقة أو غير دقيقة، كما حدث في تجارب موثّقة أشار إليها «جي» (Ji) وزملاؤه؛ حينما قام نموذج لغوي بتوليد مراجع علمية غير موجودة لكنها مكتملة شكليا[1].

تُبرز هذه الظاهرة مفارقة أساسية بين المعلومة والمعرفة: فالنموذج يقدّم تجميعًا لمعلومات متفرّقة مأخوذة من النصوص المدرّب عليها، لكنه يعجز عن تحويلها إلى بناء معرفي أصيل ذي انسجام نظري. وقد نبّه «بندر» و«كولر» (Bender & Koller)، إلى أنّ النماذج الحالية تمثّل «آلات لتوليد الشكل» (Stochastic parrots)، أي أنّها تحاكي أنماط اللغة دون أن تمتلك فهمًا دلاليًّا أو قصدًا تداوليا حقيقيا[2].

ولتوضيح الفرق، يمكن النظر في هذا المثال التطبيقي: عند سؤال نموذج لغوي كبير عن تعريف «المصطلح اللساني»، قد ينتج إجابة متماسكة شكليًّا مثل: «المصطلح اللساني هو كلمة أو عبارة تستعمل في دراسة اللغة لوصف ظاهرة لغوية معينة». وعلى الرغم من صحّة هذه الصياغة في عمومها، فإنّها تبقى عامّة ومفتقرة إلى التأصيل العلمي. في المقابل، يقدّم الباحث البشري تعريفًا مضبوطًا مؤطّرًا نظريًّا، مثل: «المصطلح اللساني وحدة معرفية مقنّنة تستعمل ضمن علم اللغة للإشارة إلى مفهوم محدّد، وتكتسب

1- Ji, Z., Lee, N., Frieske, R., Yu, T., Su, D., Xu, Y., & Ishii, E. Survey of Hallucination in Natural Language Generation, ACM Computing Surveys, 55 (12), Article 24, 2023. pp. 1-38.

2- Bender, E. M., & Koller, A. Climbing towards NLU, p. 5186.

مشروعيتها من التداول العلمي والجماعي داخل مجتمع لساني متخصص»[1]. الفرق إذا بين الصياغتين يعكس حدود الذكاء الاصطناعي في تجاوز التجاور اللفظي إلى البناء المفهومي.

بناء على ذلك، يمكن القول إنّ النماذج اللغوية الكبيرة قادرة على دعم الباحث في استحضار الصيغ اللغوية والأمثلة، لكنها لا تستطيع القيام بوظيفة الجماعة العلمية في التفاوض حول المصطلح وضبطه معرفيًّا ومؤسّسيًّا. فهي تظلّ أداة مساعدة، لا بديلًا عن الخبرة البشرية التي تمنح الشرعية للمفاهيم والمصطلحات داخل حقول المعرفة.

4- إمكانات الذكاء الاصطناعي وتحدياته في المجال المصطلحي

يُثير التطور المتسارع في تقنيات الذكاء الاصطناعي سؤالًا جوهريًّا حول موقعه في الحقل المصطلحي: هل يمكن لهذه النماذج أن تتحول إلى فاعل مستقل في توليد المصطلحات، أم أنّ وظيفتها لا تتعدى المساعدة التقنية؟

من الناحية الإجرائية، أظهرت تجارب حديثة أن النماذج اللغوية الكبيرة (LLMs) قادرة على اقتراح صيغ لغوية مبتكرة استنادًا إلى أنماط مستخلصة من مدونات ضخمة متعددة اللغات. فعلى سبيل المثال، عند إدخال مصطلح جديد ناشئ في العلوم التقنية مثل: (quantum supremacy)، تستطيع هذه النماذج أن تقترح ترجمات أو مقابلات بالعربية مثل: (التفوق الكمي) أو (السيادة الكمومية). غير أنّ هذا الاقتراح يبقى في حدود التجاور اللفظي المستند إلى السوابق النصية، ولا يرقى إلى مستوى التثبيت الاصطلاحي الذي يتطلب إجماعًا مؤسّساتيًا وموافقة جماعية من المجتمع العلمي.

كما أنّ هذه النماذج قد تُنتج أحيانًا مصطلحات جديدة من خلال المزج التركيبي (combinatorial generation)، أي دمج جذور ومقاطع لغوية لتوليد تسميات تبدو متماسكة. غير أن هذه القدرة الاصطناعية تصطدم بحدود معرفية وثقافية واضحة: فالمصطلح ليس مجرد تركيب شكلي، بل هو بنية دلالية واجتماعية تُشرعن عبر التداول في فضاء أكاديمي أو مهني. فالمصطلح يعيش فقط داخل الجماعة العلمية التي تتبناه، وأنه يكتسب شرعيته من القبول التداولي لا من الوضع الآلي، كما بين ذلك «آلان ري».[2]

ويشير «عبد المجيد العلوي» في هذا الصدد إلى «أن تحليل الخطاب في ضوء الذكاء

1- Cabré, M. T. Terminology: Theory, Methods, and Applications, p. 37.
2- Rey, A. La terminologie: noms et notions, p. 25.

الاصطناعي لا يمكن أن ينفصل عن مبدأ التداول، لأنّ الذكاء الاصطناعي لا يُنتج المعنى إلا داخل سياق تواصلي تحكمه النية والغرض»[1]. أي أن مقاربة المصطلح داخل الصناعة الذكية لا بد أن تراعي هذا البعد التداولي الذي يمنح المعنى شرعيته الاجتماعية والمعرفية.

في المقابل، تُظهر التجارب العملية أنّ للذكاء الاصطناعي إمكانات مكملة مهمة في مجال المصطلحية:

- التنقيب في المدونات (Corpus mining) لاستخراج أنماط الاستعمال الشائعة للمفاهيم الجديدة.
- اقتراح البدائل الترجمية السريعة التي يمكن أن يعتمدها الباحث أو المترجم كمسودة أولية قبل إخضاعها للتدقيق.
- تسريع عملية التقييس عبر تقديم قوائم اصطلاحية قابلة للنقاش والتعديل داخل الهيئات المعتمدة كالمجامع اللغوية (ISO).

لكن حدود هذه الإمكانات تتجلّى بوضوح في ظاهرتين أساسيتين، هما:

- **غياب المرجعية المعرفية:** إذ تعجز النماذج عن التمييز بين الفروق الدقيقة بين المصطلحات في الحقول التخصصية. فمصطلح مثل (pragmatics) قد يُترجم آليا إلى (براغماتية) بالمعنى الفلسفي، بدلا من (تداولية) بالمعنى اللساني.
- **غياب الشرعية المؤسسية:** فلا يمكن للمصطلحات المنتجة آليًّا أن تُعتمد أكاديميًّا ما لم تمر عبر آليات التقييس والتداول العلمي. وهذا ما يجعلها أقرب إلى «مسودات لغوية» منها إلى «مفاهيم مصطلحية» بالمعنى الصارم.

وانطلاقًا ممّا سبق، يمكن القول إنّ إسهام الذكاء الاصطناعي في المصطلحية يظلّ مساعدًا أو تكميليًّا؛ فهو يفتح المجال أمام اقتراحات لغوية وتسهيل البحث المصطلحي، لكنّه لا يمتلك سلطة التثبيت ولا القدرة على إنتاج المفاهيم بالمعنى الذي قصده الباحثون في دراسات المصطلح. تبقى هذه السلطة حكرًا على الجماعة العلمية والمؤسسات اللغوية والمعرفية التي تملك آليات التوافق والشرعنة.

1- العلـوي (عبد المجيد). الذكاء الاصطناعي وتحليل الخطاب، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، ع 17، 2022م، ص88.

الذكاء الاصطناعي بين توليد الألفاظ وتقنين المصطلحات

1- التوليد الشكلي للمصطلحات:

ينبني هذا التحليل على إجراءات سيميائية-تداولية تروم استكشاف العلاقة بين البنية الاصطلاحية والممارسة التداولية داخل النماذج اللغوية الذكية، بالاستناد إلى تحليل الخطاب الاصطناعي وملاحظة تمفصل الدال والمدلول ضمن الفضاء التقني، وفق تصور «امبرتو إيكو»، و«جماعة مو» في تحليل العلامات داخل الأنساق الاصطناعية.

ويقوم هذا التحليل على مقاربة تداولية-سيميائية تسعى إلى تتبّع إنتاج المصطلح في سياقه التواصلي، لا بوصفه وحدة لغوية فحسب، بل باعتباره حدثًا تواصليًّا يعبّر عن مقاصد معرفية ومؤسساتية. وتستند القراءة التداولية هنا إلى رصد البعد المقصدي (intention) في توليد المصطلح، والشرعية التداولية التي تمنحه القبول داخل الجماعة العلمية. وبذلك، فإنّ التحليل لا يقتصر على البنية اللفظية أو الدلالية للمصطلحات، بل يتعدّاها إلى دراسة تداولها داخل الخطاب العلمي والمؤسساتي، وما يفترضه من علاقات بين المرسل (النظام أو الباحث) والمتلقي (الجماعة المعرفية) ضمن نسق من الأفعال التواصلية التي تؤطر الصناعة المصطلحية الذكية.

وبناء على هذا الأساس الإجرائي، سيتم تحليل مجموعة من الأمثلة الاصطلاحية المنتجة آليًّا داخل الصناعة الذكية، قصد تبين خصائصها الشكلية والدلالية وحدودها التداولية والمؤسسية.

لقد أبانت تجارب الذكاء الاصطناعي التوليدي، ولا سيما النماذج اللغوية الكبرى (LLMs)، عن قدرة ملحوظة على إنتاج وحدات لغوية جديدة انطلاقًا من تحليل كم هائل من السياقات النصية. غير أن هذه القدرة تظل محصورة في نطاق التوليد الشكلي، أي إنتاج سلاسل لفظية تُركب وفق قواعد إحصائية واحتمالية للغة، دون أن تستند بالضرورة إلى مشروع مصطلحي متكامل يقوم على ضبط المفاهيم وبنائها ضمن نسق معرفي. ويرى «عبد الكريم اعقيلان» أنّ التقدم الذي أحرزته تطبيقات الذكاء الاصطناعي في ميدان التواصل اللغوي ما زال متفاوتًا من لغة إلى أخرى، إذ تواجه اللغة العربية صعوبات خاصة تتعلّق بطبيعتها الصرفية والإعرابية ودقّة الخوارزميات الموجّهة لمعالجتها[1].

1- اعقيلان (عبد الكريم). التعبير اللغوي في الذكاء الاصطناعي: اللغة العربية أنموذجا، مجلة جامعة القاسمية للآداب والعلوم الإنسانية، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، مج 3، ع 2، 2024م، ص177.

وهذا يعني أنّ التحدّي المصطلحي في الصناعة الذكية لا ينحصر في توليد الصيغ، بل يمتدّ إلى قدرة النماذج على تمثيل الخصوصية اللسانية والثقافية في اللغات الطبيعية، وعلى رأسها اللغة العربية.

وكما سبقت الإشارة في المحور الأول، فإنّ التمييز بين اللفظ والمفهوم يظلّ أساسًا لكلّ مقاربة مصطلحية، وهو ما يبرز حدود التوليد الشكلي الذي تقدمه النماذج الذكية، إذ تنتج ألفاظا متماسكة ظاهريا، لكنها لا تُدمج ضمن نسق مفاهيمي مُحكم يؤطّرها داخل نظام معرفي تداولي.

أمثلة تطبيقية من التوليد الشكلي:

عند اختبار النماذج الذكية في اقتراح مقابلات عربية لمفاهيم تقنية حديثة مثل (Blockchain)، يظهر أنها تنتج صيغًا متعدّدة من قبيل: «سلسلة الكتل»، «كتلة السلسلة»، «سلسلة البيانات المترابطة»... إلخ. ويتكرر الأمر ذاته مع مصطلحات ناشئة في حقل الذكاء الاصطناعي مثل (Prompt Engineering)، حيث تُقترح ترجمات متفاوتة مثل: «هندسة المحفزات»، «هندسة الأوامر»، «هندسة التوجيهات»... إلخ.

تُبرز هذه الأمثلة أنّ الذكاء الاصطناعي يمتلك قدرة معتبرة على التوليد الصوري للألفاظ، إذ يقدم تنويعات لغوية منسجمة شكليًّا ومتوافقة مع بنية اللغة.

غير أنّ هذه القدرة تظل في حدود التوليد اللفظي الأولي، لأنّها لا تراعي البُعد المفهومي ولا تدخل في آلية الضبط الاصطلاحي. وهو ما يجعلها مجرد صيغ محتملة لا ترقى إلى مرتبة المصطلح العلمي. كما يشير «جون ك. سايجر»، إلى محدودية التوليد الشكلي في المصطلحات، وذلك أنّ المصطلح ليس أداة تسمية فحسب، بل أداة تواصلية تنقل معرفة متخصصة داخل الجماعة العلمية.[1]

ولإيضاح الأمر في السياق العربي، يمكن رصد أمثلة إضافية تكشف عن تعدد الصيغ الآلية مقابل تثبيت التداول:

التقنية والرقمنة - Cloud Computing:

يقترح الذكاء الاصطناعي «الحوسبة السحابية»، «الحوسبة الغيمية»، «الحوسبة عبر

1- Sager. A Practical Course in Terminology Processing, p. 59.

الإنترنت». وقد استقرّ التداول المؤسساتي، خصوصًا عبر مجمع القاهرة، على «الحوسبة السحابية». يمثّل هذا مثالًا واضحًا على التفاوت بين التوليد المتعدد والشرعية التداولية التي منحت الأفضلية لصيغة واحدة.

الذكاء الاصطناعي - Machine Learning:

المقترحات الآلية: «التعلم الآلي»، «التعلم الميكانيكي»، «التعلم الحاسوبي». وقد كرّس التداول الأكاديمي صيغة «التعلم الآلي»، بفضل استعمالها في الأبحاث الجامعية والمجلات العلمية. وهنا يظهر أثر القبول الجماعي في ترسيخ صيغة بعينها.

العلوم الطبية - Stem Cells:

التوليد الآلي يقترح «خلايا الجذع»، «الخلايا الجذرية»، «الخلايا الجذعية». لكن التداول الأكاديمي والطبي في العالم العربي استقرّ على «الخلايا الجذعية»، وهو ما يوضح آلية التثبيت المؤسّسي من خلال المؤتمرات الطبية والمجلات المتخصّصة.

الثقافة الرقمية - Hashtag:

المقترحات: «وسم»، «هاشتاغ»، «إشارة تصنيف». الاستعمال الاجتماعي الواسع كرس «هاشتاغ»، بينما فضّل مجمع القاهرة اعتماد «وسم». ويكشف هذا المثال عن التوتر القائم بين التداول الشعبي والقرار المؤسساتي.

الإعلام والسياسة - Fake News:

الذكاء الاصطناعي يقترح: «الأخبار الزائفة»، «الأخبار المضللة»، «الأخبار الكاذبة». وقد مالت وسائل الإعلام العربية إلى اعتماد «الأخبار الكاذبة» و«الأخبار الزائفة»، ما يبرز دور الاستعمال الإعلامي الجماهيري في الحسم أكثر من المؤسسات.

تُظهر هذه الأمثلة أنّ النماذج الذكية، رغم قدرتها على توليد صيغ متعددة منسجمة من الناحية الشكلية، فإنّها تبقى عاجزة عن بلوغ مرحلة «الإنتاج المصطلحي» بالمعنى العلمي الدقيق. فالمصطلح لا يُبنى على الانسجام اللغوي وحده، بل يحتاج إلى تثبيت مؤسسي واستعمال جماعي يضمن استقراره ضمن نسق معرفي متكامل. وهنا يبرز أنّ التوليد الآلي ليس سوى خطوة أولى في مسار طويل، يتطلب المرور عبر قنوات التفاوض والتقنين قبل أن يحظى أي لفظ بشرعية المصطلح.

2- المصطلح والشرعية التداولية:

يُعد مفهوم الشرعية التداولية من الركائز الجوهرية في الدرس المصطلحي الحديث؛ فالمصطلح ليس مجرد علامة لغوية، بل هو بنية تداولية ذات وظيفة اجتماعية ومؤسساتية. وقد أوضح «آلان ري» و«سايجر» أن المصطلح لا يكتسب مشروعيته من بنيته الشكلية وحدها، بل من خلال اندماجه في شبكة تواصلية داخل جماعة علمية متخصصة، حيث يُرسخ بالتداول ويُثبت بالممارسة الجماعية.

وعليه، فإنّ ما تولده النماذج الذكية من صيغ جديدة، على الرغم من انسجامها الصوري الذي عرضناه في الفقرة السابقة، يظلّ مجرد اقتراح أولي. إذ لا تتحول هذه الألفاظ إلى مصطلحات معتمدة إلا بعد أن تتبناها جماعة معرفية وتكرّسها الاستعمالات المؤسسية. إنّ غياب هذا الشرط التداولي يجعل المنتجات الآلية فاقدة للشرعية العلمية، ويعيد التأكيد على أنّ سلطة الحسم تبقى بيد الإنسان والجماعة العلمية التي تمنح للمفهوم الاصطلاحي قيمته النهائية.

3- المصطلح بين التوليد الآلي والتقنين البشري:

يُبرز تحليل العلاقة بين التوليد الآلي للألفاظ والتقنين البشري للمصطلحات توترًا بنيويًّا يكشف عن الدور المحوري للإنسان باعتباره الفاعل التأويلي الأول. فالذكاء الاصطناعي يُظهر قدرة معتبرة على توليد صيغ لغوية منسجمة واقتراح بدائل متعددة، لكنّه يظلّ أسير المستوى الشكلي، عاجزًا عن الارتقاء إلى إنتاج المصطلح كنسق مفهومي تداولي متكامل. فالمعالجة الآلية للغة ما تزال قاصرة عن بلوغ مستوى الفهم الدلالي الكامل، لأنها تعتمد على المحاكاة الشكلية دون استحضار مقاصد المتكلم وسياقات الخطاب.

إنّ محدودية الذكاء الاصطناعي في إنتاج المفهوم لا تعود إلى عيب في قدرته الإحصائية، بل إلى غياب المقاصد التداولية والمرجعيات الثقافية التي تمنح المعنى عمقه المعرفي والاجتماعي. فالمصطلح لا يُثبت بمجرد توليده، بل يحتاج إلى المرور عبر مؤسسات ومعايير جماعية، مثل: المجامع اللغوية، واللجان العلمية، والهيئات المعجمية، التي تمتلك وحدها سلطة الحسم في تحديد ما يُعتمد ويُرسخ في الاستعمال.

هذا المعطى يؤكّد أنّ مستقبل العمل المصطلحي لن يقوم على استبدال الإنسان بالآلة، بل على بلورة مقاربة تكاملية تجعل من الذكاء الاصطناعي أداة مساعدة في التوليد

والاقتراح، دون أن تُنتزع من الجماعة العلمية سلطتها في تقنين المفاهيم وضبطها. فالآلة تُحسن إنتاج صيغ متعددة في وقت وجيز، لكنها تفتقر إلى البعد التداولي والمؤسساتي الذي يحول اللفظ إلى مصطلح شرعي.

وقد نبّه «وستر» منذ البدايات إلى أنّ توحيد المصطلحات مشروع إنساني-مؤسساتي بالدرجة الأولى، يقوم على التوافق الجماعي أكثر ممّا يقوم على أي شكل من أشكال التوليد الفردي أو الآلي[1]. فالمصطلح نتاج سيرورة اجتماعية وثقافية تستلزم التثبيت عبر شبكات التواصل العلمي. ومن ثم، فإنّ دمج الذكاء الاصطناعي في مجال المصطلحية ينبغي أن يُفهم باعتباره إضافة داعمة لعمل الباحث والمترجم، لا بديلًا عن دورهما المركزي.

ويُظهر هذا الوضع أن مركزية الإنسان تبقى ركيزة في عملية تقنين المصطلحات، بوصفه القادر على الموازنة بين الدقة اللغوية والعمق المفهومي والبعد التداولي. ومن هنا فإنّ التكامل بين قدرات الذكاء الاصطناعي وإسهامات الجماعة العلمية هو الخيار الممكن لتطوير العمل المصطلحي في المستقبل، بحيث يُستثمر الذكاء الاصطناعي في التوليد الأولي، بينما يُمنح الحسم النهائي للمؤسسات المختصّة التي تضمن الشرعية والاستقرار.

نستنتج مما سبق؛ أن الفارق الجوهري بين التوليد الشكلي للألفاظ وإنتاج المصطلحات يكمن في البعد التداولي والاجتماعي. فالذكاء الاصطناعي يمتلك كفاءة تقنية في اقتراح سلاسل لفظية جديدة، غير أن هذه الكفاءة تظلّ قاصرة عن إرساء الشرعية الاصطلاحية التي لا تتحقّق إلا عبر الجماعة العلمية والمؤسسات المختصة. ومن ثمّ، فإنّ أي توليد آلي لا يعدو أن يكون خطوة أولية في مسار طويل يمر بالتفاوض، والتثبيت، والاستعمال المؤسسي.

ويُظهر هذا الوضع أنّ مركزية الإنسان تظلّ ركيزة في عملية تقنين المصطلحات، باعتباره الفاعل التأويلي الذي يملك سلطة التمييز بين المقترحات اللفظية وتحديد ما يمكن أن يتحول إلى مصطلح معتمد. وعليه، فإنّ التكامل بين قدرات الذكاء الاصطناعي وإسهامات الباحثين والهيئات المصطلحية هو الخيار الممكن لتطوير العمل المصطلحي في المستقبل، بحيث تُستثمر الآلة في التوليد والاقتراح، بينما يُحسم أمر الشرعية والتثبيت داخل الأطر العلمية والاجتماعية.

1- Wüster. Einführung in die allgemeine Terminologielehre und terminologische Lexikographie, p.3.

ومن هذا المنظور، لا تنحصر إشكالية المصطلح الصناعي في بُعده التقني أو التركيبي، بل تمتد إلى فضائه التداولي والمؤسسي الذي يمنحه الاعتراف والشرعية داخل الحقول المعرفية. فعلى الرغم من أن النماذج اللغوية الذكية تُظهر قدرة لافتة على توليد المصطلحات بصورة آلية دقيقة ومطابقة للسياق التركيبي، فإن هذا التوليد يظلّ محدودًا في مستواه الخوارزمي، ولا يمتد إلى مستوى الشرعية التداولية التي تُكتسب عبر الاستعمال الإنساني والاجتماعي للمصطلح داخل المؤسسات الأكاديمية والمعرفية. إن المصطلح لا يكتسب قيمته المعرفية إلا حين ينتقل من مرحلة التوليد الآلي إلى مرحلة التداول البشري، أي حين يُدمج ضمن شبكات الخطاب العلمي ويتبنّاه الفاعلون المعرفيون والمؤسسات اللغوية التي تمنحه صفة القبول والاستعمال. «فالذكاء الاصطناعي، على الرغم من تقدّمه في معالجة اللغة، ما زال غير قادر على بلوغ مستوى الإبداع البشري في مجالات التعبير؛ لأنه يعتمد على مبدأ الاختيار المبرمج خوارزميا دون امتلاك أدنى درجات الشعور الإنساني»[1].

ويؤكّد هذا الطرح أنّ الصناعة المصطلحية الذكية، مهما بلغت من الدقة الإحصائية، تظل في حاجة إلى الفاعل البشري لتقنين المفهوم وتأطيره ضمن نسق معرفي وتداولي متكامل. ومن ثمّ، فإنّ الذكاء الاصطناعي يظلّ فاعلًا إجرائيًّا في اقتراح المصطلحات، دون أن يبلغ بعدُ مرتبة الفاعل التداولي القادر على تأسيس المعنى وإرساء الشرعية المفهومية والاجتماعية، وهو ما يجعل من الصناعة المصطلحية الذكية مشروعا في طور التبلور أكثر منه واقعًا تداوليًّا متكاملا.

1- اعقيلان (عبد الكريم). التعبير اللغوي في الذكاء الاصطناعي، ص164.

خاتمة

تظهر نتائج هذه الدراسة أنّ الذكاء الاصطناعي، على الرغم من قدراته التقنية المتقدمة في معالجة اللغة وتوليد صيغ لغوية جديدة، يظلّ عاجزًا عن أداء الوظائف المصطلحية بالمعنى الدقيق. فالمصطلح ليس مجرد سلسلة لفظية، بل هو بنية مفهومية تداولية تتشكّل داخل الجماعة العلمية، وتستمدّ شرعيتها من التوافق الاجتماعي والمؤسساتي. ومن ثَمّ، فإن مخرجات النماذج الذكية، مهما بدت منسجمة شكليًّا، تبقى في مرتبة المقترحات الأولية التي تحتاج إلى المرور بمسار معقد من التفاوض والتثبيت قبل أن تتحوّل إلى مصطلحات علمية راسخة.

لقد أبرز التحليل بعض النماذج التطبيقية أن القيمة الحقيقية للعمل المصطلحي تكمن في اندماج الأبعاد الثلاثة: الضبط المفهومي، التثبيت المؤسسي، والتكريس التداولي. وما لم تُستوف هذه الشروط، فإنّ ما تولده النماذج يظل «أشباه مصطلحات»، أي بنيات لغوية بلا شرعية تداولية. وهنا يظهر أنّ مركزية الإنسان، ممثلا في الباحثين والمجامع اللغوية والهيئات العلمية، تظل شرطا أساسيا في أي مشروع لتوحيد المصطلحات وتقنينها.

إذن؛ هذه الورقة البحثية لا تقف عند حدود الوصف، بل تقدم مقاربة نقدية تتقاطع مع أهداف الندوة الدولية، إذ تبحث عن أثر الذكاء الاصطناعي في اللغة والمعرفة، وتكشف عن حدود الأتمتة في المجالات الإنسانية، وخاصة في الحقول الاصطلاحية والمعجمية. ومن خلال هذا المنظور، يمكن القول إنّ الذكاء الاصطناعي لا يُقصي دور الإنسان، بل يفتح المجال أمام أشكال جديدة من التكامل بين التقنية والجماعة العلمية، بما يعيد صياغة العلاقة بين الآلة والمعرفة.

وقد أفضى هذا البحث إلى مجموعة من النتائج الأساسية، أهمّها:

- إنّ الذكاء الاصطناعي ينتج بنيات لغوية أولية منسجمة شكليًا لكنها تفتقر إلى الشرعية التداولية.
- إنّ المصطلح يكتسب قيمته من إدماجه في نسق مفهومي مضبوط وتفعيله في الاستعمال المؤسسي.
- إنّ سلطة التثبيت الاصطلاحي تظل بيد الإنسان، عبر الباحثين والمجامع اللغوية والهيئات العلمية.

- إنّ التكامل الممكن بين الآلة والإنسان يتمثّل في استثمار قدرات الذكاء الاصطناعي في التوليد الأولي، مع بقاء سلطة الحسم للجماعة العلمية.
- وإلى جانب هذه النتائج، طرحت الدراسة بعض الإشكالات التي تشكّل نواة لبحوث مستقبلية، منها:
- دراسة كيفية إدماج الذكاء الاصطناعي في بنوك المصطلحات وقواعد البيانات الاصطلاحية.
- التفكير في نماذج تكامل وظيفي تجعل من الذكاء الاصطناعي أداة اقتراحية أولية دون أن يُقصي دور الجماعة العلمية.
- بحث المخاطر المحتملة لفوضى الترجمات والمصطلحات في غياب الإطار المؤسساتي الضابط.

إنّ هذه الآفاق تكشف عن تحديات عملية كبرى، لكنّها تتيح في الوقت ذاته فرصًا لتعزيز التعاون بين التقنية والمؤسسات العلمية، بما يسهم في تطوير السياسات اللغوية والمعجمية، ويمكن من استثمار الذكاء الاصطناعي دون التفريط في الشرعية التداولية التي تمنح المصطلحات قيمتها العلمية والثقافية. وعليه، يمكن النظر إلى هذا البحث باعتباره خطوة تأسيسية نحو بلورة مقاربة نقدية متوازنة، تُبرز إمكانات الذكاء الاصطناعي وحدوده، وتفتح الطريق أمام بحوث أوسع في مستقبل العلاقة بين التقنية والمعرفة الإنسانية.

قائمة المصادر والمراجع

باللغة العربية:

- اعقيلان (عبد الكريم). التعبير اللغوي في الذكاء الاصطناعي: اللغة العربية أنموذجا، مجلة جامعة القاسمية للآداب والعلوم الإنسانية، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، المجلد 3، العدد 2، 2024م.
- البوشيخي (الشاهد). نظرات في المصطلح والمنهج، مطبعة الرسالة، فاس المغرب، ط1، 1994م.
- تمام (حسان). اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1985م.
- العلوي (عبد المجيد). الذكاء الاصطناعي وتحليل الخطاب، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، العدد 17، 2022م.
- المسدي (عبد السلام). العقل اللغوي العربي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1990م.

References:

- Bender, E. M., & Koller, A. Climbing towards NLU: On meaning, form, and understanding in the age of data, Proceedings of ACL, 2020.
- Cabré, M. T. Terminology: Theory, Methods, and Applications, Amsterdam & Philadelphia: John Benjamins Publishing Company, 1999.
- Ji, Z., Lee, N., Frieske, R., Yu, T., Su, D., Xu, Y., & Ishii, E. Survey of Hallucination in Natural Language Generation, ACM Computing Surveys, 55 (12), Article 248, 2023.
- Jurafsky, D. & Martin, J. H. Speech and Language Processin, (3rd ed.), Pearson, 2023.
- Manning, C. & Schütze, H. Foundations of Statistical Natural Language Processing, MIT Press, 1999.
- Marcus, G., & Davis, E. Rebooting AI: Building Artificial Intelligence We Can Trust, Pantheon, 2020.
- Mikolov, T., Chen, K., Corrado, G., & Dean, J. Efficient Estimation of Word Representations in Vector Space, ICLR Workshop Papers, 2013.
- Rey, A. La terminologie: noms et notions, Pres. Universitaires de France, Paris, 1979.
- Sager, J. C. A Practical Course in Terminology Processing, Amsterdam & Philadelphia: John Benjamins, 1990.
- Vaswani, A., et al. Attention is All You Need, NeurIPS, 2017.
- Winograd, T. Understanding Natural Language, Academic Press, 1972.
- Wüster, E. Einführung in die allgemeine Terminologielehre und terminologische Lexikographie, Wien: Springer-Verlag, 1979.

المُصطلحُ الحِجاجيُّ بين الحدّ والتّوليد

The Argumentative Term Between Definition And Generation

أ. د. عليّ الشّبعان

أستاذ تحليل الخطاب ومناهج النّقد الحديث ونظريّات التّرجمة

جامعة الوصل، دبي، الإمارات العربيّة المتّحدة

Prof. Ali Achabaane

Professor of Discourse Analysis, Modern Criticism Methods, and Translation Theories

Al Wasl University, Dubai, United Arab Emirates

https://doi.org/10.47798/fom.2025.i05.08

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

يتناول هذا البحثُ إشكاليّة المصطلح الحِجاجيّ من منظور ديناميكيّ يبرز طبيعته المتحوّلة داخل الحقول التداوليّة، متجاوزًا المقاربات التعريفيّة الجامدة.

وينطلق من فرضيّة مُفادها أنّ المصطلحات تخضع لسيرورة مستمرّة من التّوليد والتوسّع الدلاليّ بفعل الإستعمال والسّياق.

وقد بيّن البحثُ أنّ المصطلح الحِجاجيّ، إنّما يتعرّض إلى تحويلات دلاليّة ثلاثة: الضمور، والتضخّم، والإنحراف، بما يعكس تفاعله مع الأنساق المعرفيّة والإيديولوجيّة.

وقد اِتّخذ البحثُ من متصوّر «بنينة الواقع» أنموذجًا تطبيقيًّا، مبرزًا محدوديّة تعريفه في سياق الحِجاج التّحاوريّ، حيث يُختزل في تحويل الواقع الذّهنيّ للمتحاورين وتوجيه قناعاتهم.

وفي مقابل ذلك، يقترح توسيع هذا المتصوّر عبر آليّة التتميم المعرفيّ، بما يسمح بتوليد دلالات جديدة، تتجاوز البعد اللّغوي إلى مستويات رمزيّة وتأويليّة وأنطولوجيّة، تُسهم في إعادة تشكيل الواقع ونظمنة المعنى.

ويخلص البحث إلى أنّ التوسّع الدلاليّ، إنّما يُعدّ قانونًا مركزيًا في إنتاج المعرفة، وأنّ المصطلح ليس أداةً تقنيّة محايدة، بل بنية حيّة تعكس صراع التّأويلات وتوجّهها، وترتبط عضويّاً بالوضع الإنسانيّ وسعيه إلى بناء العالم وفهمه.

الكلمات المفاتيح: المتصوّر، التوسّع الدلاليّ، الحجاج، المجال التّداوليّ، التّوليد المصطلحيّ.

Abstract

This study examines the argumentative term from a dynamic perspective that highlights its evolving nature within pragmatic fields, moving beyond rigid definitional approaches. It is grounded in the assumption that terms undergo continuous processes of generation and semantic expansion under the influence of usage and context. The study demonstrates that the argumentative term is subject to three types of semantic transformation: reduction, expansion, and deviation, reflecting its interaction with cognitive and ideological systems.

The concept of “structuring of reality” is adopted as a case study, revealing the limitations of its definition within dialogical argumentation, where it is confined to transforming the interlocutors’ mental reality and guiding their convictions. In response, the study proposes an expansion of this construct through a process of epistemic completion, enabling the generation of new meanings that extend beyond the linguistic dimension to symbolic, interpretive, and ontological levels, thereby contributing to the reconfiguration of reality and meaning.

The study concludes that semantic expansion constitutes a central principle in knowledge production, and that the term is not a neutral technical tool but a living structure reflecting competing interpretations and orientations, intrinsically linked to the human condition and its endeavor to construct and comprehend the world.

Keywords: Construct, Semantic Expansion, Argumentation, Pragmatic Field, Terminological Generation.

توطئةٌ:

يطرح المصطلحُ الحِجاجيُّ لدى من أغوتهم العنايةُ به من الفلاسفة والمنظّرين عربٍ وأعاجمَ، قديما وحديثا[1]، إشكالاتٍ كثيرةً تختلف باختلاف الأفق النّظريّ الّذي ينوي الباحثُ بلوغ مآلاته، أو يقدّر الدّارسُ إدراك مراميه.

ولعلّ من بين هذه الإشكالات الكثيرة المتعلّقة بالمصطلح الحِجاجيّ في المصنّفات النّظريّة المعاصرة، قضيّةُ التّوسّع الدّلاليّ[2] الّذي يطرأ على المتصوّرات الحِجاجيّة، فيرحل بمعانيها إلى أقاليمَ جديدة مشتقّة، تثري أصل المتصوَّر وتعمّق نواته البدئيّة، إذ تفتحه على إمكانات معنويّة تترسّب وتتراكم فيمكّنها التّداولُ فتصير مصطلحاتٍ قارّةً واستعمالاتٍ موثّقةً يعرف مقاصدَها أهلُ الاختصاص يدقّقون محتوياتها، ويضبطون فروقاتِها حتّى لا تلتبس بغيرها من الأشباه والمترادفات ولا تضيعَ خواصُّها في المشترك العامّ، أعني ما تعاهد عليه العقلُ البشريُّ - وهو يولّد معانيه ويقيم جسور تواصله- من ألفة التّبالغ بالشّبيه، يقرّب الفكرةُ فيشيعها، ويناظر المعنى فيجريه.

وسنعتني لبيان حقيقة ظاهرة التوسّع الدّلاليّ الواقعة على المتصوّرات الحِجاجيّة، بمتصوّر "بَنْيَنة الواقع»[3] وما يتّصل به من محمولات تُردّ إلى نواته المتصوّريّة وما ترشح به تلك النّواة بعد أن يطرأ عليها التّوليدُ والتّوسيع من مشتقّات دلاليّة تراكمها الخبرةُ ويكثّرها الاستعمالُ، فتلبس رداء المصطلح بعد أن تستقرّ في المجال التّداوليّ الّذي يمنحها قرارا مؤقّتا يتحوّل بتغيّر حاجة النّاس إلى ما يفي بضرورات اجتماعهم، وما يحقّق تواصلهم المعرفيّ، فتتغيّر بذلك دلالةُ المصطلح وتصير تحت وقع الحاجة، متصوّرا يجري عليه ما جرى على سلفه الأوّل من تبديل وتحويل ينتهي بعد أن يقوم الاستعمال بشرعنته

1- لمزيد التّعمّق في تاريخ النّظريّة الحِجاجيّة من النّشأة إلى راهن أيّامنا، راجع المؤلَّفين التّاليين:
أهمّ نظريّات الحِجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحِجاج، إشراف: (صمّود) حمّادي. منّوبة، تونس، ط/1، 1999.

(*) Histoire de la rhétorique dés Grecs à nos jours, sous la direction de Meyer (Michel), Librairie générale Française, 1999.

2- عن قضيّة التوسّع الدّلاليّ وعلاقتها بحركيّة المصطلح، راجع، - تمثيلا لا حصرا-، إبراهيم (عبد اللّه). الثّقافة العربيّة والمرجعيّات المستعارة، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1/، 2010، وخاصّة، الباب الثّاني: (المفاهيم والأنساق الثّقافيّة، هيمنة المحمول الغربيّ) ومن هذا الباب يُراجع، الفصل الأوّل: (المصطلح والانزياحات الدّلاليّة)، ص ص، 152-129.
وكذلك، (الزّيديّ) توفيق. جدليّة المصطلح والنّظريّة النّقديّة، قرطاج 2000، تونس، ط/1، 1998.

3- لقد أخذنا، هذا المصطلحَ من كتاب، (فليب برتون): Breton (Philippe)، الحِجاج في المحاورة:
- L'argumentation dans la communication, Éditions la Découverte, Paris, 2003.

والفاعلون اللّغويّون بإثباته، مصطلحًا يَقرّ قرارُه حينا من الزّمن، ثم يشرع من جديد في الرّحلة والظّعن، التَّرحال والسّفر.

إنّها حياة المصطلحات شبيهةٌ في حياتها بحياة منشئها أعني: الإنسان لا يقرّ له قرارٌ ولا تهدأ له حركةٌ يسابق الجديدَ الحادثَ ويلهث وراء المستحيل الممتنع، حتّى يصنع معنى لوجوده ويقيم برهانا على إرادته.

فكيف ضبط أهلُ التّنظير متصّوّر «بنينة الواقع»[1] من جهة حدّه ومن منطلق تعريفه؟

كيف حدثت عمليّة التّوسّع الدّلاليّ الّتي جرت على المتصوّر وما هي أهمّ قوانينها؟

كيف تحدث النّقلةُ من المتصوّرات إلى المفاهيم ومن المفاهيم إلى المصطلحات، وما علاقة ذلك بأنظمة إنتاج المعنى: ذهنيّا وحسيّا؟

إلى أيّ مدى تُعتبر عمليّة التّوسيع الدّلاليّ الجارية على المتصوّرات والمفاهيم والمصطلحات: قانونا مركزيّا في توليد المعارف وتشقيق العلوم؟

كيف تبدو العلاقةُ بين ظاهرة التّوليد الدّلاليّ والتّشقيق المصطلحيّ وبين منزلة الإنسان في الوجود، أهي علاقةُ ارتباط أنطولوجيّ ينخزل إليها سؤالُ الوجود، أَم هي علاقةُ اقتضاء لغويّ تنتهي بانتهاء الحاجة إلى التّبالغ وتنقضي بانقضاء الدّافع إلى التّواصل؟

كيف يمكن تحويل المبحث المصطلحيّ، من مبحث تقنيّ إلى سؤال وجوديّ، يتأسّس على دعوى نظريّة حاصلُ أمرها، أنّ الأبنية اللّغويّة البسيطة، تتضمّن أسئلةً فلسفيّةً عميقةً وحيراتٍ أنطولوجيّةً غائرةً، يحتاج كشفُها والظّفر بأسرارها، تأويلا وهتكا عنيفين تصير بمقتضاهما المصطلحاتُ، خياراتٍ بشريّةً وإمكاناتٍ تصوّريّةً تُترجم عقائد عالِم المصطلح يرشّح معنًى ويبطل آخرَ، حسب اقتضاء المصلحة، أو وقوعا تحت طائلة فعل رمزيّ: (دينيّ/سياسيّ، ثقافيّ / حضاريّ، نفسيّ/ سيكوكوجيّ...) يوجّه مسارات التّوليد ويحدّد حركة الإنشاء؟

1- Structuration du réel

1- في قضايا المصطلح الحِجاجيّ:

من البداهة القولُ إنّ للمصطلح الحِجاجيّ شأنُه شأنُ كلّ مصطلح، دورا أساسيّا في تكوين المعرفة وإرساء قواعد العِلم، إذ لا علم دون مصطلح ولا معرفة دون مفهوم فتلك أشراطٌ تقضي بها نظريّة المعرفة، حتّى نقول: إنّ هذا العلمَ علمٌ وإنّ تلك المعرفةَ معرفةٌ[1].

و من هذا المنطلق النّظريّ العامّ الّذي يُنمي إلى المصطلح دورا أساسيّا في تكوين المعرفة وإرساء قواعد العلم، فإنّ ما يطرأ على المصطلحات عامّة، يطرأ على المصطلح الحِجاجيّ من جهة اِنطباعه بجوامعَ مشتركة توحّد بين المصطلحات في الانتماء إلى السّلالة المصطلحيّة وهي سلالةٌ نوعيّة تتقارب في المشتركات، وتتباين في الميزات الفرديّة والخصائص الذّاتيّة الّتي تكتسبها المصطلحاتُ من المجالات التّداوليّة الّتي تحضنها والبيئات العلميّة الّتي تحيط بها أو تنشأ في دائرة جذبها فتحصل للمصطلحات - من جرّاء انفعالها بقواعد المجال التّداوليّ-، ثلاثةُ أضربٍ من أنواع التّحويل[2]:

- الضّمور الـدّلاليّ
- التضخّم الـدّلاليّ
- الاِنحراف الدّلاليّ

و هذه الأضرب الثّلاثة من أضرب التّحويل المنجرّة عمّا يحدثه المجالُ التّداوليّ في المصطلحات من آثار، تدلّ دلالة ظاهرة على أنّ للمصطلحات حياةً نامية ووضعًا وجوديّا متحوّلا يجعلها كِياناتٍ شبيهةً بما يحصل للإنسان - في رحلة بحثه عن معنى لوجوده- من التقلّب والاِضطراب ومن المحن والنّوازل تغيّر مساره وتبدّل وجهة طلبه، فيبطل ما اِستقرّ ويرشّح ما كان أقصاه الفاعلان الأكبران أعني: التّاريخ والشّرعنة الاستعماليّة من مدلولات لمتصوّرات ومعان لمصطلحات استقرّت داخل أنظمة المؤسّسة اللّغويّة، فثبتت مداليلها وتوهّم مستعملوها أنّها أوضاعٌ خالدة لا يعتور عليها تبديلٌ ولا يدركها تحويلٌ، لأنّها اشتهرت بينهم فصارت مألوفةَ المعنى بيّنةَ الدّلالة.

ولكنّ عَصْف التّاريخ وتبدّل الأحوال، ينتج عنهما انفعالُ المصطلحات بما هي كياناتٌ حيّةٌ - انفعالا مباشرا تكون ضروب التّحويل الثّلاثة الّتي سبَق ذكرها، هيئاتٍ ممكنةً

1- إبراهيم (عبد آللّه). الثّقافة العربيّة والمرجعيّات المستعارة، (المرجع السّابق).
2- المرجع نفسه.

يمكن أن تَشتقّ منها الأوضاعُ والنّوازلُ، ما لا نهاية له من وجوه التّبديل والتّحويل الّتي قد تطرأ على المصطلح فتغيّر متعلّقاتِه المتصوّريّةَ، وتبدّل محموله الدّلاليّ، فينزل في مقام استعماليّ ليس المقام ذاته الّذي ألفه وتعوّد عليه.

وحتّى لا تطول بنا الإستطرادات النّظريّة في شأن طبيعة المصطلح عامّة وخصائصه وأشراط تداوله خاصّة، فإنّنا سننقل كلامنا إلى دائرة المصطلح الحِجاجيّ الّذي اتّصف بالتّبدّل وانطبع بالتحوّل، مذ نشأ في البيئتين الأثيلتين أعني: البيئة اليونانيّة والبيئة الرّومانيّة، وصولا إلى بيئات المحدَثين من العجم والعرب[1]، حيث بدا لنا من تَرحال المصطلح يشقّ التّاريخَ ويخترق الأزمنةَ، أنّه اتّخذ في جملته ثلاثة مفاهيمَ أساسيّة:

- الحِجاج: قاسما مشتركا بين علمي الجدل والخطابة: (أفلاطون/ أرسطو/ السّفسطائيّون).
- الحِجاج: مستقلاّ عن صناعة الجدل والخطابة وموصولا بالأنظمة البرهانيّة والتّناظرات العقليّة والمعادلات المنطقيّة: (النّظريّات المنطقيّة الشّكليّة، فينيو/ أبوستال...).
- الحِجاج: مبحثا لغويّا قائما برأسه تصله بنظريّة الأعمال اللّغويّة والتّأثيرات المقاصديّة والتّوظيفات الإيديولوجيّة، روابطُ جمّةٌ تجعله بنية مركّبة تنفعل بالأسيقة التّداوليّة الحاضنة: ((السّياق الاجتماعيّ)، (السّياق الفكريّ)، (السّياق السّياسيّ)، (السّياق الدّينيّ/ العقائديّ)، (السّياق النّفسيّ)، (السّياق اللّغويّ...)): (بيرلمان ومدرسته/ مريانا توتسكو / روت آموسي/ برتون /غوتيي...).

إنّ هذه المفاهيم الثّلاثة[2] الّتي رُكّب عليها المصطلح الحِجاجيّ، دليلٌ آخرُ على

1- عن انطباع النّظريّات الحِجاجيّة بالتبدّل والتّحوّل، مذ نشأت إلى أيّامنا، راجع على سبيل المثال المؤلّفات التّالية:

(*) Histoire de la rhétorique Dés Grecs à nos jours, Op.cit.

(*) أهمّ نظريّات الحِجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، (مؤلّف جماعيّ)، أنشأه فريق البحث في البلاغة والحِجاج الّذي يشرف عليه الأستاذ صمّود (حمّادي). منشورات كليّة الآداب، منّوبة، تونس، ط/1، 1999.

(*) الشّبعان (عليّ). الحِجاج والحقيقة وآفاق التّأويل في نماذجَ ممثّلة من تفسير سورة البقرة: (بحث في الأشكال والإستراتيجيّات)، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان، ط/1، 2010.

(*) الشّبعان(عليّ).بحوثٌ في البلاغة الجديدة: (القضايا والتّحوّلات)، من تقنيّات الجدل إلى إيطيقا الاختلاف، سلسلة دروب، مكتبة المتنبّي، الدمّام، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط/1، 2012.

2- صولة (عبد اللّه) الحِجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبيّة، منشورات كليّة الآداب، منّوبة، ط/2، 2009.

حيويّته الدّائمة وانطلاقه المستمرّ، إذ في كلّ مفهوم تصوّرٌ وداخل كلّ تصوّر موقفٌ من العالم والأشياء وفي الموقف من العالم والأشياء، أنماطُ إقامة أنطولوجيّة وتصوّراتٌ فكريّة لا تُختزل في الاستعمالات المصطلحيّة الّتي يجريها صاحبُ العِلم، بل تتجاوز تلك الاستعمالات إلى ما يلفّها من خفايا ترشيح أبنية دلاليّة وإبطال أبنية أخرى لا تتوافق مع نُظم الاعتقاد الّتي تواضعت عليها الجماعاتُ الفاعلة في مجتمع من المجتمعات تواطأت، - وهي ترشّح الأبنية المعنويّة أو تبطلها- على وجه من وجوه النّجاعة واتفقت على شكل من أشكال التّمكين.

2- في متصوَّر «بَنْيَنة الواقع»/ La structuration du réel بين الحدّ والتّوليد:

لقد استعمل «فليب برتون» (Philippe Breton) في كتابه: «الحِجاج في المحاورة»[1] متصوّر «بنينة الواقع» باعتباره نعتا لوظيفة من وظائف العمل الحِجاجيّ المتجلّي في المحاورات والبادي في المناقشات والظّاهر في المداولات، تحدث بين طرفين أو أكثر.

ولكنّ هذا المتصوّر لم يكن في كتاب: «برتون» متصوّرا مركزيّا، بل كان واحدا من جملة متصوّرات، عيّن من خلالها المؤلّفُ مختلِف الوظائف الّتي يمكن أن تَنتج عن فعل المحاججة في مقامات المحاورة.

فوَضْع المتصوّر في محيط المؤلِّف النّظريّ، إنّما كان وضع الفضلة، لا وضع النّواة نظرا إلى أنّه متصوّرٌ، يحتاج غيرَه ويطلب سواه، إذا ما تعلّق الأمرُ بالحديث عن وظائف الحِجاج وأدواره في سياق نظريّة: «برتون» الحِجاجيّة/ التّحاوريّة.

فكيف حدّ «برتون»/ (Breton) هذا المتصوّر وعرّفه؟

وهل يمكن أن نقتصر على هذا الحدّ ونكتفي بهذا التّعريف، أم إنّ وظيفة التّتميم المعرفيّ تقتضي نشر مساحة المتصوّر واِشتقاق متصوّرات أخرى توسّع مداه وتضاعف أدواره في الظّفر بحقائق الحدث الحِجاجيّ إذا ما رمنا مقاربته خارج الدّائرة اللّغويّة التّحاوريّة ونزّلناه ضمن الدّوائر الرّمزيّة والأنطولوجيّة والإيديولوجيّة؟

هل تبدو حياةُ المصطلح في انحسار معناه داخل الحدود والتّعريفات، أم في ما يحدث له من ضروب التّوليد وأنماط التّشقيق الّتي تمارسها قوّةُ المجال التّداوليّ على المتصوّرات،

1- Breton (Philippe), Op.cit

يتكثّر معناها وتتعدّد مقتضياتها فتفارق دلالة الأصل المقدود بالتّواضع والمصنوع بالتّوافق بين أفراد الجماعة العالمة/ المتكلّمة إلى مجال استعماليّ أرحب يَشحن الدّلالة الأصليّة بمعان مشتقّة، تعمل على نحت مصطلحات أخرى تكون نواةً لتأسيس عِلم جديد أو تلويحا بنشأة معرفة محدثة؟

2-1. بنْيَنَة الواقع: المفهوم والحدّ.

إنّ النّاظر في المواضع الّتي نزّل فيها «برتون» متصوّر «بنينة الواقع» في كتابه «الحِجاج في المحاورة» سيظفر بنتيجة حاصلُ أمرها أنّ هذا المتصوّر كما يجريه صاحبه لا يتجاوز معنيين اثنين:

معنى التّحويل والتّبديل الجاري على الواقع الذّهنيّ للمتحاورين.

معنى هيكلة الفهوم وتوجيه القناعات والخيارات الّتي ترشح عن بنى التّبادل الحواريّ في مقام تلفظيّ يهدف إلى إثبات اليقينيّات الحِجاجيّة عبر القنوات الإقناعيّة المتجليّة في بنى اللّغة المستخدمة في حدث المقانعة والموظّفة في مقام المحاججة.

فالمقصود بالواقع في هذا المقام النّظريّ، إنّما هو الواقع الذّهنيّ الّذي يُضمر تغييرَه المحاجُّ من خلال وسائطَ إقناعيّة تسلّط أفعالها على المستهدَفين بعمل الحِجاج يقادون إلى تغيير واقعهم الذّهنيّ والانخراط في واقع ذهنيّ آخر اِقتنعوا بجدواه وتيقّنوا من نجاعته أو حُملوا حمل المجبرين ودُفعوا دفع المكرهين على الانخراط فيه قسرا وتبنّي مقولاته قهرا، فاغتصب إذعانُهم، واُفتكّت قناعاتُهم، ومورس على عقولهم وعواطفهم ما يسمّيه «بيرلمان»، بـ» حجاج القوّة» وهو حِجاج يستمدّ نجاعته البرهانيّة من قوّة مقولاته الرّمزيّة أو من قوّة من نُسبت إليهم المقولاتُ أو الأعمال من الأعلام والرّجال، يتخلّون عن بشريّتهم بمفعول البنينة الذّهنيّة والوسم الإيديولوجيّ لصالح واقع مؤسطَر يصير بمقتضاه أولئك الرّجال/ الأعلام، أو تغدو بحسبه تلك المقولات/ الحِكم، كياناتٍ ما فوق طبيعيّة، تتّصف بثخونة رمزيّة عالية اكتسبتها من تَرحالها الطّويل عبر الأمكنة والأزمنة، فصارت علامات/ رموزا لا يداخلها الشكُّ على الكمال المطلق، وأماراتٍ لا يخالطها التردّد على البرهان القويم.

إنّ اِقتصار «برتون» - وهو يضع لمتصوّر «بنينة الواقع»- مفهومه والحدّ على المعنيين السّابقين، ليس نتيجة قصور نظريّ، وإنّما كان ذلك اقتضاء منهاجيّا يتوافق فيه حدُّ المتصوّر مع مباشرة الحِجاج موضوعَ بحث في سياق نظريّة المحاورة الّتي ألزمت

«برتون» بأن يجعل حديثَه عن الوظائف الحِجاجيّة، تبعا لما يقتضيه عملُ المحاورة الّذي يعوّل في إنشاء القيم الحِجاجيّة على تنمية البُنى الحواريّة، وجعلها تتقدّم في نظام تصاعديّ يراكم الحجج ويضاعف البراهين لإحداث فعل الاقتناع الّذي هو في المحصِّلة، فعل ناجمٌ عن عمل المحاورة الّتي جعلها «برتون» عملا لغويّا خالصا وحدثا لسانيّا محضا عُزل عن مجاله التّداوليّ الموسّع: (الفكريّ/ السّياسيّ، الإيديولوجيّ، الدّينيّ/ العقديّ...)، لذلك ضاقت المعاني وانحسرت الدّلالات في حيّزات، قيّدها الاختيار المنهاجيّ، فلم تستطع الانعتاق من إلزامات ما اختارت، فبقيت مغلولة الحركة تحاول الوثوب فلا تستطيع، لذلك جاءت الحاجةُ إلى توسيع دلالة المتصوّر، اقتضاء معرفيّا ملحّا، وضرورة إبستيمولوجيّة مُحوجة، تُخرج الباحثَ في حقل النّظريّة الحِجاجيّة وفي غيرها من الحقول المعرفيّة الأخرى من وهم الوفاء بإلزامات النّظريّة والانصياع لأشراط المنهج الّتي هي في تصوّر مَن بنى أفكاره ضدّ المناهج[1] غوايةٌ يوهم ظاهر الالتزام بها بعكس ما تمور به بواطنها المضمرة وأعماقها المتخفّية الّتي لا تظهر حقائقها، إلاّ إذا وقف الباحثُ اختباريّا على حدّها وكاشف مداها[2].

فإن كانت هذه حال الحدود والتّعريفات، فما هي حال الاشتقاقات والتّوسيعات الّتي يمكن أن نمارسها على متصوّر «بنينة الواقع»، حتّى يصير مفهوما أوسعَ ومصطلحا أرحبَ، يوسّع وظائف الحدث الحِجاجيّ ويكثّر أدوار العمل البرهانيّ؟

2-2 بنينة الواقع: التّوسيع والتّوليد/ اقتضاءات التّتميم المعرفيّ.

تدفع اقتضاءات التّتميم المعرفيّ، الباحثَ إلى توسيع حدود المتصوّرات وَفق ضوابطَ لغويّة وإجرائيّة وتداوليّة توافقت عليها الجماعاتُ العلميّةُ، فصارت ضربا من النّاموس العامّ الّذي يوحّد صانعي المصطلحات، أكانوا أفرادا، أَم جماعات، أَم مؤسّسات حول نواة استعماليّة مشتركة تقي المصطلح مخاطرَ الذّوبان في غيره وتجنّبه مغبّة الوقوع في دائرة الانسياب الاِصطلاحيّ الّذي يُفقد المتصوّرات أصولَها ويبعدها عن معانيها الّتي كانت لها في البدء قبل أن يعقلنها الاِستعمال ويضبطها الاصطلاح.

1- عن قواعد التّفكير ضدّ المنهج، بوصفه شكلا من أشكال التّمركز حول وهم الموضوعيّة، وهيئة من هيئات التّحيّز النّظريّ والاصطفاف الإيديولوجيّ حول فكرة أو عقيدة أو رأي، راجع- على سبيل المثال-:

- Feyerabend (P), Contre la méthode, Seuil , 1975.

2- Compagnon (Antoine), Le démon de la théorie, littérature et sens commun, Op.cit.

ولمّا كانت غايةُ التّتميم المعرفيّ على الوجه الّذي قدّمنا والهيئة الّتي عرضنا، فإنّ متصوّر «بنينة الواقع»، كما أجراه «برتون» في مؤلَّفه (الحِجاج في المحاورة)، لا يفي بما نرمي إليه من جعل هذا المتصوّر، أكثر قابليّة لاحتواء معان جديدة توسّع مداه وتعلّق به ظلال دلالات تُشتقّ من نواته الأصليّة فتثري أبعادها، وتمضي بها إلى أقصى ما يصل إليه حدّ التّوسيع فتنزلها داخل دوائر إحاليّة جديدة، لم يكن قادرا على حملها الأصلُ، لأنّ المجال التّداوليّ الّذي يحيط بها لم يكن يسمح بوجود تلك المشتقّات المتصوريّة الّتي قد نكون نحن قادرين على تشقيقها ونحت فضاءاتها وفق ما تقضي به ضروراتُ المراكمة المعرفيّة تحدثها الأجيال وترسي قواعدها النّخبُ العالمة تنوي التّطوير وتمنّي النّفسَ بالإحداث والابتداع، حتّى يكون لوجودها معنى ولذواتها وظيفةٌ تظهرها الآثار الباقيةُ وتشهد عليها المحدثاتُ المبدَعةُ، رموزا مجرّدة أم مظاهر محسوسة.

وقد آل بنا منطق التّتميم المعرفيّ نجريه على متصوّر «بنينة الواقع» إلى جعل هذا المتصوّر متضمّنا، رشحا دلاليّا جديدا يمكن اختزاله في الإمكانات التّحويليّة التّالية: بنينة الواقع الذّهنيّ/ بنينة الواقع المادّي/ بنينة الفهوم وشرعنة المعقوليّات/ بنينة المسارات التّأويليّة/ بناء العوالم الممكنة/ الإيهام بالفضائل والكليّات/إثبات التحيّزات الإيديولوجيّة والمركزيّات العقديّة/ التّوجيه والتّطويع/ إقامة الأسيجة وإحداث الموانع/ إقامة الشّوكة واِحتكار الفضاء الرّمزيّ...

إنّ هذه التّحويلات وغيرَها[1] ممّا يمكن اشتقاقه من متصوّر «بنينة الواقع»، لدليلٌ على أنّ آليّة التّوسيع الدّلاليّ الّتي يمكن أن تُجرى على المتصوّرات قبل أن تنتظم مصطلحاتٍ تنضبط لأشراط العلم الّذي تنتمي إليه، إنّما تترجم ما يتّصف به المتصوّر من ليونة فائقة تجعله قادرا على ضمّ متعلّقات دلاليّة كثيرة، تضاف إلى المتعلّق الأوّل فتثري معناه وتغني محتواه فيتحوّل من متصوّر محدّد المعنى ضيّق المجال إلى متصوّر مفتوح يقبل ما يمور به الواقع المصطلحيّ من تدفّق غزير لضروب من المعرفة مختلفة، ولأنماط منهاجيّة متباينة تقضي ضرورة بحتميّة توسيع الحقول المتصوّريّة الّتي يُقدّ منها سدى علم من العلوم أو تُصنع من نسيجها معرفةٌ من المعارف تغيّر وظائفَها الاستعمالاتُ، وتبدّل أنماطها قواضي التّجريب الّتي تتحوّل بمقتضاها المقرّرات النّظريّة الّتي كانت قبلُ

1- عن هذه التّحويلات وغيرها ممّا يمكن إجراؤه على متصوّر بنينة الواقع ومتصوّرات حِجاجيّة أخرى، راجع، عليّ الشّبعان، الحِجاج والحقيقة وآفاق التّأويل، (المرجع نفسه).

حقائقَ قاطعةً ويقينيّاتٍ مطلقةً إلى مأثورات يستعيدها مؤرّخو العلوم - وهم يضبطون للعلوم حِقبا ويرسمون للعارف أسيجة وحواضن-، تشير إلى مراحلها وما اختصّت به تلك المراحلُ من خصائص تكون شاهدا على راهنيّة المعرفة، وبرهانا على نسبيّة العلم.

وقد أفدنا هذا التّوسيع الدّلاليّ الّذي أجريناه على متصوّر «بنينة الواقع»، كما أدّاه «برتون» في سياق «نظريّة الحجاج في المحاورة» من فتح المبحث في الحِجاج على تداوليّة الخطاب وتأويليّة الأنساق الثّقافيّة، وذلك استنادا إلى مدوّنة المفسّرين/ المؤوّلين العرب المسلمين الّتي كانت لنا مادّة بحث طال مداه واِتّسع مجاله في مقام غير هذا، عالجنا فيه نظام الحجّة في الثّقافة الإسلاميّة تلوّنها العقائد، وتوجّهها الإيديولوجيّات، فتتّخذ وجوها كثيرة وتلبس أردية جمّة وفيرة، تحجب حقيقة أمرها وتطمس جوهر فعلها[1].

فبدلاً من أن يَصنع الحدثُ الحِجاجيّ أنساقا تأويليّة تكرّس الاختلاف والمباينة، ترشح عنه أنساقٌ تترجم المطابقة والمماثلة وذلك اقتضاء لما تُلزم به المذاهبُ معتنقيها من الوفاء المطلق والولاء الأتمّ لمقولاتها وثوابتها الّتي صارت بمفعول الشّرعنة والتّمكين المذهبيّ/ السّياسيّ تابوهاتٍ لا تعتور عليها الشّكوكُ وحقائق لا تدركها المراجعاتُ.

وهو ما نتج عنه تحوّل صراع المُلافظة التّأويليّة الجارية داخل أسيجة الخطاب التّفسيريّ/ التّأويليّ، إلى صراع ماديّ تقوى فيه المناكبات وتتضاعف داخله المشاحناتُ يصحبها، «عنفٌ مقدّسٌ» تشرّع ضرورةَ حدوثِه، أوهامُ اعتقاد[2].

وقد عارضنا المادّة التّفسيريّة/ التّأويليّة المختبرة باعتبارها خطابا حِجاجيّا[3]بمناويلَ نظريّة كثيرة، كان منوال «برتون» الحِجاجيّ التّحاوريّ أحدها، فبدا لنا أمر توسيع المتصوّرات النّظريّة اِقتضاء ضروريّا، لا فعلا تكميليّا نظرا إلى ما يختصّ به مجال المدوّنات المختبرة التّداوليُّ من خواصَّ عقديّة وإيديولوجيّة فكريّة، يكون بمقتضاها الحدثُ الحِجاجيُّ، حدثا مغايرا لما هو عليه من أوضاع في الإبستيميّة الغربيّة. وهذه المغايرة في المفهوم والإجراء لا نعتبرها نقيصة يخجَل من ذكرها المرءُ، بل نعتبرها خاصيّة مائزة، إذا اِستطعنا وضعها في سياقها النّظريّ والتّداوليّ تجاوزنا كثيرا من التّأويلات التّراثيّة المشبعة

1- الشّبعان (عليّ). الحِجاج والحقيقة وآفاق التّأويل. (المرجع نفسه).
2- أركون (محمّد). (المرجع نفسه).
3- الشّبعان(عليّ). (المرجع نفسه).

بـ»الجهل المقدّس»[1] الّذي يحوّل الحقائقَ التّأويليّةَ، زيفا مقنّعا يستميت المدافعون عنه والمنافحون به في تزيين مظهره وتحسين سِحنته، حتّى يجعلوه اليقينَ المطلقَ والجنّةَ الضّائعةَ الّتي يدّعي أصحابُ الإديولوجيّات، اِمتلاك أسرارها والسّيطرة على مسالك بلوغها.

وقد بدا هذا الأمر في المدوّنات التّفسيريّة/ التّأويليّة الّتي اِتّخذناها نماذج ممثِّلة[2] على اِختلاف وجوه مقاربة الحقائق وتمكين العقائد في مجالات التّداول المذهبيّة الّتي تكون تفاسيرُ المفسّرين وتآويلُ المؤوّلين، هيئاتٍ لها وأماراتٍ عليها، تختزل حقائقَها وتترجم مقاصدَ أصحابِها.

ولكنّ النّاظر فيما يبديه ظاهرُ الخطاب من سلامة النيّة وقوّة المعتقد، سيظفر بعكس ما أخبر به سطحُ الكلام وما أبداه واضحُ اللّفظ، أعني إخفاء اللّوثات السّياسيّة والأدواء الإيديولوجيّة الّتي سرعان ما تكشف عنها نتوءاتُ الخطاب ومماحكاتُ التّبكيت بين مذهب ومذهب، أو بين نِحلة ونِحلة تغريها المفاخرة، وتأخذها حميّة تمكين الرّأي الأصوب وترسيخ الخيار الأنجع.

ولهذه الأحوال في كتب الملل والنِّحل وفي مدوّنات الفرق والمذاهب، شواهدُ جمّةٌ لا يتّسع لذكرها هذا المقامُ، تدلّ على أنّ اختلاف التّفسيرات وتكاثر التّأويلات، إنّما هو مباينةٌ مذهبيّة وافتراقٌ سياسيٌّ، يروم كلُّ حامل لواء تمكين شرعيّته، وإبطال شرعيّة غيره.

إنّ هذا الرّشح التّأويليّ ما كان ليكون، لولا العمل الّذي أجريناه على متصوّر «بنينة الواقع»، أعني التّوسيع الدّلاليّ الّذي حمّل المتصوّر معانيَ لم تكن له في الأصل، فزاد

1- عن «الجهل المقدّس» ومختلف تمظهراته في الخطاب والمجتمع والمعاملة، راجع - تمثيلا لا حصرا-، أركون (محمّد)، نحو تاريخ مقارن للأديان التّوحيديّة، ترجمة: هاشم صالح، دار السّاقي، بيروت، لبنان، ط/1، 2011.

- وكذلك، شايغان(داريوش). ما الثّورة الدّينيّة، الحضارات التّقليديّة في مواجهة الحداثة، ترجمة: محمّد آلرّحموني، مراجعة مروان الدّاية، دار السّاقي، بيروت، لبنان، ط/2، 2011 .

العنوان الأصليّ:

- Shayegan (Daryush). Qu'est-ce qu'une révolution religieuse, Albin Michel, Paris, 1991.

- وكذلك: أوليفييه روا، الجهل المقدّس، زمن دين بلا ثقافة، ترجمة صالح الأشمر، دار السّاقي، بيروت، لبنان، ط/1، 2012.

العنوان الأصليّ:

- Roy (Olivier). [La sainte ignorance: Le temps de la religion sans culture, Editions du Seuil, octobre 2008].

- وكذلك، الزّاهي (نور الدّين). المقدّس والمجتمع، إفريقيا للنّشر، الدّار البيضاء، المغرب، ط/1، 2011.

2- الشّبعان(عليّ).(المرجع نفسه).

فوائض دلاليّة وسّعت مداه وقوّت أدواره الوظيفيّة، ليتحوّل من متصوّر مقصور على نظريّة الحِجاج في المحاورة إلى آلة تأويليّة، نفكّك بها مضمرات الخطاب التّفسيريّ التّأويليّ الّذي تصير فيه البنينةُ جاريةً على العقائد المذهبيّة والحقائق الأنطولوجيّة الّتي ينوي المحاجّ/ المؤوّل تمكينها في عقول مريديه يحفظونها أسرارا دائمة، لا تتاح لغيرهم فتضمن لهم الفوز الأكبر في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، بل ينفع فيه الولاء للحقّ، كما اعتقد فيه أصحابُه ترجمته تفاسيرهم وحوته تآويلهم تصارعت فيها الفهوم وتضارعت داخلها الخلافاتُ، حتّى ظهرت على أديم الواقع أفعالاً باديةً للعيان تردّد سوأة الخلاف الأوّل يتّخذ أشكالاً متباينةً وهيئاتٍ مختلفةً ترسم ملامحَها جماعاتُ الاعتقاد تبدّلها المصالحُ وتكثّرها المطامحُ إلى بسط السّلطان وإحكام القبضة على الرّقاب الّتي أعماها الولاءُ الإيديولوجيُّ المطلقُ وكبّل حركتَها الانتماءُ الخطّيُّ المفرطُ، فغاب عقلُها وأُعدم رُجحانُها.

3- المصطلح الحِجاجيّ: من (الآلة المنطقيّة) إلى (الرّافد التّأويليّ):

لقد بدا لنا - ونحن نقلّب النّظر في متصوّر بنينة الواقع كما أجراه «برتون» في مؤلّفه: (الحِجاج في المحاورة)- أنّ هذا المتصوّر قابلٌ شأنه في ذلك شأنُ كلّ متصوّر تحويلاتٍ كثيرةً وتوسيعاتٍ جمّةً تجري عليه فتوسّع دلالته وتطلق مساحة انتشاره، فيتحوّل المتصوّر الواقع تحت تأثيرات المدّ والنّشر باعتبارهما مظهرين من مظاهر التّتميم المعرفيّ القائم على فلسفة نظريّة واعتقاد أنطولوجيّ مدارهما على إضفاء الحركيّة التّوليديّة على المتصوّرات النّظريّة المستجلبة من ثقافات غير عربيّة تعاد تبيئتها وَفق أشراط السّياق المستضيف أعني سياق الثّقافة العربيّة والإسلاميّة الّذي تصله بسياقات المعرفة الأخرى وشائجُ وروابطُ لها في تاريخ المعرفة علاماتٌ تشهد على حدوث هذا الاتّصال مذ خطّ العرب الأوائل أبجديّات الحضارة الّتي كان وجودها من وجود غيرها من الثّقافات يحدث بينهما التّواصلُ ويجري في محيطهما التّفاعلُ فكان حدث ترجمة معارف يونان وفلسفتهم كما كان حدث نقل حكمة فارس وعلم الهنود مظهرا دالاّ دلالة العيان والشّهادة على حتميّة اتّصال الثّقافات بعضها ببعض.

ولعلّ هذا الواقع الفكريّ الّذي نوصّف هو الّذي جعل حركة التّوليد المصطلحيّ في حضارتنا العربيّة حركة يشوبها البطءُ وتكثر حولها القلاقلُ فمن منافح بصرامة الإدماج وضمّ الدّخيل إلى متّهم قدرةَ اللّغة العربيّة على مسايرة ثورات العلماء في علومهم ومواكبة فتوح المصطلحيّين في اصطلاحاتهم.

ولكنّ المعضلة كما نقدّر لا تكمن في العلّتين السّابقتين، وإنّما تكمن في الاستقواء على تبرير الأحكام وتوصيف الظّواهر بالعقيدة الإيديولوجيّة أكانت مادحة مقرّضة أم كانت هاجية مؤثّمة، فكلتا الحالين يحول، -من فرط التّموقع- بين العِلم وحركة تطويره فتطلق لمنطق المزايدة - باسم الدّفاع عن المفضول-، أعنّةُ الوصم المائزة الّتي تخلع البركات على من التزم السّمت وتمنعها عمّن ارتكب «مأثمة الاِجتهاد»، فحوّل المتصوّرات وشقّق معاني المصطلحات، عساه بذلك يطوّر مجالا علميّا أو ينمّي حقلا معرفيّا.

وقد عرض عبد آللّه إبراهيم في مصنّفيه البديعين أعني: المركزيّة الإسلاميّة[1] والمركزيّة الغربيّة[2]، مختلف ما قد تنتجه التّمركزاتُ حول العقائد والأدلوجات والأوهام والعرقيّات واللّغات والثّقافات من آثام وويلات قد تتحوّل بمفعول ما يحدثه المعتقدون والفاعلون وذوو المصلحة من مضاعفة المدّ الإيديولوجيّ والتّمركز الفكرانيّ الناجمين عن إسناد معان قد لا تسعها طاقة الأصل ولا تتحمّلها قدرته، فيرغم على احتوائها كرها ويُحمل على إدراجها ضمن أنساقه إجبارا.

فيحدث من جرّاء هذا الإكراه الواقع على المتصوّرات الأصليّة، نوعٌ من التّهجين الّذي قد يعصف بالأصل المحوّل، فيفقده سماته المائزة ويحرّف محتواه الحقيقيّ الّذي قُدّ من أجله ونُحت على مقداره.

إنّ آثام التّمركزات، إنّما هي آثام كونيّة لا تقتصر على ثقافة دون ثقافة، لا بل إنّها مغروزة في جبلّة البشر تقوّيها المنافحاتُ وتضاعفها المزايداتُ ويزيد عليها كلّ جيل ما تسمح به أساطيره المشتقّة من تابوهات يبدعها مخيالُه وتصوّرات تراكمها تجاربُه.

وحتّى نتجاوز هذا الحرج - ونحن نمدّ في مساحة متصوّر بنينة الواقع الدّلاليّة-، فلا نصاب بما أصيب به غيرُنا من داء التّمركز حول فكرة أو معتقد علميّ، فإنّ ما أسندناه من معان مشتقّة ودلالات مولّدة علّقناها بمتصوّر بنينة الواقع كما أجراه صاحبُه في سياقه النّظريّ الأصليّ، أعني عمل الحِجاج في المحاورة، لم يخرج عن المولّدات المتصوّريّة الأصليّة القائمة على ربط فعل البنينة بالتّجريد الذّهني الّذي يسمح استتباعا ومنطقا بربطه اقتضائيّا بالبنينة المحسوسة الّتي تنطبع ضرورة بما يرشح عن البنينة الذّهنيّة التصوّريّة من أشراط وحدود تنعكس في الواقع المادّي تسمه وتنعته تحدّه وتعيّنه .

1- المرجع نفسه.

2- المركزيّة الغربيّة: (إشكاليّة التّكوّن والتّمركز حول الذّات)، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، لبنان، الدّار البيضاء، المغرب، ط/1، 2001.

وخير ما يُحتجّ به في هذا المقام مقامِ انطباع البنينة الحسيّة/ الماديّة بقواعد البنينة الذّهنيّة، ما أشار إليه، عبد اللّهّ إبراهيم في كتابه: »المركزيّة الإسلاميّة: من وقوع الرّحّالة العرب المسلمين - وهم يرسمون للأقاليم أبعادها والمدى، أشياءها وطبائع ناسها-، تحت طائلة تعاليم العقائد الدّينيّة والإلزامات الإيديولوجيّة، فكانوا - وهم يرسمون خرائط العوالم المستكشفة-، إنّما يعيدون إنتاج تلك العوالم وَفق أنظمتهم الاعتقاديّة الّتي قامت على ضرورة إثبات الغلبة للمسلمين ونسبة الحضارة إلى العرب تمركزوا حول عقيدة الأمّة المفضولة الّتي ترى غيرها من الأمم» همّجا ورعاعا» «جوجا ومأجوجا».

وهذا التّمركز حول الدّين والعرق الّذي طبع فكر الرّحالة العرب في العصر الوسيط وما نتج عنه من بنينات ومتصوّرات تجري على الأذهان والأعيان، أنتج لدى الآخر الغربيّ ما كان قد صنعه العرب والمسلمون على آخرهم من صور وتمثيلات تختزل الصّفة البشريّة والخلّة الإنسانيّة في مقدار الانتماء إلى دائرة الإسلام، إذ الدّيار في عيون الرّحّالة المسلمين داران: «دار كفر» و»دار إسلام»، «دار سلام» و»دار حرب»، لذلك كانت الصّراعات بين البشر، صراعاتٍ عقديّةً تغذّيها المصالحُ الفرديّةُ، وتوقد نارَها، الأوهامُ الجماعيّةُ، فتقوى حينا وتخفت أحيانا، ولكنّها باقيةٌ ما بقي الإنسانُ، تغريه الغلبةُ ويسعده الاِنتصارُ.

خاتمةٌ وتركيبٌ

المصطلح المولَّد والفضاء الأنطولوجيّ المفتوح

[قانون إعادة تشكيل المعقوليّات التّأويليّة]

لقد حاولنا أن نبيّن من خلال هذا البحث مختلِف الإمكانات التّحويليّة الّتي يمكن تسليط فعلها على المتصوّرات، تتغيّر معانيها، وتتّسع دوائر ما تحويه من مقاصد وغايات.

وقد اتّخذنا لاختبار هذه الدّعوى النّظريّة متصوّر «بنينة الواقع» الّذي اِستعمله «فليب برتون» في كتابه: (الحِجاج في المحاورة)، فحمّله في سياق نظريّته ما بدا له من المعاني متوافقا وأشراطَ نظريّة الحِجاج في المحاورة الّتي تقُدّ حجاجيّة الخطاب فيها أفعالُ اللّغة وأعمالُ الكلام تسقط إشعاعاتها التّأثيريّة على المخاطبين ينفعلون فيؤمنون يتواجدون فيطيعون.

ولكنّ غاية التّتميم المعرفيّ الّتي عاهدنا أنفسنا على بلوغ مرماها قضت أن نلصق بهذا المتصوّر رشحا دلاليّا وسّع مداه وكثّر معناه، دون أن يخرج هذا التّتميمُ على نواة المتصوَّر في سياقه الأصليّ الدّائر على البنينة الذّهنيّة الّتي تحدث أعمالها في عقل المحاجّ بطريقة مجرّدة تتحوّل بعد الشّرعنة والتّمكين اصطلاحاتٍ منمّطةً ينظّم بها الفاعلون الاجتماعيّون فضاءاتهم الواقعة تحت طائلة سلطانهم، وذلك بغية إحكام السّيطرة على كلّ ما وقعت عليه أيديهم من مواطن النّفوذ لا تفتر لها قوّةٌ ولا يبطل لها فعلٌ فتدوم في الزّمن وتتواصل في ذكريات الاستحضار تشهد على نجاح مسار تأويليّ ندب نفسه ليكون الخيارَ الأوحدَ، يضمن للعبد سعادته في الدّارين: تمكينا في العاجلة وتخليدا في الآجلة تحقّق فيها رغبات الشّوق الممنوعة ويقوى فيها التنعّم بتوابع مجاهدة النّفس الّتي طُرد من كيانها الانقيادُ إلى فتنة جارفة أو هوى لجوج، فقانون التوسيع الدّلاليّ الّذي يمارس على المتصوّرات، إنّما يضمن للمعرفة تطوّرها والنّماء.

وهذا ما بدا لنا - ونحن ننجز هذا الفعل على متصوّر: (بنينة الواقع) - كما أجراه (برتون) في سياق نظريّ محدّد يعتبر الحِجاج عملا من أعمال المحاورة الّتي تجري بين طرفين أو أكثر واقعا تكون فيه الكينوناتُ المتحاورةُ حاضرة حضورا فيزيائيّا يجمعها فضاءٌ موحّد أو افتراضا يتصوّرها باني الخطاب لا تنفكّ إرادة فعله عن استحضار جمهور يسمع الخطاب ويردّ عليه أفعالا تتراوح بين الانفعال والطّاعة وبين الرّفض وإشاحة الوجه عن

المقرّرات الحِجاجيّة يتصوّرها المحاجُّ حقائقَ تنتج المقانعةَ وبراهينَ تضمن الطّاعةَ وتحقّق الولاءَ الكاملَ والاستجابة المحقّقة.

وقد دعتنا مهمّة التّتميم المعرفيّ لبعض ما يوجد في المتصوّرات المستجلبة من بيئات معرفيّة غير عربيّة نستعين بها لكشف ما يخفيه (التّراثُ) من إستراتيجيّات وحقائق ومصالح ومتخيَّلات وأشكال برهنة وأنماط مقانعة إلى نشر مساحة المتصوّر حتّى لا يحصل عسفٌ عليه ولا تكون الاستفادةُ منه، دون ما تبيحه إمكاناتُ المدوّنة التّراثيّة التّفسيريّة/ التّأويليّة العربيّة والإسلاميّة الّتي كانت لنا مختبرَ عملٍ في مقام غير هذا بحثنا فيه مختلف أنماط الحِجاج ومتباين أشكال البرهنة على حقائق النصّ المتعالية يكاشفها صاحبُ السرِّ فيسيّجها بسحر يخفي مشاعيّتها ويحدّ من عموميّتها حتّى لا تذهب في النّاس مُجرى المثل المعروف الّذي لا تفاضل في امتلاكه ولا شرف في الفوز به.

لذلك كان توسيع متصوّر «بنينة الواقع»، إمكانا تحويليّا خصيبا، ورافدا أنطولوجيّا/ فلسفيّا مفتوحا، إذا سَلّطت عليه المدوّناتُ المختبرة، أفعالَها لان وأطاع لتُشتقّ من لدنه معان كثيرة وروافد دلاليّة جمّة، تترجم حقيقة ما يسند إلى عمل التّوليد المصطلحي من وظائفَ، تتلوّن بما يحيط بالمتصوّرات من سياقات معرفيّة وفكريّة وسياسيّة وإيديولوجيّة تسهم بمقاديرَ متفاوتة في إحداث بنينة داخل البنينة أعني: إعادة إنتاج دلالات المتصوّرات وَفق شروط الأسيقة الحاضنة والمجالات التّداوليّة المحيطة بأصل المتصوّر، توجّه مساره وتطبع معياره.

ومن هنا ندرك أنّ ما يطرأ على المتصوّرات قبل أن تتحوّل، مفاهيمَ ومصطلحاتٍ من أعمال تحويليّة ضبطها عبد آلله إبراهيم في أشكال ثلاثة هي: (الضّمور الدّلاليّ، والتضخّم الدّلاليّ، والانحراف الدّلاليّ)، ليس مجرّد تحويلات شكليّة تجري في حيّزات لغويّة مغلقة وتتّخذ، أشكلا معجميّة معروفة، بل هي أفعالٌ تُدرِك المعقوليّات التّأويليّة المنبثقة من أعمال التّحويل الّتي تطرأ على متصوّرات علم من العلوم، تحوّل معناها وتغيّر محتواها.

ولذلك بدا لنا العملُ الاصطلاحيّ، عملا تنخزل فيه إرادة الإنسان، يطوّر عالمَه وينمّي فكرَه، حتّى يقوى على نوائب الدّهر يغالبها بالاشتقاق وينتصر عليها بديمومة الفعل ينجلي في أفعاله الظّاهرة أو تترجمه نواياه المبطّنة الّتي تبقى في خفائها لغزا مغريا وأمنية طليقة، تطرّي جفاف المنطق الّذي يحاصر المصطلحات المحبوسة داخل أسوار علومها بالأفعال التّأويليّة النّامية الّتي لا يحدّها، مجالٌ ولا يكبح حركتها، مانعٌ، لأنّ هوسها بالكمال تصل إليه

همّةُ المؤوِّلِ، جعلها ترى ما لا يراه غيرُها من سطوة الرّمز، تتّخذ تعاليمه حقائقَ تقطع دابر الفُرقة، وتحدّ انسياب الإمكان حتّى لا تذهب متعة الخدر، بل تبقى وتدوم تضمن للمصطلح استقراره ولمعناه دوامه والأمان، بهما تتحصّن مؤسّسة صناعة المعنى وإنتاج ما يجوز فيه وما يمتنع من رياح قد تعصف بالعِلم تنفيه وتبطل مقرّراته أو تراجع بعض ثوابته الّتي توهّم النّاسُ ثباتها، ثمّ جاء من خوّلت له النّفس أو أخذه جذب العِلم، فعصف بتلك القواعد العلميّة، وبنى على أنقاضها واستلّ من أسرارها ما به أطلق عوالم قد تجوز وقد لا تجوز بحسب تصاوير الذّهن، تحمل صاحبَها إلى مدارات قد يعمرها الحزنُ وتلفّها الكآبةُ، أو يطبعها الاِنسيابُ ويسمها الانطلاقُ، فتصنع من سعادتها، أقاليمَ حالمةً، تكون صورةً من عذوبة الحياة، مدّت وانتشرت، تلك أوضاعٌ تعتور على المتصوّرات، بالمجاز صغناها، تترجم حياة المصطلح يمتدّ وينتشر أو يتقلّص ويضمر، شأنه شأن صانعه، تفعل فيه نوائبُ الدّهر، وتأتي عليه فيه، أحوالٌ وأطوارٌ تطبع مساره وتلوّن مآله، فيكون وجود المصطلح في هيئات لغويّة لها أطرها ومعانيها الّتي قدّتها أحوال وصاغتها أوضاعه يثريه سياقٌ تداوليٌّ، فينشر مدَّه أو يعصف به سياقٌ تداوليّ آخرُ، فيقلّص انتشارَه.

منزلة المصطلح من منزلة صانعه، لا يكادان يفترقان، فكلاهما بالآخر موصولٌ قَرن بينهما أصل العلاقة الّتي لا تفصل اللاّفظ عن لفظه ولا تمنع الشّكل عن محتواه، يربطهما جامعٌ أنطولوجيٌّ وواصلٌ وجوديٌّ يوحّد بين الكينونتين ويماهي بين الوجودين في دورة يبدأها المتكلّم ويستلمها المتقبّل، يؤوّل مقاصدها ويكشف مكتّماتها في جدل مسترسل.

فهرس المصادر والمراجع

باللّسان العربيّ:

- أرسطو طاليس. فنّ الشّعر مع التّرجمة العربيّة القديمة وشرح الفارابي وابن سينا وابن رشد، القاهرة، 1953.
- أ.هـ، (أرمسترونع). مدخل إلى الفلسفة القديمة ترجمة: سعيد الغانميّ، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت - الدار البيضاء، ط1/ 2009.
- يوسف (ألفة). حيرة مسلمة، دار سحر للنشر، تونس، ط/1، 2008.
- الزّيدي (توفيق). جدليّة المصطلح والنظريّة النّقدية، قرطاج 2000، تونس، ط/1 1998.

صمّود(حمّادي):

- التفكير البلاغيّ عند العرب: أسسه وتطوّره إلى القرن السّادس (مشروع قراءة)، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، ط/2 1994.
- من تجلّيات الخطاب البلاغيّ، دار قرطاج للنشر والتّوزيع، تونس، 2000.
- يفوت (سالم). نحن والعِلم، دار الطّليعة، بيروت، لبنان، ط/ 1 1995.
- عبد الرّحمن (طه). اللّسان والميزان أو التّكوثر العقليّ، المركز الثّقافيّ العربيّ، ط/ 1 1998.
- عبد الرّحمن (جغلول). الإشكاليّات التاريخيّة في علم الاجتماع السياسيّ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط4/ 1987.
- ابن خلدون (عبد الرّحمن). المقدّمة، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، (د.ت).
- إبراهيم (عبد اللّه). الثّقافة العربيّة والمرجعيّات المستعارة، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1/، 2010.
- صولة (عبد اللّه). الحِجاج في القرآن، منشورات كلية الآداب، منّوبة، تونس، ط/2 2009.

الشّبعان (عليّ):

- الحِجاج والحقيقة وآفاق التّأويل في نماذجَ ممثِّلة من تفسير سورة البقرة: (بحثٌ في الأشكال والإستراتيجيّات)، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان، ط/1، 2010.
- الحِجاج بين المنوال والمثال: (نظراتٌ في أدب الجاحظ وتفسيرات الطّبريّ)، مسكلياني للنشر، تونس، ط/1 2008.
- الدّريسيّ (فرحات). مراجعات مفهوميّة في الثّقافة العربيّة الإسلاميّة، أديكوب للنشر، تونس، 1993.
- اليوسفيّ (محمّد لطفي). الشّعر والشّعرية: الفلاسفة والمفكّرون العرب ما أنجزوه وما هفوا إليه، الدّار العربية للكتاب، تونس، 1992.
- النّويريّ (محمّد نجيب). علم الكلام والنظريّة البلاغيّة العربية، دار محمّد عليّ الحاميّ، تونس، 2005.
- حمّو (الهادي). مواقف الحِجاج والجدل في القرآن الكريم، مطابع النّهضة، (د.ت).
- هابرماز (يورغن). إتيقا المناقشة، ترجمة وتقديم: عمر مهيبل، الدّار العربية للعلوم ناشرون بالاشتراك مع منشورات الاِختلاف، الجزائر، ط/1 2010.

ندواتٌ ومؤلّفات جماعيّة:

- الحِجاج في التّقاليد الغربيّة من(أرسطو) إلى اليوم: مؤلفٌ جماعيّ لفريق البحث في البلاغة والحِجاج وتحليل الخطاب، إشراف: الأستاذ: صمّود (حمّادي). كلية الآداب، منوبة، تونس، ط/1، 1999.
- الحِجاج: مفهومه ومجالاته: دراساتٌ نظريّةٌ وتطبيقيّةٌ في البلاغة الجديد، أعدّه وقدّم مادّته ونسّق موضوعاته الدّكتور: علوي (حافظ إسماعيلي). عالم الكتب الجديدة، إربد، الأردن، ط/1 2010، (خمسة أجزاء).
- ندوة المصطلحيّة، مطابع جامعة سوسة للنشر، تونس، ديسمبر، 2010.

باللّسان الأجنبيّ:

- Pierrot (Anne Herschberg) .«Cliches, stéréotypes, dans le discours de lieu-vain», Littérature, 36, 1979.
- Aristote. Rhétorique des passions, poste face de M. Meyer, Paris, Rivages poche, 1989.
- Lamy (Bernand). La Rhétorique ou L'art de parler, ed. Critique.
- Plantin (C); Doury(M); Traverso(V). Les Emotions dans les interactions, Presses universitaires de Lyon, 2000.
- Kerbrat-Orecchioni (Catherine). L'implicite, Paris, Colin, 1990.
- Perelman (Ch). L'Empire rhétorique. Rhétorique et argumentation, Paris, Vrin, 1977.
- Perelman (Chaïm) et Olbrechts - Tyteca (Olga). 1er éd. 1958, Traitè de l'argumentation. La nouvelle rhétorique, édition de l'université de Bruxelles, 1970.
- Plantin (Christian). «L'argument du paralogisme», Hermes 15, Argumentation et Rhétorique 1, 1995.
- Plantin (Christian) .«Les raisons des émotions», Forms of Argumentative Discours / Per un'analisilinguisticos de 1'argomentare, in M. Bondid; Bologne, CLUEB, 1998.
- Plantin (Christian). Lieux communs, topoï stéréotype, clichés, Paris, Kimé, 1993.
- Maingueneau (Dominique) .Pragmatique pour le discours littéraire, Paris, Bordas, 1990.
- Manigueneau (Dominique). Le contexte de l'œuvre littéraire, Enonciation, écrivain, Société, paris, Dunod, 1993.
- Walton (Douglas). The place of Emotion in Argument, /The Pennsylvania state University Press, 1992.
- Benveniste (Emile) .Problèmes de linguistique générale 1, Paris Gallimard, 1966.
- Sarfati (Georges - Elia) .Eléments d'analyse du discours, Paris Nathan, 1997.
- Molinié (Georges). «Lieux», Dictionnaire de rhétorique, Paris, le livre de poche, 1992.

- Genette (Gérad). Figures III, Paris Le seuil, 1972.
- Declerq (Gilles). L'Art d'argumenter. Structures rhétoriques, 1992.
- Mathieu- Castellani (Gisle). La Rhétorique des passions, Paris, PUF, 2000.
- Grice (H.P). «Logique et conversation», Communication 30, 31-56, 1979.
- Copi (Irving) et keith Jakson (Burgess). Informal logic, NJ, Prentice Hall, 1992.
- Grize (Jean-Blaise). logique et langage, Paris, Ophrys, 1990.
- Anscombre (Jean-Claude). éd, Théorie des topoï, paris, kimé, 1995.
- Angenot (Marc). La parole pamphlétaire. Typologie des discours modernes, Paris, Payot, 1980.
- Ducrot (Oswald). Le Dire et le dit, Paris, Minuit, 1984.
- Ducrot (Oswald). Les Mots du discours, Paris, Minuit, 1980.
- Bourdieu (pierre). «le champ littéraire», Actes de la recherche en sciences sociales, 89 septembre, 1991.
- Fontanier (Pierre). Les Figures du discours, introd. G.Genette, Paris, Flammarion, 1977.
- Amossy (Ruth), & Anne pierrot (Herschberg). Stéréotype et clichés, langue, discours, société, Paris Nathan, 1997.
- Amossy (Ruth). Les idées reçues: Sémiologie du stéréotype, Paris, Nathan, 1991.

مراجعات

تقديم كتاب:
أسلافنا العرب، ما تدين به الفرنسية للعربية
تأليف: جون بريفو
مطابع جون - كلود لاتيس، باريس387[1] صفحة،
الطبعة الأولى، 2017

أ. د. محمّد الصّحبي البعزاوي
جامعة الوصل – دبي

Prof. Mohamed Sahbi Baazaoui
Alwasl University - Dubai

https://doi.org/10.47798/fom.2025.i05.09

1- Pruvost (Jean), Nos Ancêtres les arabes, ce que le français doit à la langue arabe; éd. Lattès. Paris, 2017.

تمهيد

يندرج كتاب «أسلافنا العرب، ما تدين به الفرنسية للعربية» (Nos Ancêtres les arabes, ce que le français doit à la langue arabe) ضمن حقل اللسانيات التاريخية والمعجمية المقارن. وهو يمثل في جوهره، مساءلة علمية لافتة في إعادة قراءة السردية التقليدية لتاريخ اللغة الفرنسية من خلال تسليط الضّوء على أثر اللغة العربية والحضارة العربية الإسلامية في تشكيل معجم اللغة الفرنسية. والكتاب بما حواه من معطيات ومعارف وأراء لم يكن موجّها إلى قارئ بعينه، بل هو ثمرة قراءة لتاريخ اللغة الفرنسية وجهد معمّق يمكن أن يستفيد منه الباحث المتخصّص وغير المتخصّص في المباحث اللّسانية – المعجمية وفي غيرها من المباحث. وقد صاغه صاحبه بأسلوب يجمع بين الصرامة العلمية ودقة الاستدلال ووضوح الصّياغة.

ولعلّل ما يميّز هذا المصنّف، جرأة صاحبه العلمية ودقّة استدلاله على عناصر تمسُّ الهوية اللّغوية والثقافية الفرنسية. فقد أعاد النّظر في مقولة «أسلافنا الغال» (Nos ancêtres les gauloises) وبيّن في مختلف فصول الكتاب أنّها معطى اختزالي لا يعبّر عن تاريخ اللغة الفرنسية ولا يعكس حقيقة الاتصال اللغوي الذي قامت عليه.

1- إشكالية الكتاب وأبعاده النّظرية

يدور الكتاب على إشكالية محورية يمكن صياغتها على النحو الموالي:

- إلى أيّ حدّ أسهمت اللغة العربية في تكوين معجم اللغة الفرنسية؟
- ما هو أثر هذا الإسهام في تبيّن مظاهر الاتّصال بين الجماعات اللّغوية الناطقة بالعربية والجماعات الناطقة بالفرنسية.

يعالج جون بريفو هذه الإشكالية انطلاقا من فرضية أساسية مفادها أنّ اللّغة ليست كيانا مغلقا مستقلا عن كل مظاهر التأثّر والتأثير، بل هي نتاج تاريخ ممتد من الاحتكاك والتفاعل والتبادل الذي يختزله الاتصال اللغوي والاقتراض بمظهريه اللّغوي والثقافي وغيرهما من مظاهر الاتصال الحضاري. ومن هذا المنظور فإنّ العربية في علاقتها بالفرنسية لم تكن في هذا المصنّف مجرّد لغة مُقرضة لعدد من الألفاظ العامة أو المصطلحات العلمية والتقنية، بل هي مكوّن من مكوّنات الذّاكرة اللّغوية الفرنسية. وقد برّر المؤلّف غياب هذا المعطى بأبعاده اللغوية والتاريخية والحضارية في جزء كبير منه، إلى اعتبارات إيديولوجية

وثقافية لا إلى انعدام الأدلّة اللّغوية. ولذلك فإنّ الكتاب يمثّل في جوهره، نواة مشروع معرفي يتجاوز الأبعاد اللّسانية في اتجاه تصويب معطى تاريخي وإعادة تقديمه على النّحو الذي ينبغي أن يكون عليه.

2- منهج الكتاب

يعتمد جون بريفو منهجا تاريخيا مقارنا يقوم على:

- التأصيل الاشتقاقي للمفردات الفرنسية من أصول عربية، وتتبّع مسارها الصوتي والدّلالي.
- التحقيق المعجمي بالعودة إلى المعاجم اللغوية التاريخية الفرنسية والعربية.
- تبرير انتقال المفردات من العربية إلى الفرنسية تاريخيا بالأخذ في الحسبان تواجد العرب في الأندلس والتجارة في حوض البحر الأبيض المتوسط وحركة الترجمة والتركيز على العلوم العربية في العصور الوسطى.
- تصنيف المفردات/ الألفاظ بحسب المجالات والتمييز بين المفردات العامّة والمصطلحات العلمية والتقنية. وقد اهتم في هذا الباب بعديد المجالات من قبيل مجالات العلوم والفنون والتقنية ومجالات الغذاء والتجارة واللباس والمفردات المتّصلة بالحياة اليومية.

ولعلّ أهمّ ما يميّز هذا المنهج الجمع بين التأصيل التاريخي وتبرير اندماج المفردات العربية في اللغة الفرنسية.

3- بنية الكتاب ومضامينه

3-1 يتوزّع الكتاب على فصول مترابطة تعالج الإشكالية من زوايا مختلفة، من أبرزها

- نقد السردية اللغوية التقليدية التي تردّ أصول اللغة الفرنسية إلى الغالية واللاتينية دون العربية.
- عرض مدوّنة من المفردات الفرنسية من أصل عربي في إطار الاستدلال على دور اللغة العربية في تاريخ معجم اللغة الفرنسية.
- التعمّق في مظاهر الاتصال بين العربية والفرنسية والتركيز على أهميّة تواجد العرب

في الأندلس في تحقيق اتصال اللغتين، أو عن طريق التجارة المتوسطية أو عن طريق علوم العربية المترجمة إلى اللاتينية...

- إبراز حضور اللغة العربية في اللغة اليومية الفرنسية لا في المصطلحات العلمية والتقنية فحسب، وهو ما يؤكّد على مدى عمق التأثير اللغوي والحضاري العربي في الفرنسية.

2-3 فصول الكتاب

1-2-3 الفصل الأول مدخل إلى تاريخ اللغة الفرنسية وتأثير الحضارات الأخرى (Nos ancêtres...mais encore)، يقدّم جون بريفو في الفصل الأوّل إطارا نظريا حول نشأة اللغة الفرنسية، مركّزا على النّظريات التقليدية التي تذهب إلى نسبتها إلى اللاتينية والغالية فقط لا غير. ويعرض في الأثناء مقدّمة حول أهميّة دراسة التأثيرات الأجنبية على المعجم الفرنسي مركّزا الاهتمام على التبادل الثقافي مع الحضارة العربية خلال العصور الوسطى وخاصة في مجال العلوم والفنون والتجارة. ويتّجه الكاتب من خلال الفصل التمهيدي الأوّل إلى وضع القارئ في السياق التاريخي والمعرفي الذي يوضّح لاحقا كيفية دخول المفردات العربية إلى معجم اللغة الفرنسية سواء كانت مفردات عامّة أو مصطلحات.

2-2-3 الفصل الثاني مظاهر الاتصال اللغوي بين العربية والفرنسية (القنوات التاريخية لانتقال المفردات العربية إلى معجم اللغة الفرنسية). وقد ركّز الكاتب في هذا الفصل على أهمّ القنوات المساهمة في رأيه في الاتصال اللّغوي ومنها حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية في العصور الوسطى خصوصا عبر الأندلس بالإضافة إلى التجارة المتوسطية والاحتكاك الجغرافي بين المدن الساحلية العربية والأوروبية، فضلا عن الدّور التعليمي والعلمي للمراكز العربية في نقل العلوم إلى أوروبا.

3-2-3 الفصل الثالث، تصنيف المفردات العربية في المعجم الفرنسي باعتماد الترتيب الأبجدي، حاول المؤلّف في هذا الفصل تنظيم المفردات الفرنسية من أصول عربية باعتماد الحروف الأبجدية. وقد قدّم في هذا الفصل قائمة مطوّلة من المفردات المألوفة في المعجم الفرنسي والتذكير بأصلها العربي منطلقا من مفردات alcool وalgèbre وصولا إلى مفردات من قبيل café وmosquée، مع تبرير مظاهر انتقال تلك المفردات إلى معجم اللغة الفرنسية.

4-2-3 الفصل الرابع، مسار المفردات العربية (Les chemins des mots arabes) وهذا الفصل كما يدل على ذلك عنوانه يرصد فيه صاحبه كيفية دخول المفردات العربية إلى معجم اللغة الفرنسية مركّزا على أهمّ مظاهر الاتصال بين اللّغتين بما في ذلك المناطق الأندلسية التي شهدت انتشارا واسعا للغة والثقافة العربيتين إبان العصور الوسطى، والتبادل التجاري عبر البحر الأبيض المتوسط بين دول الشمال ودول الجنوب. وقد قويت مظاهر الاتصال في العصور اللاحقة عبر الاستعمار والتبادل الثقافي. وقد كان الفصل مناسبة لمناقشة العوامل التاريخية والاجتماعية التي أدّت إلى استعمال مفردات اللغة العربية في الحياة اليومية للناطقين بالفرنسية وفي معجم اللغة الفرنسية على وجه التحديد.

5-2-3 الفصل الخامس، وقد جعله بعنوان: رحلة موضوعية في اللغة الفرنسية عبر المفردات ذات الأصل العربي (Voyage thématique en français via les mots d'origine arabe)، ويمكن اعتبار هذا الفصل فصلا تصنيفيا اهتمّ فيه المؤلّف بالمفردات الفرنسية من أصل عربي بحسب مجالاتها أو أصنافها المعجمية مستدلا على تأثير العربية في حياة الفرنسي العامّة في مختلف المجالات. وقد ذكر من خلال هذا التصنيف مجالات عديدة من قبيل المأكل والملبس والعلوم والأقمشة والحيوان والفنّ والموسيقى...وهو ما يساهم في توجيه المصنّف وجهة تاريخية ثقافية اجتماعية تبدأ من المعجم ومن البحث في تاريخ المفردات إلى التعمّق في تاريخ الثقافة وفي مظاهر الاتصال المتعدّدة بين الجماعات الناطقة بالعربية والجماعات الناطقة بالفرنسية.

6-5-3 الفصل السادس، لغة في حركية متواصلة من سان دوني إلى الراب (Une langue en mouvement: de Saint- Denis au rap)، يهدف الفصل إلى الإقرار بأهميّة التأثير العربي في مختلف المجالات الحيوية اليومية بالنسبة إلى الجماعات الناطقة بالفرنسية ويؤكّد على تواصل هذا التأثير من خلال الموسيقى ولغة الشباب المتجدّدة، وهو مظهر من مظاهر حياة اللغات واستمرارها.

7-5-3 مسارات اللغتين الفرنسية والعربية، مسارات متشابهة (Langue fran-çaise et arabe: les mêmes trajectoires)، يعرض المؤلف من خلال الفصل الأخير رؤية متكاملة عن صلة الفرنسية بالعربية مبرزا مظاهر التداخل بينهما متجاوزا الاتصال اللّغوي إلى التشديد على مظاهر الاتصال الحضاري بين جماعات متفاعلة تاريخيا وثقافيا. فالكتاب بهذا الاعتبار لم يعد مجرّد قاموس للمفردات الفرنسية من أصول عربية فقط بل هو مسار أرّخ من خلاله صاحبه إلى تأثير الحضارة العربية في اللغة والمجتمع الفرنسيين

من العصور الوسطى إلى العصر الحديث منسجما مع أطروحته التي تأتي في سياق تنسيب المقولة التي تُرجع الفرنسية إلى أصول غالية.

4- القيمة العلمية والثقافية للكتاب

يمكن أن نوجز أهمّ مزايا الكتاب في سياق تقريبه للقارئ في مستويات عديدة، لعلّ أهمّها ما يعرضه من معطيات لسانية يمكنها أن تُسهم في تطوير الدراسات المعجمية عموما وأن تحمل الباحث على إعادة النّظر في مظاهر الاقتراض اللغوي والاقتراض الثقافي بين العربية والفرنسية بالتعمّق في دراسة المفردات الفرنسية من أصول عربية. أمّا من الناحية التاريخية، فإنّ الكتاب يُعيد الاعتبار لما لعبته الحضارة العربية من دور في تشكيل أوروبا الحديثة. فالكتاب بهذا الاعتبار يساهم في فتح آفاق البحث اللّساني وفي تعديل الرؤى والمواقف من الحضارة العربية في علاقة بالتاريخ الثقافي والفكر الحضاري عموما.

5- على سبيل الخاتمة

رغم ميل المؤلّف في الكتاب إلى توسيع دائرة التأثيل العربي للمفردات وغلبة الطابع التفسيري على التحليل الإحصائي الكمّي الذي يساعد على مزيد الاستدلال على وجاهة الفرضيات التي بنى على أساسها موضوعات الكتاب، فإن مصنّف «أسلافنا العرب» يبرز أهمية المقاربة اللسانية التاريخية في تفكيك السرديات الاختزالية لتاريخ اللغات، ويؤكّد على أن اللغة الفرنسية بوصفها نظاما حيا، قد تشكّلت عبر مسار طويل من التفاعل الحضاري والتبادل الثقافي والاتصال اللغوي. وقد قدّم المؤلّف من خلال تتبّعه لمدوّنة معتبرة من المفردات الفرنسية من أصول عربية، معطيات معجمية موثّقة تسهم في توسيع أفق البحث في تاريخ اللّغة وإعادة كتابة جزء منه من منظور علمي موضوعي خال من كلّ إيديولوجيا، بعيد عن كلّ مظاهر التحيّز اللّغوي.

فليست قيمة الكتاب موصولة بالجانب التأثيلي فحسب، بل فيما يفتحه من إمكانات تأويلية لدراسة العلاقة بين اللغة والهوية، وبين المعجم والتاريخ الثقافي. إذ يتيح الكتاب إعادة التفكير في ظاهرة الاقتراض اللغوي باعتباره ظاهرة لافتة في اتّصال اللغات وتطوّرها. ورغم ما يمكن أن يُسجّل من تحفّظات منهجية في علاقة بكيفية التأصيل لبعض المفردات العربية وفي كيفية دخولها في معجم الفرنسية اللّغوي، فإنّ الكتاب يمثّل مساهمة جادّة في حقل اللّسانيات التاريخية، ومصدرا مهمّا لإثراء النّقاش الأكاديمي حول التداخل اللغوي والحضاري بين العربية واللغات الأوروبية، وتجديد أسئلة البحث في اللّغة والتاريخ والثقافة.

دبي - الكرامة - شارع زعبيل - ص.ب: 50106
الإمارات العربية المتحدة
هاتف : 3961777 4 971 + - فاكس 3961314 4 971 +
البريد الإلكتروني : fom@alwasl.ac.ae
الموقع الإلكتروني : www.alwasl.ac.ae